478

أغرب
الجرائم العالمية الغامضة

[redacted]



[redacted]

سعيد محمد السناري

1980
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

Sat.
4/2/2017



أغرب
الجرائم العالمية الغامضة

فِي عالَم الأَدب القَصَصِيّ الضخم نجد اللغز يُحَل دائمًا، فيُكْتَشَف القاتل، وتنتصر العدالة...

لكن الحياة الواقعية تختلف عن ذلك... ويحدث الموت فِي ظروف غريبة، بحيث أن القانون قد يقف عاجزًا أمام تحديد سبب الموت، هل هو ناجِم عن القتل، أم أنه حادِث عادي؟

ولا يستطيع الموتَى أن يعودوا للحياة مرة أخرى ويُعْطوا الحل لذلك اللغْز المُحَير.

وفي بعض الأحيان يتوارَى القاتلون بعيدًا مع تلك الحلول!

وغالبًا ما يكون هناك أشياء مزعجة للغاية، بحيث أن المحكمة قد تعاقب البريء، بينما الحقيقي لا يزال طليقًا!

وفي هذا الكتاب: نقرأ جملة من الجرائم التي تُعَدُّ مِن أغرب ما سَمِعَ به الناسُ أو وقفوا عليه، وكلها مما قُمْنا باختيارها وانتخابها؛ لتكون سَميرًا للقارئ، وعظةً للسامع، وعِبْرةً للمتأمِّل.


groups
darketab


darketab


www.nwf.com


مكتبة ن
nooonbooks

www.jamalon.com
جملون

darelkitab@yahoo.com



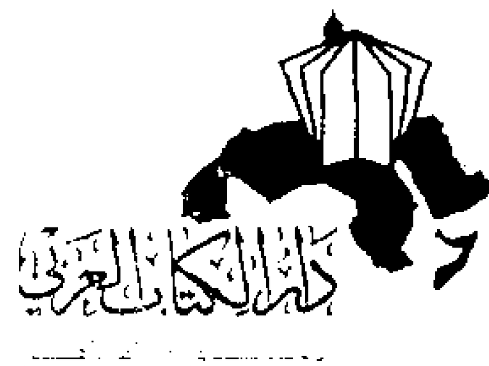
I.S.B.N. 978-977-376-841-2

2 836739 963990

1980
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

أغرب الجرائم العالمية الغامضة

جمع وترتيب
أبي المظفر سعيد بن محمد السناري



إهداء

إلى كل مُتطَلِّعٍ إلى معرفة بعض غرائب الحياة، ومُتَشَوِّفٍ للوقوف على تلك الجرائم المُحَيِّرَة،، ومُسْتَكْشِفٍ حالَ هذه الغوامض التي عجزَتْ عن الاهتداء إلى كشْفِها عقولُ كثير من الباحثين ...

وإلى الأستاذ البارع الدكتور: أحمد مجدي مجاهد. جمَّله اللهُ في دُنْياه بالعافية والسعادة. ورزَقَه وأهلَه في آخَرَتِهم الحُسْنَى وزِيادة. وأظلَّه الله بِظلال الرحمة والنَّعْمَاء، وأعطاه مِن خير الدنيا والآخِرة ما يُرِيدُ ويشَاء.

أهْدِي هذا الكتاب

السائِر العاثِر

أبو المظَفَّر السّنَّاري

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

في عالم الأدب القصصي الضخم نجد اللغز يُحَلُّ دائمًا، فيُكْتَشَف القاتل، وتنتصر العدالة، لكن الحياة الواقعية تختلف عن ذلك، ويحدث الموت في ظروف غريبة، بحيث أن القانون قد يقف عاجزًا أمام تحديد سبب الموت، هل هو ناجِم عن القتل، أم أنه حادِث عادي؟

ولا يستطيع الموتى أن يعودوا للحياة مرة أخرى ويُعْطوا الحل لذلك اللغز المُحَيِّر.

وفي بعض الأحيان يتوارَى القاتلون بعيدًا مع تلك الحلول!

وغالبًا ما يكون هناك أشياء مزعجة للغاية، بحيث أن المحكمة قد تعاقب البريء، بينما المجرم الحقيقي لا يزالُ طليقًا![1]

بل قد يصل الأمر في بعض الأحيان إزاء بعض الجرائم الغامضة أن يقوم ضباط المباحث الجنائية في بعض الدول الكبرى باستدعاء الوُسَطَاء الروحانِيين الذين يزعمون رؤيتهم النفْسانية للقتلَة في مشاهد شنيعة وهم يُنَفِّذون جرائمهم، ومِنْ ثَمَّ تقوم الشرطة بتسجيل ما قالوه أثناء تلك المقابلات معهم، معتقدين أهمية رؤية هؤلاء الوُسَطاء في التأثير على سَيْر التحقيقات. كما سنقرأ ذلك في «جرائم بحيرة واكو الغامضة»!

وقد يكون لعدد من جرائم القتل العَمْد أسباب غير مفهومة بشكل واضح، إذ لا تدخُل في نِطاق الدوافع المألوفة لارتكابها: كالمال أو المكانة الاجتماعية (حُب السُّلْطة أو الحِرْص على الشرَف أو الغَيْرة) أو الانتقام (كالثأر)، كما أنها لا تتصل بالدافع الجِنْسي المريض كالاغتصاب والسادِيَّة[2]

1- نقلا -ببعض التصرف- عن كتاب: «جرائم عالمية غامضة» [ص/ ٥].

2- السادية: هي مذهب فكْري يقوم على تحقيق اللّذة بتعذيب الآخرين. أو هي شذوذ جنسيّ قائم على التّلذذ بإحداث الألَم لدى الآخر طلبًا للتهيُّج الجنسيّ أو لإشباعه. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» [ص/ ١٤٥٣] للأستاذ أحمد مختار عمر.

إنها تلك الدوافع التي يرى فيها الأخِصَّائيون مجرد حالات نفْسية (إنْ ثبت تشخيصها) سيطرت على مُرْتكبي الجرائم فلم يُصْبِحوا سوى ضحاياها (مرضاها) فنفَّذوا ما تُمْلِيه: «عقولهم المريضة» ولهذا يتطلَّب الأمر علاجهم عِوَضًا عن معاقبتهم أو تنفيذ الأحكام القضائية القاسية بحقهم وِفْقًا للمنظور النفْسي.

وكيف يكون المجرم نفْسه ضحية أو أداة لمجرم «غَيْبِي» آخر؟ ومتى يكون المجرم مُسيَّرًا وليس مُخيَّرًا لدَى ارتكابه الجريمة ؟

جملة من التساؤلات التي ما زالت تثير قضايا جدَلِية، ولن يكون من السهل الإجابة عنها، وبدلًا من ذلك سنكتفي فقط بتسليط الضوء هنا على عدد من الجرائم التي زعم مرتكبوها أنها تمَّتْ بإيعاز من «كائنات غَيْبِية» وكان من بين ضحاياها قرابين للشيطان.

فنقرأ في هذا الكتاب عن «رونالد ديفو» ذلك الشاب الجامعي المثقف، الذي قتل أفراد عائلته جميعًا رمْيًا بالرصاص! وقد اعترف بالقتل! لكنه لم يظهر السبب الحقيقي وراء جريمته! وإنما زعم أن صوتًا شيطانيًّا كان يُدوِّي في رأسي قائلا له: «.. أُقْتُل .. أُقْتُل.. أُقْتُل».!

وهناك القاتل السفَّاح أحمد سوراجي الذي عُرِف بـ (سفاح إندونيسيا) الذي زعم أنه رأى شبح أبيه الذي طلب منه قتْل 70 امرأة!

وهناك أيضًا (مايكل بريا) في فترة من الزمن كان مُمثِّلًا في مسلسل تلفزيوني يحمل عنوان «بِيتِي القبيحة» (Ugly Betty) فحصل على قَدْرٍ من الشهرة يُذْكَر له في حواشي تاريخ التلفزيون الأمريكي.

لكن شهرته تلك لم تأتِ لعمله المتميِّز في مجال الترفيه، كما أنها لم تأت من أمور أصبحت عادية، كتعاطيه للمخدرات، إنما أتتْ نتيجة تطوُّرات خطيرة في حالته الذِّهْنية جعلتْه يقتل أمه التي تعيش معه بمفردها في منزله! وكان جوابه للمَبَاحِث الأمريكية عن سبب القتل هو قوله: «أنا لم أقتلْها وإنما قتلتُ الشيطان في داخلها»!

ونقرأ عن ملَاك الرحمة المُمَرِّضة الشابة «جين تابن» التي تحوَّلتْ إلى أبشع سفَّاحة دموية! استطاعت أن تُخْفِي جنونها عن الناس لفترة طويلة اقترفت خلالها العديد من الجرائم البشعة، متخَفِّية تحت لِباس ملائكة الرحمة، إنها امرأة وجدتْ الكثير من الإثارة والمتعة في إزهاق أرواح الناس، وتمنَّتْ لو أنها استطاعت حَصاد أكبر قدْرٍ منها. إنها تشعر بنشوة عارمة وهي تشاهد ضحاياها يَحْتَضِرُون!

ويزداد العجب عندما نصل إلى قضية الطبيب الألماني «كارل تانزلير» ذلك العجوز العاشِق الذي تحوَّلتْ جريمته إلى قصة أُسطورية نالت تعاطف الكثيرين معه، وجعلت رسائل المُعْجَبات تنهال عليه من كل حدَب وصَوْب!

وقد تكون حوادث الاختفاء هي الحدَث الأكثر غموضًا عندما يتعرَّض له شخصٌ ما فيكون هو الكابوس الذي لايريد أبدًا أن يحلم به أحد.

وربما تكون الحسناء: «نيل كروسبي» هي صاحبة الاختفاء الأشهر في مطلع القرن العشرين بالولايات المتحدة الأمريكية. وستأتي قصتها معنا في هذا الكتاب.

كما قد يكون مصرع عالِمة الذَّرَّة النووية «سميرة موسى» في ولاية «كاليفورنيا» بأمريكا، في حادث سيارة غامض= هو من الحوادث الأكثر غُمُوضًا في تاريخ مصر الحديث!

وقد عرف العالم كثيرًا من المجرمين، ولكن التاريخ لم ينْس أبدًا حكاية «جان باتيست جرينوي» والذي عاش في القرن الثامن عشر، وذلك لأنه فعْلًا على عكس جميع أشرار ومُجْرِمي التاريخ.

فقد كان «جان باتيست جرينوي» ينتمي إلى عالم لم يعرفه أحد غيره، وتفسير ذلك أنه لم يقتل النساء من أجل المتعة، ولا بحْثًا عن اللذة، إنما كان يقتلهن من أجل فكرة مجنونة من بنات أفكار إبليس!

الدافع وراء القتل لدى «جان باتيست جرينوي» كان جَمْع روائح أجسام النساء، لتجميع عِطْر بشَري لم يبلغه أحد من قبل!

كما لم ينس التاريخ جريمة أغرب من الخيال .. لكنها حقيقية .. عن «كونتيسة هنغارية» التي حوَّلتْ قلعتها إلى مسْلَخ بشَرِيٍّ من أجل المحافظة على جمالها!

فقد قامت بقتْل وتقطيع أوصال أكثر من: 650 فتاة بريئة لتستحمَّ بدمائهن!

وكذلك جرائم السفَّاح المشهور: «تيمور لنك» الذي كان يتلذَّذ ببناء أبراج مُشيَّدة من جماجم ضحاياه! وكان نِقْمة على العالم الإسلامي، لقيامه بمجازر وحشية ينْدَى لها جبين الإنسانية رغم ادِّعائه الإسلام والتديُّن!

ولم تقف غوامض الجرائم وعجائب بواعثها وأسبابها عند حدٍّ معلوم! بل قد تجاوزتْ ذلك حتى مع الأم وأولادها!

فجريمة الأستاذة الجامعية: «أندريا ياتز» قد هزَّتْ الرأي العام في الولايات المتحدة، وحازتْ على اهتمام إعلامي كبير، ليس لبشاعتها فحسب، لكن أيضا لتضافر عدة عوامل اجتماعية وطِبِّيَّة ودِينية أدَّتْ مجتمعة إلى وقوع هذه الكارثة التي كانت حديث الناس في تسعينيات القرن الماضي.

حيث قامت «أندريا ياتز» بقتل أولادها الخمسة مرة واحدة بأسلوب بَشِعٍ للغاية! ثم زعمتْ أنها إنما قَتلَتْهم لتنقذهم من جهنم!!

ومثلها كانت السيدة «بيل جونيس» التي قتلت أولادها الثلاثة بدمٍ بارد! إنها قاتلة لم يعرف قلبها الرحمة، كانت تستمتع بتشريح وتقطيع جثث ضحاياها ورَمْي أشلائهم إلى الخنازير الجائعة لتلْتهمَها، وكل هذا من أجل المال الذي كانت تعشقه بجنون إلى الحدِّ الذي لم تُبالِ بقتْل أطفالها من أجله!

وهناك امرأة أخرى تُدْعَى: «إنركيتا مارتي ريبولس» أو «مصَّاصة دماء برشلونة» كما كانوا يُلَقِّبونها!

إنها أشهر قاتلة أطفال في التاريخ الحديث، امرأة «كاتلونية» تجرَّدتْ من كل عاطفة

ورحمة، وتحولت إلى مخلوق بَشِع يقتات على بقايا الأطفال وأشلائهم، ليس لمَرَض عقْلي أو عُقْدة نفْسية، كما هو الحال بالنسبة لبقية المجرمين، لكن من أجل المال.

فالأطفال هم جزء من مِهْنتها، وشحومهم ودماؤهم هي أهم عنصر في صَنْعَتِها، فهي ساحرة شريرة تحتفظ بمجموعة من الكتب والمخطوطات السِّحْرية القديمة، وتستعملها لِصُنْع وَصَفاتِها الدموية.

فَمِنْ شحوم الأطفال ودمائهم: كانت تصْنَع مُسْتحْضَرات تجميل للأغنياء!

وهناك جرائم أخرى هي من أغرب ما سمع به الناس أو وقفوا عليه، وكلها مما قمنا باختيارها في هذا الكتاب؛ لتكون سَميرًا للقارئ، وعظة للسامع، وعِبْرة للمتأمِّل.

المؤلف

مقدمة حول علم الجريمة

يُعْنَى عِلْمُ الجريمة بدراسة الجريمة والمجرمين والسلوك الإجرامي والقضاء الجنائي دراسة علمية. ويقوم علماء الجريمة بالبحث في العوامل ذات العلاقة بالجريمة. كما يدرسون الأفراد بُغْية التوصُّل إلى معرفة: كيف ولماذا يُقْدِم بعض الناس على ارتكاب الجرائم.

وتشمل معظم البحوث في علْم الجريمة ميادين متعلقة بالجريمة، مثل: علم الاجتماع وعلم النفْس والطب النفْسي.

يساعد عِلْم الجريمة على فهْم طبيعة الجريمة، حيث تُساعد نتائج أبحاثه قادة المجتمعات والمسؤولين عن تطبيق القانون في جهودهم الرامية إلى منْع الجريمة. كما يُساهِم علماء الجريمة في التوصل إلى أفضل السبل لعلاج المخالفين.

يُدَرَّسُ عِلْم الجريمة بصفة عامة في كلية الحقوق أو الطب أو عِلْم الاجتماع، التابعة لأحد المعاهد أو الجامعات. كما أن في بعض الجامعات أقسامًا خاصة بعلْم الجريمة، أو القضاء الجنائي.

وقد أكَّدت الدراسات في عِلْم الجريمة على العلاقة بين السمات البيولوجية والسلوك الإجرامي. لكن علْم الجريمة اليوم، يركز كثيرًا على الأسباب الاجتماعية والبيئية التي تدفع الأفراد لارتكاب الجرائم، لذلك تزداد أهمية الدور الذي يضطلع به البحث الاجتماعي في علْم الجريمة.

ماذا يَدْرُس علماءُ الجريمة

يُكرِّس علماء الجريمة الكثير من البحث لدراسة العوامل الشخصية أو العوامل الأخرى التي تُؤدي إلى ارتكاب الجرائم، إذ تتناول معظم الأبحاث في علْم الجريمة الأوضاع البيئية التي ترتبط بالجرائم. وتُركِّز بعض الدراسات على العلاقة بين الجريمة والعوامل البيولوجية الأخرى مثل: تركيب الدماغ والاضطرابات الكيميائية.

كما تؤكد أبحاث أخرى على الدوْر الذي تقوم به عواطف الناس ودوافعهم في السلوك الإجرامي.

تُسْتَخْدَمُ نظريات علم الاجتماع وأساليبه بمثابة المنطلق الأساسي في معظم الدراسات التي تُعنى بالأسباب البيئية التي تقف وراء الجرائم، ويبحث كثير من العلماء في العلاقة بين الجريمة والمشكلات الاجتماعية الأخرى، بما فيها الفقر والمساكن السيئة والاكتظاظ السُّكَّاني. كما يدرس بعضهم كيف يُكتَسَب السلوك الإجرامي من خلال معاشرة الناس، بمن فيهم المجرمون ممن لا يحترمون القانون.

ويدرس علماء الجريمة كذلك عِلْمَ العقاب، وهو علم معاقبة المخالفين وعلاجهم. وخلال العَقْد الأول من القرن العشرين، بدأ علماء العقاب بتأكيد أهمية إعادة تأهيل؛ أي معالجة المجرمين بهدف إعادتهم إلى ممارسة حياتهم المفيدة، إلا أن الدراسات التي أُجْرِيَتْ في السبعينيات من القرن العشرين أظهرت عدم جدْوَى إعادة التأهيل.

ويُوصِي علماء الجريمة اليوم بأهمية العقاب أكثر من أي وقت مضى، وبسرعة تقديم المتهمين للمحاكمة، وبفرض أحكام عادلة ومتجانسة، وتأمين سجون يُراعَى فيها قدرٌ أكبر من الاعتبارات الإنسانية.

ولا يعتقد معظم علماء الجريمة أن أساليب البحْث الجنائي جزء من علم الجريمة. فالذين يقومون بالبحث عن الأدلة الجنائية وأعمال التحرِّي الأُخرَى التي يقوم بها المخبرون هم عادة أعضاء في قوات الشرطة.

نبذة تاريخية

بدأ عِلْم الجريمة في الظهور بوصفه مجالًا دِراسيًّا مستقلًّا في القرن الثامن عشر الميلادي. ففي عام 1764م. قام أحد خبراء الاقتصاد الإيطاليين ويُدْعَى «سيزر بونيسانا مركيز دي بيكاريا» بتأليف كتاب بعنوان: «في الجرائم والعقوبات». وقد أصبح هذا الكتاب أساس المدرسة التقليدية في علم الجريمة.

وقد احتج «بيكاريا» وأتباعه ضد العقوبات الصارمة التي كانت تَنْزَل بالمجرمين عادة في ذلك الوقت. وقالوا إن الهدف الوحيد من العقوبة يجب أن يكون منع ارتكاب الجريمة في المستقبل. وقد افترض «بيكاريا» أن المجرمين يتمتعون بحرية الإرادة، وأن تصرُّفاتهم تأتي بدافع المُتْعة أو الألَم. وكان يعتقد أن من الممكن منع ارتكاب الجريمة عن طريق حتْمية العقاب وسرعة تطبيقه، بدلًا من قسْوته.

ويقول «بيكاريا»: إن كل من انتهك قانونًا معيَّنًا يجب أن ينال العقوبة ذاتها، بغض النظر عن السِّنِّ والجنْس والثروة، أو المكانة الاجتماعية. وتُعَدُّ مبادئ المدرسة التقليدية بشكلها المُعدَّل أساس القانون الجنائي اليوم في كثير من البلدان.

أما المدرسة الإيجابية في علم الجريمة، التي تُعْرَف بالمدرسة الإيطالية فقد تطورت في أواخر القرن التاسع عشر. وقد نقلت هذه المدرسة التركيز بصفة عامة في علْم الجريمة، من الجريمة ذاتها إلى دراسة المجرمين والأسباب المحتملة وراء تصرفاتهم. ويعتقد الإيجابيون أن السلوك الإجرامي، ينتج عن أوضاع لايمكن للمجرم التحكم فيها.

كان أبرز زعماء المدرسة الإيجابية «سيزر لومبروسو»، وهو طبيب إيطالي وقد درس كثيرًا من المجرمين وتوصل إلى أن بعض الصفات البدنية ميَّزتْ هؤلاء المجرمين عن بقية الناس. إلا أن أفكاره ثبت بطلانها، على الرغم من أن منهجه العلمي في دراسة الجريمة، أرسى ركائز علم الجريمة الحديث.

وفي القرن العشرين الميلادي، اقترح علماء الجريمة أنواعًا شتَّى من النظريات في الجريمة. فقد طور «إدوين سذرلاند» ـ وهو من علماء الجريمة الأمريكيين ـ نظرية المصادقة التفاضلية، التي تنص على أن السلوك الإجرامي بأكمله، يُكْتَسَب من خلال مصادقة المجرمين أو الخارجين على القانون.

ويعتقد آخرون من علماء الجريمة، أن بِنْية المجتمع تدفع بعض الناس إلى اللجوء إلى أساليب إجرامية، سَعْيًا وراء الحصول على مكاسب كالثروة أو المكانة الاجتماعية. ومع

ذلك يقول علماء آخرون إن المجتمع هو الذي يتسبَّب في الجريمة. وهكذا فإنه ليس من الممكن الحد من مُعدَّل الجريمة، أو القضاء عليها، إلا بتغيير نظام المجتمع نفسه.

القَتَلَة المُتَسلْسِلون

دائمًا ما تُثِير لفظة «قاتِل مُتَسلْسِل» اهتمام الجميع ونفورهم في ذات الوقت!.. لكنه الاهتمام بِسَبْر أغوار هؤلاء الناس لمعرفة الدافع النفْسي والظاهرة غير الطبيعية التي تُؤدِّي بشخص ما ليقتل أكبر عدد من الأبرياء الذين لا ذنب لهم..

وسنحاول هنا معرفة الأسباب والدوافع التي تُحرِّك القَتَلة المُتسلْسِلِين بعَرْض أشْهَر القتلَة المتسلسلين عبْر التاريخ..

ولكن دعونا أولًا نعرف.. مَن القاتل المتسلسل؟

يصف مكتب إحصائيات القضاء الأمريكي (Bureau of Justice Statistics) القاتل المتسلسل بأنه «الشخص الذي يقتل ثلاث ضحايا فأكثر في أماكن منفصلة بفارق زمَني غير مُحدَّد المُدة»

يعني: أن القاتل المتسلسل هو شخص ذو تاريخ من حوادث القتل المتعددة وغير المُعَدِّ لها مُسْبَقًا.. تلك الظاهرة بدأت في النصف الأخير من القرن العشرين إذا استثنينا حالة واحدة مُسجَّلَة في التاريخ للكونتيسة (إليزابيث باثوري) المُتوفَّاة عام 1614م، والتي دارت الأساطير حول دَمَوِيَّتها وسادِيَّتها وقَتْلاها الذي تحْكِي الأساطير أنهم يقْربون من ستمائة شخص!

ومن أوائل القَتَلة المُتسلْسِلِين في سجلات التاريخ الحديث اللندني «جاك السفاح» عام: 1888، والألماني «فريتز هارمان» عام 1924م.

وتُعَدُّ الولايات المتحدة الأمريكية أكثر البلاد ابتلاء بهذا النوع من القتلَة؛ حيث يتركز فيها نسبة 76٪ منهم.. ولا يزالون في ازدياد، طِبْقًا للإحصائيات فقد زادت نسبة القتلَة

المتسلسلين في أمريكا بنسبة 94٪ في الثلاثين سنة الأخيرة.. ويتوقع الخبراء إذا استمرت الزيادة على هذا المنوال أنه سيكون هناك 11 ضحية يوميًّا للقتلة المتسلسلين.

صفات القاتل المتسلسل

على عكس ما يتصور السواد الأعظم من الناس عن القتلة المتسلسلين فإنهم يبدون طبيعيين تمامًا في تعاملهم مع المجتمع، ومن الصعب جِدًّا معرفة أن الجار اللطيف أو مُدرِّس الرياضيات الهادئ هو في الحقيقة قاتل متسلسل.

وأشهر مثال من القتلة المتسلسلين ممن ينطبق عليهم هذا الكلام هو «تيد بندي» الذي سيأتي الحديث عنه بالتفصيل لاحقًا.. إنه رجل وسيم ساحر يملك روحًا مَرِحة ويعيش حياة طبيعية جدًّا.. ولم يشك أحدٌ فيه أو يُصدِّق حتى لحظة القبْض عليه أنه ذلك الوحش.

وغالبا ما يكون القاتل المتسلسل ذَكَرًا أبيض البَشْرة، يتراوح سنه ما بين الخامسة والعشرين والخامسة والثلاثين، مستوى ذكائه متوسط (أحيانًا أقل من المُعدَّل الطبيعي وأحيانًا أكبر)، لا يشترط انتماؤه لفئة معينة من المجتمع.. يمكن أن يكون من الأغنياء أو الفقراء، أعمار ضحاياه متفاوتة إلى حدٍّ كبير، ليس هناك أي رابط بينه وبين ضحاياه (ليس هناك دوافع كراهية أو انتقامية ضدهم)، يُمثِّل ضحاياه له رمزًا ما في عقْله مما يصنع الرابط الذي يدفعه لقتلهم.

كيف نُحدِّد نوع الجريمة؟

تُصنَّف الجريمة عادة كجرائم للقتْل المتسلْسِل كالآتي:

عندما تُرْتَكَب أكثر من جريمة يكون العامل المشترك بينها ألا يكون هناك أية علاقة تربط القاتل بالضحية .. يكون غالبًا موعد ارتكاب الجريمة ومكانها مختلفين عن الجرائم السابقة، وألا يكون هناك ما سرق من الضحية.. أي أن الجريمة ليست لدافع السرقة.

وغالبًا ما يكون ضحايا القاتل المتسلسل من المهمَّشين اجتماعيًّا أو من غير القادرين

على الدفاع عن أنفسهم لوضاعة شأنهم أو لضعفهم الجسدي (مثل: العاهرات، والمشرَّدين من المهاجرين غير الشرعيين، والشواذ جِنْسيًّا، والأطفال التائهين، أو السيدات المُسِنَّات العوانس).

الفارق بين القاتل المتسلسل والعشوائي والهَوَسِي.

مصطلح «قاتل مُتَسلْسل» ظهر لأول مرة لوصف «تيد بندي»، القاتل الأمريكي الذي قتل حوالي مائة شخص في فترة زمنية قدْرها خمس سنوات ما بين عامي 1974م. و1979م.

دائمًا ما يترادف مصْطَلَحيْ «قاتل متسلسل» (Serial Killer) و«قاتل عشوائي» (MassMurderer) إلا أن خبراء علم الجريمة لهم رأي آخر!.. فهم يرون فارقًا كبيرًا بين المُصْطلَحيْن.

فالقاتل المتسلسل: هو القاتل الذي يترك فترة زمنية طويلة نِسْبيًّا بين كل ضحية والأخرى.. يكون القاتل عادةً في تلك الفترة بين كل جريمة والأخرى في حالة نفْسية سوية كأي شخص عادي.

أما القاتل العشوائي: فهو يقتل عددًا من الأشخاص في نفس الوقت، كمن يقتحم مكانًا ليفرغ مدفعه الرشاش في كل من يعترض طريقه.. وأفضل مثال للقتلة العشوائيين يكون غالبًا في الحروب.. حيث تكثر المذابح والإبادات العِرْقِية وما إلى ذلك.. كما يحدث في فلسطين على سبيل المثال.

وهناك أيضًا نوع آخر من القتلة يُسمَّى «القاتل الهوسي».. وهو كالقاتل المتسلسل يقتل واحدًا أو اثنين في المرة.. لكنه لا يترك وقتًا بين كل جريمة وأخرى.. والفارق بينه وبين القاتل المتسلسل أن القاتل المتسلسل دوافع القتل لديْه تتلخص في استدراج الضحية للموت، أما القاتل الهَوَسي فدافعه هو أن يذهب للصيد..

ومن أشهر الأمثلة للقاتل الهوسي «هوارد أونروا» الأمريكي الذي عاد لبيته في «نيو جيرسي» ليكتشف أن بوابة الحديقة قد تمت سرقتها.. ليدخل لِسحْب سلاحه من البيت ويخرج للشارع ليطلق النار على 26 شخصا مات منهم 13 وأُصِيب الآخرون بجروح متفرقة.

دوافع القاتل المتسلسل

القاتل المتسلسل ما هو إلا قاتلا متسلسلا.. أليس كذلك؟

فهناك أنواع للقتلة المتسلسلين حسب الدوافع طِبْقًا لتصنيفات الخُبَراء.

وهناك أربعة تصنيفات أساسية لهم:

١- هُمْ مَنْ قَتَلُوا؟

ويُسمَّى بقاتل الرُّؤَى (Visionary).. هذا النوع غالبًا ما يكون مصابًا بانفصام الشخصية والذِّهان (اضطراب عقلي).. ودائمًا ما يتوهَّم أن (هُمْ) مَنْ دفعوه للقتْل.. و(هُمْ) يوجِّهون حياته عن طريق سماعه لأصواتهم داخل عقله المريض..

وغالبًا لا يُسْلِّم القاتل من هذا النوع نفْسه للشرطة أبدًا.. لأنه لا يؤمن حقيقةً أن (هو) مَنْ ارتكب تلك الجرائم.. (هُمْ) فعلوا.

٢- مهمة من السماء؟

ويُسمَّى بالقاتل المكلَّف بمهمة (Mission-Oriented).. وغالبًا ما يُؤمِن القاتل من ذلك النوع بأن مهمته هي تخليص العالم من العناصر الفاسدة والتي لا تُحْدِث فارقًا في سيْر الحياة.. وغالبًا ما يمتزج بشعوره أنه المُخَلِّص أو المسيح القادم لينقذ العالم..

وهذا النوع يكون غير واعٍ للعالم من حوله.. منفصل تمامًا عن المجتمع حتى وإنْ أظهر اندماجه فيه.

٣- قَتْل للقتْل؟

يُصْطَلَح على تسميته القاتل بدافع الاستمتاع (Thrill-Oriented).. وذلك النوع يقتل لمتعته الشخصية.. وكلما استمر في القتل كلما زادت لذته.

وهذا النوع من القتلَة مريض غالبًا بالسادية التي هي حب تعذيب الآخرين.

٤ - سادِيَّة مُطْلَقة؟

ويُسمَّى بقاتل الشهوة (Lust).. ويقْتُل هذا النوع لإشباع رغبته الجنسية.. وهذا النوع هو أعنف أنواع القتلة المتسلسلين.. فهو يتلذَّذ بتعذيب الضحيَّة والتمثيل بها بعد موتها بأبشع الطرق.

وللأسف فإن القاتل من هذا النوع صعب جدًّا القبض عليه.. فهو يتمتع بالذكاء الاجتماعي الشديد .. ومن المستحيل تقريبًا التفرقة بينه وبين أي شخص عادي لكثرة اختلاطه بالناس وعدم ظهور ساديته على الملأ.

وعمومًا فدوافع القاتل المتسلسل في أغلب الأحيان ناتجة عن دوافع سادية.. وغالبًا ما يُصنَّف بأنه سيكوباثي (كاره للمجتمعات وغير قادر على التعاطف والإحساس بمعاناة الآخرين).. ويقوم بعض القتلة المتسلسلين بتعذيب ضحاياهم قبل القتل أو التمثيل بجثثهم بعد القضاء عليهم.

وعلى الرغم من تفاوت دوافع القتلة المتسلسلين كما سنرَى لاحقًا فإن القاتل المتسلسل لا يتوقف أبدًا عن قتْل ضحاياه إلا إذا تمَّت إعادة تأهيله أو القبض عليه.. أما غير ذلك فإن القاتل سيستمر في إهلاك أرواح ضحاياه حتى لو كان الفارق الزمني بين كل ضحية والأخرى سنواتٍ .. وتلك قاعدة عامة في نفْسية القتلة المُتَسلْسِلِين إلا في استثناءات نادرة.

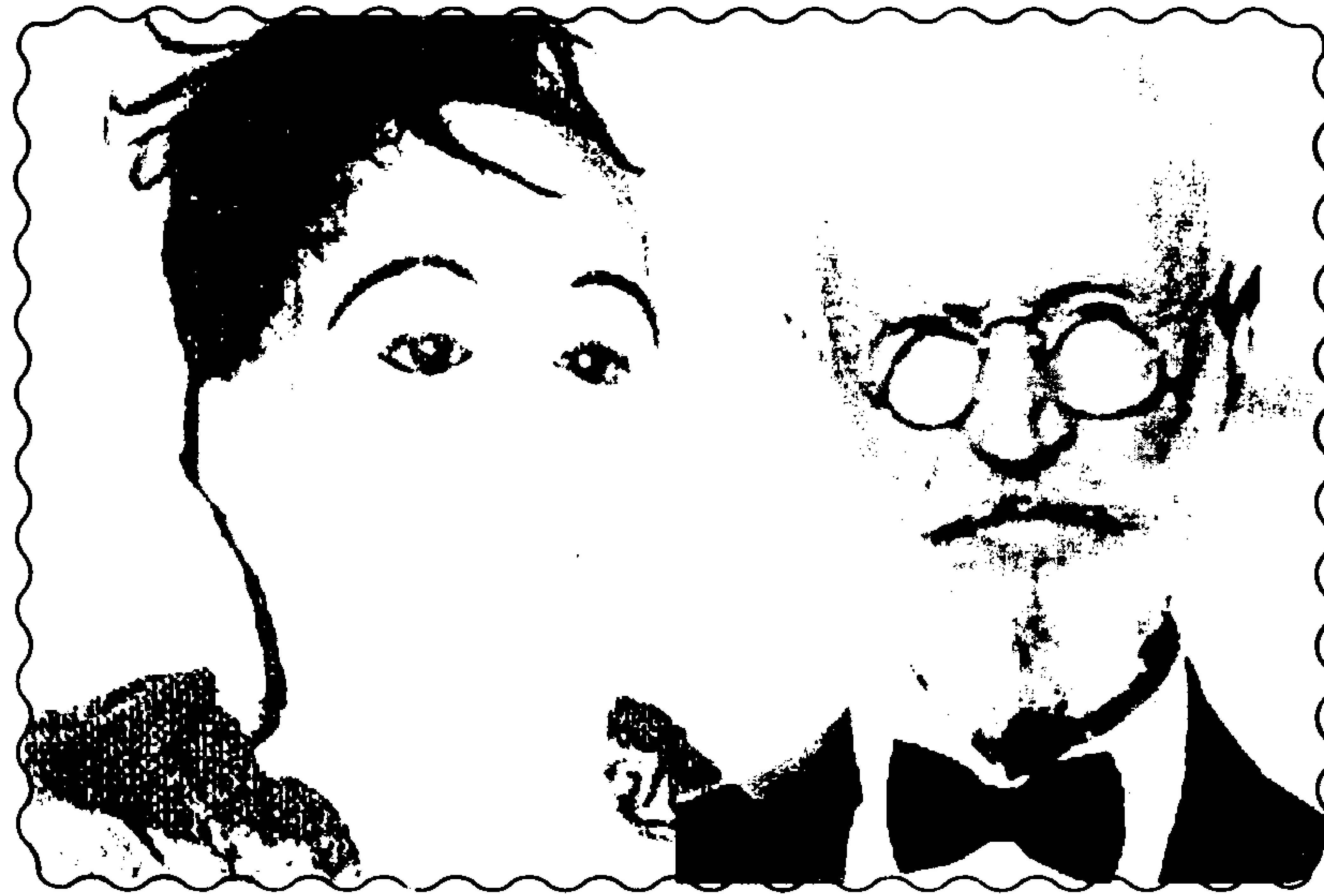
وفي العديد من محاكمات القتلة المتسلسلين يكون الحكم بأن القاتل ليس مذنبًا لدوافع جنونه.. وقليلًا ما صدر الحكم على أحدهم بالإعدام.. وفي معظم الحالات تمرُّ شهور طويلة أو سنوات للقبض على قاتل متسلسل.. على حسب الفترات الزمنية التي يقتل بينها واكتشاف الشرطة للدافع الذي يقْتُل من أجله [1].

1- نقلا عن مقال: (القتلَة المتسلسلين. تقرير مرعب) المنشور على الموقع الإلكتروني: (As well as Mesa) بتاريخ: (١٠/ ٢/ ٢٠٠٨م).

1

العجوز العاشق ... وهَوَس الغَرَام!

أغرب قصة حب .. هل حقًّا كان كارل مُغرمًا أم مجنونًا ؟



على عكس معظم الناس، هناك أشخاص لا يخشون جُثث الموتى بل يعشقونها !! يستمتعون في أحضانها الباردة العفنة .. يُقلِّبونها .. يُقبِّلونها .. إنها بالنسبة لهم الشريك الأمْثل .. فهي لا تتكلم .. لا تتألم .. ولا تحْدِق باشمئزاز إلى وجوههم الكالحة المُكْفَهِرَّة. آسف .. قد يزعجك هذا الحديث عزيزي القارئ .. لكن حسبك .. فهذه مجرد مقدمة، أما القَرَف الحقيقي فسأُغْدقه عليك لاحقًا بمنتهَى الكرَم والسخاء. لذا أرجو أن تُراجِع نفسك جيدًا قبل المُضِيِّ في القراءة. خصوصًا إذا كنتَ مثلي أنا! تخشى الظلام وتجد الكوابيس طريقها إلى أحلامك بسهولة ..

لكن إذا قررتَ الاستمرار .. وهذا شأنك طبعًا .. فلا تلُمْني لاحقًا، ولا تعتِب ولا تتعجب .. وتذكَّر بأن في داخل كل واحد منا يقْبَع الشيطان كنقطة سوداء صغيرة، أحيانًا نترك لها العَنان فتنمو بسرعة حتى يصبح من الصعب التمييز .. أيُّهم هو الإنسان وأيهم هو الشيطان !؟.

ممارسة الحب مع الجثث أو حتى مجرد الانجذاب إليها يعتبر أمْرًا بَشعًا ومُقزِّزًا في نظَر معظم الناس، لذلك تُلاحِق الأشخاص الذين يقدمون على ارتكاب هذا الفعل نظرة من الاحتقار والاشمئزاز.

لكن في قضية العجوز الألماني كارل تانزلير (Carl Tanzler) انقلبت الموازين، فقصته الأسطورية نالت تعاطف الكثيرين وجعلت رسائل المُعْجبات تنهال عليه من كل حدَب وصَوْب!!.

«تانزلير كارل» طبيب ولد في ألمانيا عام: 1877م. وترعرع في مدينة درسدن .. وسافر في شبابه متجولا عبر أوربا، كما عاش عدة أعوام في أستراليا، ربما هربًا من الخدمة العسكرية خلال الحرب العالمية الأولى.

منذ طفولته وخلال سفراته العديدة زعم كارل بأن طَيْف إحدى قريباته التي ماتت منذ زمن بعيد تجلَّى له في خلواته عِدة مرات ورسم له على صفحة الخيال وجهًا كالبدر في سَنائه لحُورِيَّة سمراء داكنة الشعر ..

الشبح أنبأ كارل بأن هذا الوجه الفاتن سيكون حُبَّ حياته الحقيقي، وأن القدر سيقوده إليه يومًا ما.

تلك الرؤيا لعبت دورًا مهمًّا في رسْم مجرَى الأحداث المستقبلية لحياة كارل، لأنه مثل العديد من الرجال والنساء حول العالم .. آمن بما يسمى الحب الحقيقي، ذلك الغرام الذي يزعمون بأنه يصادف الإنسان لمرة واحدة فقط في حياته ..



قضى عمره يبحث عن حب حياته المفقود ؟

ينتظرونه على أحرِّ من الجمْر عسى أن يمر بهم يومًا في طريق .. أو يصطدم بهم عرَضًا على رصيف .. يفتشون عنه عبثًا في وجوه المارَّة .. لكن للأسف .. قلَّما ونادرًا ما يعثرون عليه .. ثم تمر السنون مُتْرَعة بالأفراح والأتراح فينسون أو يتناسون ذلك الحلم الوردي القديم ويطوونه كما يُطْوَى الثوب البالي ليُنْبذ جانبًا في زاوية مظلمة منسيَّة من الدولاب.

لكن كارل لم يكن كالآخرين .. لم يتخلَّ عن الوهم بسرعة كما فعلوا، بل طارد حبيبته الخيالية ذات الوجه الملائكي لسنوات طويلة، بحث عنها بلا هوادة رغم أنه لم يكن يعلم عنها شيئا سوى صورتها المطبوعة في دماغه .. لكن مرور السنوات أوهن عزيمته وأحبطه اليأس، فقرر أخيرًا في سن الثالثة والأربعين أن يتخلي عن الوهم وعزم على الاقتران بامرأة حقيقية من لحم ودم.

في عام 1920م. تزوج كارل من إحدى مواطناته الألمانيات .. وسرعان ما وجد نفسه أبا لطفلتين جميلتين، لكن زواجه وأُبُوَّته لم يمحوا عن ذاكرته خيالات وأطياف الحبيبة الموعودة التي ستأتي يوما ما لتغير حياته كلها .. أو هكذا ظن صاحبنا.

في عام 1926م. هاجر كارل إلى الولايات المتحدة واستقر به المقام في «فلوريدا» حيث حصل على وظيفة دائمة كأخصائي أشعة في أحد مستشفيات المدينة. ومرت السنوات هادئة رتيبة انشغل خلالها الرجل بعمله وبرعاية عائلته الصغيرة التي أحضرها معه إلى أمريكا .. لكن في سن الثالثة والخمسين، وقع أخيرًا الحدث الذي كان مُقدَّرًا له أن يقلب حياة العجوز رأسًا على عقب.

صُدْفة أثناء عمله التقى كارل بحسناء كُوبِية سمراء تُدْعَى «ماريا إلينا دي هويوز» كانت قد أتتْ إلى المستشفى بصحبة والدتها. الفتاة ذات الواحد والعشرين ربيعًا كانت تعاني من مرض السُّلِّ الذي كان آنذاك مرضا مستعصيًا عجز الطب عن علاجه.

ومن النظرة الأولى إلى وجْه تلك الحسناء اللاتينية اهتز قلب العجوز ورقص طربًا كأنما دبَّت فيه الحياة واخضرَّ عُودُه بعد سنوات عِجاف طويلة .. لقد رأى في وجه ماريا طَيْف الحبيبة الموعودة!.



هويوز .. هل كانت حقًّا تستحق كل هذا الحب



لأشهر طويلة بذل كارل كل ما في وسعه لإنقاذ الفتاة، حاول معالجتها مستجمعًا كل خبرته المتراكمة في مجال الطب، لازم فراشها ليل نهار، أغدق عليها وعلى عائلتها شلّالًا من الهدايا، تعلَّم الإسبانية لكي يُغنّي لها ويَقْرِض الشعر بِلُغَتها، أفرغ عليها كل ما في جُعْبته من عاطفة وحنان ..

عمل كل شيء أمَلًا في شفائها .. لكن جهوده وأمانيه ذهبت كلها أدراج الرياح بعد أن امتدت يد الموت إلى حبيبته فاستلَّتْ روحها من دون رحمة في ليلة كئيبة من ليالي عام 1931م.

كان حزن كارل عظيمًا مما دفع الكثيرين للتساؤل عن طبيعة علاقته بالفتاة، هل كان حُبًّا من طرف واحد ؟ أم أن الفتاة بادلتْه المشاعر ؟ .. لقد رحلت ماريا من دون أن يعرف أحد طبيعة مشاعرها تجاه العجوز .. لقد كان فارق العمر بينهما كبيرًا .. ثلاثين حولا بالتمام والكمال ..

كانت هي شابة حسناء بينما هو عجوز مترهِّل شابت ذَوائبه وتساقط شعره .. لكن ربما وجدت ماريا في ذاك العجوز حنانًا افتقدته في زوجها الذي كان قد هجرها قبل

عامين لأنها أسقطت عن غير عمد طفله الذي كانت حاملا به .. وربما رأت فيه أيضا أمَلًا ورجاءً في الشفاء من مرضها .. أو ربما أحبَّتْه طمعًا في هداياه وأمواله التي كان يغدقها عليها وعلى عائلتها بغير حساب.

على أيَّة حال وأيًّا ما كانت مشاعر الفتاة نحوه، فقد غدا كارل ضيفا دائما على منزل والدي ماريا، وحين ماتت الفتاة تحمَّل هو جميع نفقات جنازتها وتكاليف دفْنها، وصار يقضي لياليه مستلقيًا على بلاط ضريحها الفخم الذي شيَّده هو لها، يناجيها باكيًا ويُغَنِّي لها بالأسبانية بصوت هو أقرب إلى النشيج والعويل.

في عام 1933م. وبعد عامين على رحيلها، لم يعد كارل يُطيق فراق حبيبته، زعم بأن شبحها تجلَّى له في إحدى الليالي بينما كان راقدًا إلى جوار قبرها .. توسل إليه في أن يأخذها معه إلى المنزل ..

لذلك قام بنَبْش قبرها واستخرج جثتها المتحلِّلة ونقَلَها تحت جُنْح الظلام إلى بيته الصغير المنفصل عن منزل زوجته وعائلته. كانت الجثة متعفِّنة وفي حالة تفسُّخ، فقام العجوز بربْط وتثبيت عظامها بالأسلاك، ووضَع عينيْن زُجاجيَّتيْن محلَّ عينيْها اللتيْن كانتا قد بُليتا تماما.

كما استبدل جلد الفتاة المتهرِّئ بقماش حريري طَلَاه بالأصباغ ليُضاهي لون الجلد الحقيقي، أما الأحشاء والأعضاء الداخلية فقد وضع مكانها خِرَقًا من القماش ليعطي الجثة مظهرًا واقعيًّا، ولم ينْس أيضا أن يُتبِّل الجثة بكمية كبيرة من العطور والبخور لإخفاء رائحة العفَن الكريهة.

جثة ماريا بقيت في منزل كارل لسبعة أعوام، كان يضعها إلى جانبه في السرير وهي ترتدي ملابس العروس! .. يُكلِّمها ويناجيها كما لو كانت على قيْد الحياة .. لكن في عام 1940م. ألقت الشرطة القبض على كارل بعد أن داهمتْ منزله وعثرت على الجثة .. كانت شقيقة ماريا هي التي تقدمت بشكوى إلى الشرطة اتهمت فيها كارل بنبْش قبر أختها وسرقة جثتها.



هيوز الحقيقية - مُومْياؤُها - ما تحت المومياء مِنْ تَفسُّخ.

سرعان ما صار «كارل تانزلير» حديث الصحافة في الولايات المتحدة فنال تعاطف الكثيرين معه، لقد أعجب الناس بقصة هذا العجوز العاشق الغريب الأطوار .. حتى زوجته ساندتْه ووقفت إلى جانبه!.

تم تقديم كارل للمحاكمة لكن القاضي لم يسجنه وأطلق سراحه بعد فترة قصيرة من الاحتجاز، أما جثة - أو بالأحرى دُمْية ماريا - فقد تمَّ عرضها للعامة لعدة أسابيع وقد زارها وألقى نظرة أخيرة عليها قرابة 6000 شخصٍ خلال تلك الفترة، وفي النهاية أُعيدت إلى المقبرة لتُدْفَن سِرًّا في قبر مجهول لئلا يحاول كارل نبْشها مرة أخرى.

قضى كارل سنواته الأخيرة في منزل ملاصق لمنزل زوجته التي اعتنت به حتى آخر أيامه. العجوز قام بصنْع دُمْية جديدة لماريا بواسطة قناع الموت[1] الذي كان قد أخذه عن وجهها ..

1- قناع الموت: هو قناع يُصْنَع عن طريق سكْب مادة الجَصِّ أو الشمْع على وجه الميت من أجل الاحتفاظ بصورة طِبْق الأصل عنه، أحيانا كان يُصْنَع من أجل نحْت تمثال أو رسْم لوحة للميت، وقد لاقت هذه الأقنعة رواجًا كبيرًا في الغرب في العصور الوسطى، لكنها انحسرت مع اختراع الكاميرا وانتشار التصوير الفوتوغرافي

وعاش وحيدًا مع تلك الدمية حتى عثروا عليه ميِّتًا داخل إحدى غُرَف منزله في عام 1952م.. عثروا على جثته مطروحة أرضًا وهو يحتضن الدمية.

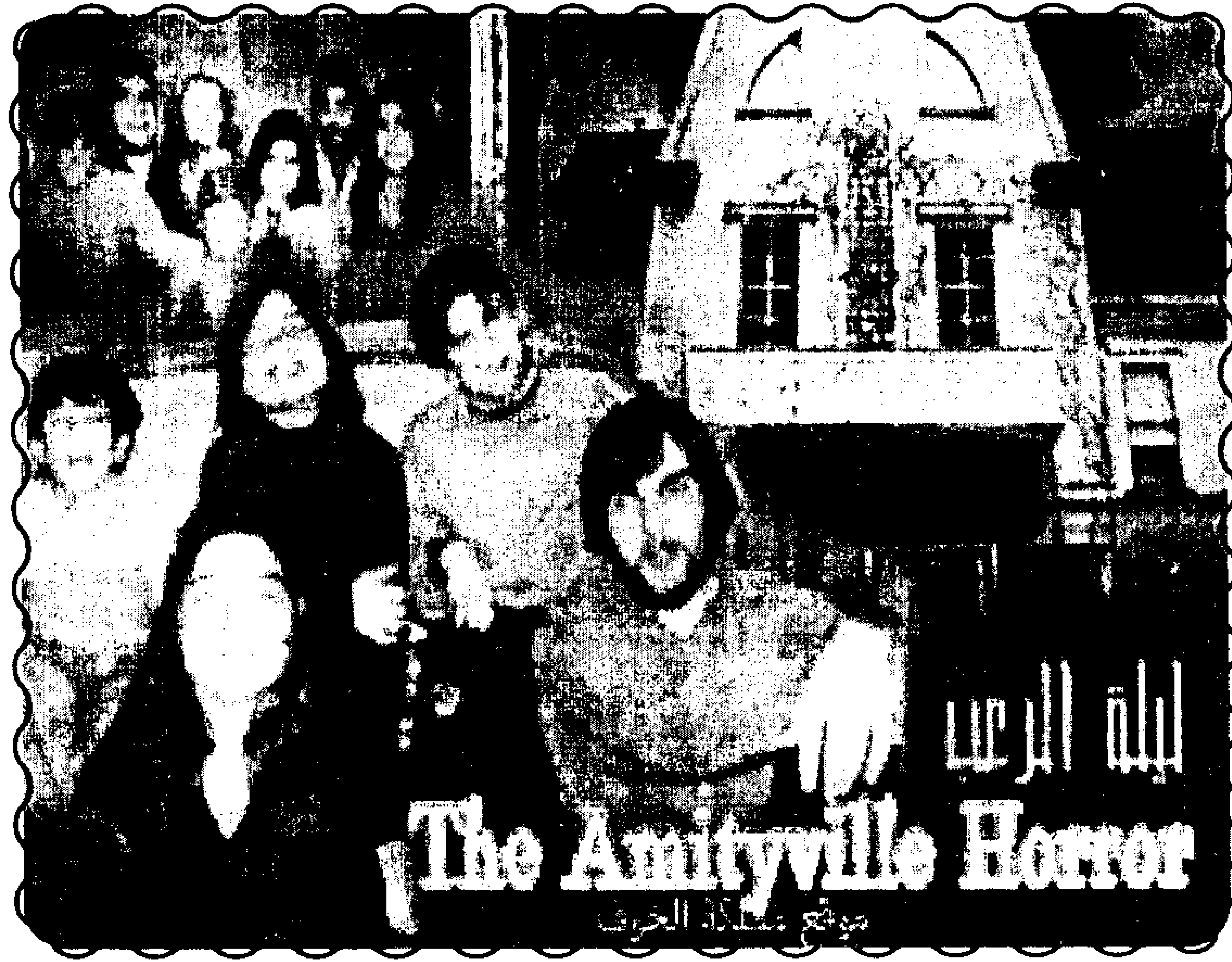
بعد موته تساءل العديد من الناس عن طبيعة علاقة كارل مع الدمية .. هل مارس الحب معها ؟ هل كانت الدمية تشاطره سريره فقط .. أم إن العلاقة كانت أبعد من ذلك؟.

على العموم، ورغم كل شيء .. تبقى قصة «كارل تانزلير» من عجائب وغرائب جنون الغرام .. وربما أعادت إلى ذهننا قصة مجْنونِنا العربي: «قيس بن المُلَوَّح»، فهو أيضا كان حزنُه عظيمًا لموت لَيْلَاه، فجلس عند قبرها تخْنُقه العبَرَات، وتترَقْرَق في مُقْلتيْه الدمَعات.. (1)

1- نقلا عن مقال: (قصة العجوز العاشق) المنشور على الموقع العربي: (Nightmare/ كابوس)، بتاريخ (١١ / ٩ / ٢٠١٠م). والموقع العالمي: (From Wikipedia، the free encyclopedia) تحت عنوان: (Carl Tanzler). والموقع الأجنبي: (Familypedia) تحت عنوان: (Carl Tanzler)

2

ليلة الرعب في منزل عائلة ديفو .. قصة الجريمة التي روّعت أمريكا (1)



رونالد ديفو .. الشاب الملتحي.. قام بقتل أبويه وأشقائه وشقيقيه الظاهرين معه في هذه الصورة

سكون عجيب يَلِفُّ الحي ويمنح الناظر شعورًا زائفًا بالأمان، كل شيء بدا هادئًا ذلك المساء، لكنه كان هدوءًا كاذبًا أشبه بذلك الذي يسبق العاصفة، لا أحد يعلم على وجه الدِّقَّة ماذا جرى في تلك الليلة ولا كيف جرى؟

1- هذه القصة حقيقية، وهناك الكثير من أفلام الرعب حولها، وقد تحوَّل منزل عائلة «ديفو» بمرور الزمن إلى إحدى أشهر أيقونات الرعب في العالم.

لكن الأكيد والمتفق عليه هو أن عدة أرواح بريئة أُزْهِقتْ ببشاعة وبدم بارد على يد أقرب الناس إليها في جريمة غريبة حامت حولها الكثير من الأسئلة، هل تلبس الشيطان جسد القاتل حسب ادعائه ؟ هل ساعده شخص آخر في تنفيذ جريمته ؟ هل المنزل مسكون بالجن حقًّا ؟ لا جواب وإنما المزيد والمزيد من علامات الاستفهام تتراكم عامًا بعد عام حتى أصبح اللغز أُحْجِيَة عَجَز أبرع مُحَقِّقي العالم عن حَلِّه.

صوت شيطاني كان يُدوّي في رأسي .. اُقْتل .. اُقْتل .. اُقْتل

في مساء ليلة 13 تشرين الثاني / نوفمبر عام 1974م. دخل شاب في العشرينيات من عمره مسرعا إلى إحدى حانات بلدة امتيفيل في نيويورك، بدا مضطربا وخائفا، وسرعان ما توجهت جميع الأنظار إليه بعد أن ارتفع صوته صارخا: «يجب أن تساعدوني، أعتقد أن أبي وأمي قد قُتِلا رَمْيًا بالرصاص».

لم تكن جرائم القتل أمرًا شائعًا في البلدة الهادئة الصغيرة، لذلك أسرع بعض رُوَّاد البار مع الشاب إلى منزله لرؤية ما حدث هناك، لوهْلة بدا كل شيء عاديًّا داخل المنزل، لم تكن هناك آثار لعنف أو دماء، لكن في إحدى غُرَف النوم في الطابق الثاني تمدَّد «رونالد ديفو» (43 عاما) و«لويز ديفو» (42 عاما) وسط بركة صغيرة من الدماء، كانا مستلقيين جنْبًا إلى جنب فوق فراشهما، وبدا أنهما قُتِلا بغْتة أثناء نومهما.

وفي غرفة أخرى في نفْس الطابق تم اكتشاف جثتيْن أُخرَييْن، كانتا لصبيين هما «مارك ديفو» (12 عاما) و«جون ديفو» (9 أعوام) ويبدو أنهما قُتِلا بنفْس الطريقة التي قُتِل فيها والِديْهما أي أثناء النوم، وفي هذه الأثناء بدأتْ سيارات الشرطة تهرع نحو المنزل، وسرعان ما انتشر المحققون وخُبَراء الأدلة الجِنائية في أرجائه.

وأثناء تفتيشهما لبقية الغرف اكتشفوا جثتيْن أُخرَييْن في غرفة أخرى، كانتا لفتاتيْن هما «دوان ديفو» (18 عاما) و«اليسون ديفو» (13 عاماً) وقد تمَّ قتلهما أثناء النوم أيضا، لقد بدا جَلِيًّا أن القاتل قام بقتْل جميع أفراد عائلة ديفو باستثناء «رونالد ديفو» الصغير (23 عاما)

الابن البِكْر والذي كان هو أول من اكتشف الجريمة وهرع نحو الحانة القريبة طلبًا للنجْدة. أثناء التحقيق الأول اكتشفت الشرطة بأن القاتل استعمل مسدسًا «كاليبر» (عيار.35) في قتْل ضحاياه، وأن جميع الضحايا قُتِلوا أثناء النوم، الأب والأم قُتِلا برصاصتيْن لكل منهما، أما الأبناء فقد قُتِلوا برصاصة واحدة، والغريب أن جميع الجُثَث كانت مُسجَّاة ووجهها نحو الأسفل.

كان أول الأشخاص الذين حققت معهم الشرطة هو «رونالد ديفو» الابن الذي ادعى أنه غادر المنزل في الساعة السادسة من صباح اليوم السابق لاكتشاف الجريمة، وأنه قضى نهاره في العمل بمعْرض السيارات الذي يملكه والده، ثم توجَّه عصرًا إلى شقة صديقته وأمضى معها بعض الوقت، وخلال اليوم قال رونالد: إنه اتصل بمنزل والديْه عدة مرات من دون أن يرد أحد، لذلك شعر بالقلق فتوجه نحو المنزل عند الساعة السادسة مساءً وقد طرَق الباب عدة مرات لكنَّ أحدًا لم يرد عليه، لذلك تسلَّل إلى داخل المنزل عبر النافذة، وتوجَّه إلى غرفة والديْه ليُصْدَم برؤية جثتيْهما، فهرع مُسْرعًا إلى البار ليطلب المساعدة، وعندما سألتْه الشرطة حول ما إذا كان يتهم شخصًا ما باقتراف الجريمة، ادعى «رونالد» بأنه يشك في رجل عصابات اسمه «لويس فليني» كان قد تشاجر معه سابقًا وهدَّده بتصفية جميع أفراد عائلته.



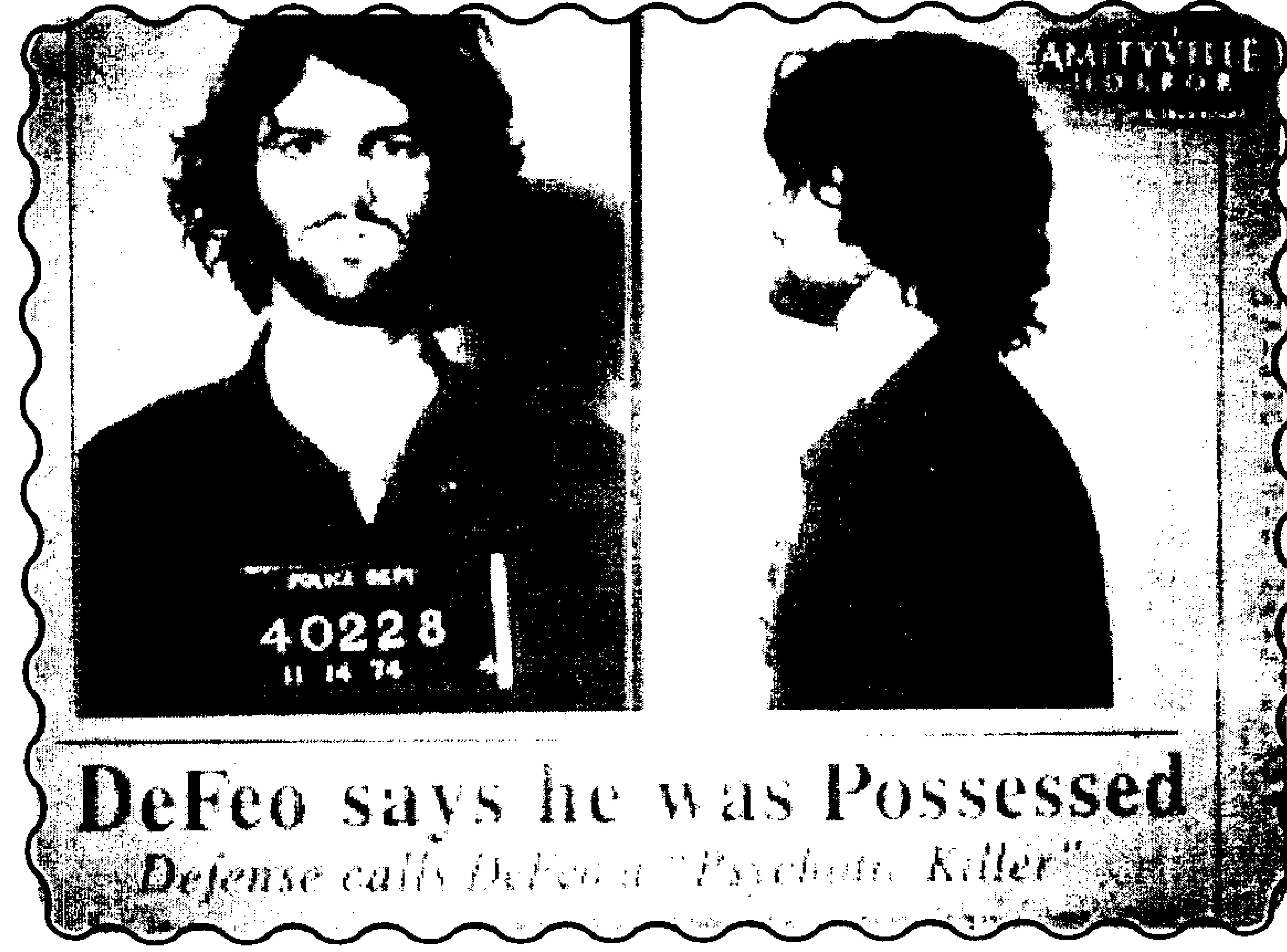
في اليومين اللاحقيْن لاكتشاف الجريمة أخذت الشرطة تُحقِّق مع جيران وأصدقاء العائلة، وبدأت تتكشف بعض الحقائق المثيرة، لقد عرفت الشرطة بأن «رونالد ديفو» الأب كان رجلا متسلِّطًا وسريع الغضب، وأن ابنه رونالد الصغير كان أسوأ منه في رداءة الطباع والأخلاق، وأن علاقة الأب والابن غالبًا ما كانت تشوبها الكثير من المشاكل، وقد حدثت بينهما الكثير من المشاجرات العنيفة.

ولكن رغم هذه العلاقة السيئة فإن «رونالد» الأب الذي كان ميسور الحال لم يكن يبخل على ابنه بالمال، كما عرفت الشرطة بأن رونالد الابن كان مُدمنًا على المخدرات، وقد وصفه بعض أصدقائه بأنه شخص عنيف وسريع الغضب، وأنه يتاجر أحيانا في بيع وشراء الأسلحة النارية.

هذه المعلومات حول رونالد الابن أثارت شكوك الشرطة حوله خاصة وأن التحقيق أظهر بجلاء بأن الشخص الذي نفَّذ الجريمة كان يعرف منزل عائلة ديفو جيدا، وأنه تنقَّل بين غُرَف الضحايا من دون أن يُثير أي شكوك حوله.

ثم اكتشفت الشرطة شيئًا آخر زاد من شكوكها، فأثناء تفتيشها لغرفة رونالد الابن في منزل والديْه وجد أحد المحقِّقين صندوقيْن خشبيَّيْن من النوعية التي تُسْتَعمل لحفْظ المسدسات، كان أحد الصندوقيْن يعود لمسدس من عيار «كاليبر .35» وهي نفْس ماركة السلاح الذي اسْتُعْمِل في تنفيذ الجريمة.

ثم أخيرًا جاء تقرير تشريح جثث الضحايا ليُحوِّل شكوك الشرطة إلى اتهام، فقد ذكر التقرير بأن أفراد عائلة ديفو تمَّ قتْلُهم بين الساعة الثانية والرابعة بعد منتصف الليلة التي سبقت اكتشاف جثثهم، أي أن رونالد الابن كان موجودا في المنزل ساعة حدوث الجريمة؛ لأنه كان قد أخبر الشرطة بأنه غادر المنزل في الساعة السادسة من صباح ليلة الجريمة.



سرعان ما ألقت الشرطة القبض على «رونالد ديفو» الابن بتهمة قتْل أفراد عائلته، في البداية أنكر جميع التُّهَم الموجَّهة إليه، وادَّعى البراءة، لكن عندما حاصره رجال الشرطة بالأسئلة، وبعد أن واجهوه بالتناقض الكبير في أقواله، أخفى رونالد ديفو الابن رأسه بين يديْه ثم أردف قائلا بيأْس:

«لقد حدث كل شيء بسرعة، عندما بدأتُ لم أستطع التوقف، لقد حدث كل شيء بسرعة»، ثم اعترف للشرطة عن الكيفية التي نفَّذ بها جريمته، حيث زعم بأنه أطلق النار أولًا على والده في مُؤخِّرته، وعندما قام فزِعًا وحاول مهاجمته عاجَلَه بطلقة أخرى في رأسه، وأثناء ذلك استيقظت والدته وأخذت تصرخ وتتوسل، فعاجَلَها بطلقة في صدرها، ثم أردفها بأخرى في رأسها، ثم انتقل إلى غرفة شقيقيْه فأطلق طلقة واحدة على رأس كل منهما!

وأخيرا ذهب إلى غرفة شقيقتيْه وقتلهما بنفْس الطريقة، ثم نزل إلى الطابق السفلي واستحمَّ وبعدها ترك المنزل وأخذ معه ملابسه الملطَّخة بالدماء وسلاح الجريمة من أجل إخفائهما.



منزل عائلة ديفو

في 14 تشرين الأول / أكتوبر عام 1975م. بدأت محاكمة «رونالد ديفو»، وقد حاول فريق الدفاع إقناع هيئة المحلِّفين بأنه يُعاني من الجنون، وأنه اقترف جريمته بدون وعْي وإدراك، وزعم رونالد أثناء شهادته في المحكمة بأنه اقترف جريمته تحت تأثير صوت شيطاني استحوذ على تفكيره، وكان يُدوِّي في رأسه قائلا: «أُقْتل .. اقتل .. اقتل»، لكن حجة الجُنون لم تقنع هيئة المحلِّفين الذين أجمعوا في قرارهم على أن «رونالد ديفو» الابن مذنب بقتل جميع أفراد عائلته، وقد حكم عليه القاضي بالسجن لمدة 150 عامًا بواقع 25 عامًا لكل جريمة على حِدَة.

رغم إدانة «رونالد ديفو» وسجْنه إلا أن اغلب الناس لم يكونوا مقتنعين بروايته حول طريقة قتْله لأفراد عائلته، وكذلك كان هناك العديد من رجال الشرطة ممن نظروا بعين الشك نحو حيثيات القضية التي أُدِين بموجِبها رونالد في المحكمة.

كانت المسألة المحيِّرة في نظر الكثيرين هي الكيفية التي استطاع رونالد ديفو بواسطتها من قتْل ستة أشخاص بمفرده وباستعمال مسدس غير مُزَوَّد بكاتم صوت، كيف لم يسمع أحد صوت الطلقات؟

كان المفروض أن يستيقظ بقية أفراد العائلة منذ الطلقة الأولى التي أطلقها رونالد نحو والده، وحتى على فرْض أنهم لم يسمعوا الصوت في الغُرَف الأخرى، لكن كيف قام بقتْل شقيقيْه النائمين معًا في غرفة واحدة من دون أن يستيقظ أحدهما؟ ونفس الأمر بالنسبة لشقيقتيْه.

العجيب بأنه لم تكن هناك آثار للمقاومة، وأن جميع الجثث كانت مُسجَّاة ووجهها نحو الأسفل، هل يُعْقَل أن أحدهم لم يرفع رأسه ليرى ماذا يجري، هل يُعْقَل بأن لا يستيقظ أيُّ أحد منهم على صوت مسدس يُطْلَق داخل غرفته ؟

هذه الأسئلة جعلت الكثيرين يُصرُّون بأن «رونالد ديفو» الابن لم يقترف جريمته لوحْده وأن هناك شخصًا أو أشخاصًا آخرين ساعدوه في تنفيذها، ومن الأمور الأخرى التي عجز العديد ممن اطلعوا على وقائع الجريمة عن فهمها: هي لماذا قام رونالد بقتْل جميع أفراد أسرته.

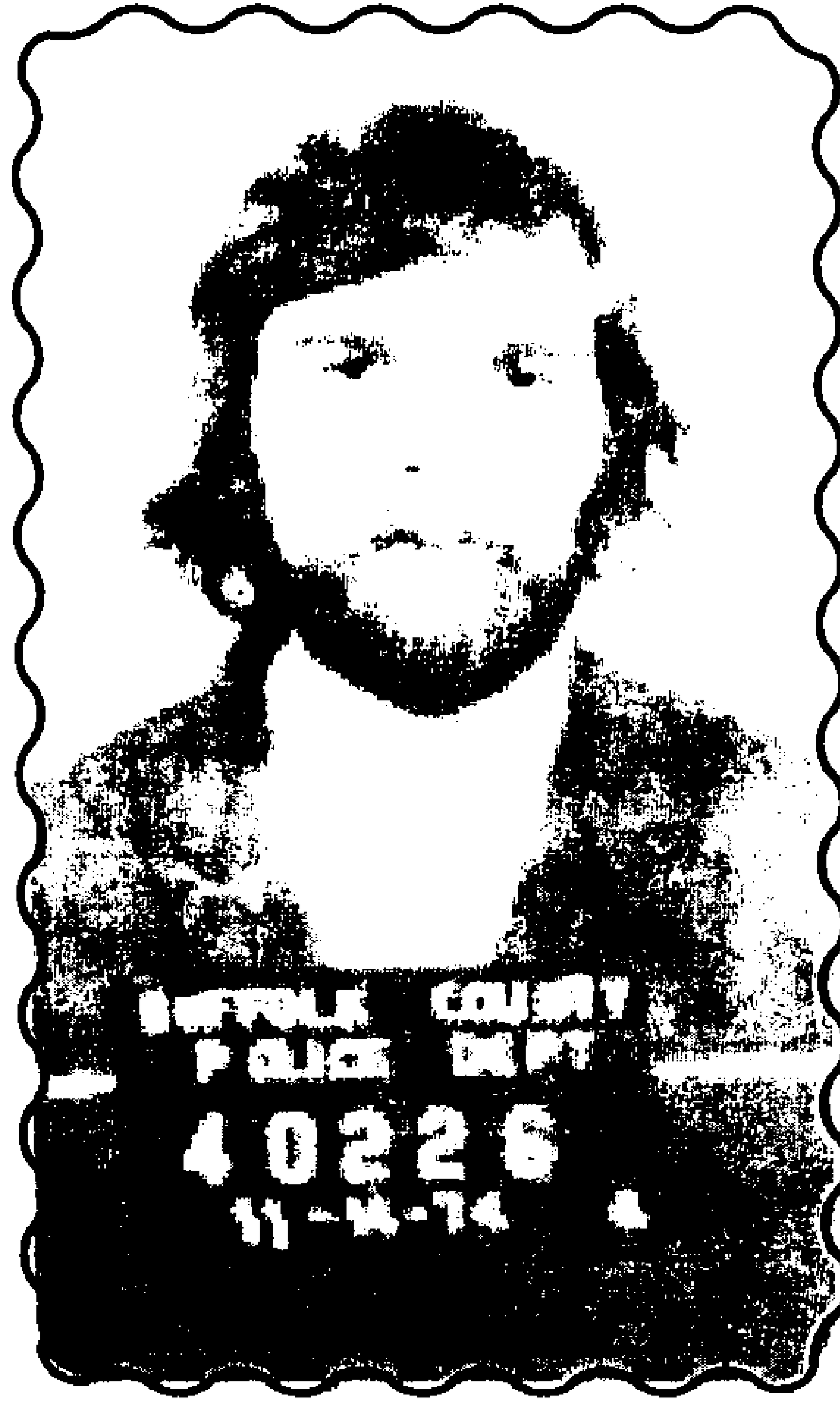
الجميع كان يعلم بأن علاقة «رونالد ديفو» الابن بوالده كانت سيئة وأنهما طالما تشاجرا معًا، لذلك لم يكن أمرا مُسْتبعدًا بأن يقوم الابن بقتل أبيه، لكن لماذا قتل أفراد العائلة ؟ ربما قتل والدته لأنها كانت في نفس الغرفة، لكن ما الذي دفعه لقتل أشقائه وشقيقاته ؟ هذا هو اللغز الذي بقيَ بدون جواب حتى اليوم .

خلال السنوات التالية لإدانته جرتْ عدة مقابلات صحفية مع «رونالد ديفو» في سجْنه، وقد روى خلالها قِصَصًا وروايات متناقضة لِمَا حدث، زعم في أحدها بأن والدته هي من أطلقت النار أولا على والده بسبب مشاجرة حدثت بينهما، وأنه قام تحت تأثير الغضب بقتلها وقتْل بقية أفراد العائلة.

وفي رواية أخرى ادعى بأنه اقترف جريمته دفاعًا عن النفس لأن عائلته كانت تريد قتله، وفي مقابلة صحفية أُجْرِيَتْ معه في الثمانينيات زعم رونالد بأنه اقترف الجريمة بمساعدة أخته «دوان» وصديقيْن لم يكشف عن اسميهما.

وفي روايته هذه زعم رونالد بأن علاقة «دوان» بوالدهم كانت سيئة لأنه كان يُضيِّق عليها ويمنعها من الخروج مع صديقها، لذلك تحمَّستْ معه من أجل قتْله، وأنه قام بمساعدة صديقيْه بقتل والديْه، وقامت «دوان» بدون علمه بقتل شقيقيه وشقيقته لكي لا يشهدا ضدهما فيما بعد، مما أثار غضبه وجعله يتشاجر معها في غرفتها، وقام بضرْبها بقوة فوقعت على فراشها مغْشيًّا عليها، فقام بإطلاق النار على رأسها.

الغريب أن تقرير مخْتَبَر الأدلة الجنائية أثبت بشكل لا يقبل اللبْس وجود آثار للبارود على الملابس التي كانت «دوان» ترتديها ليلة مقتلها، مما جعل بعض مُحقِّقي الشرطة يرجِّحون صِدْق هذه الرواية، إلا أن اعترافات وإدانة رونالد في المحكمة أغلقت الباب أمام المزيد من التحقيقات في القضية.



غموض جريمة عائلة ديفو لم يتوقف عند أسرار ما حدث في ليلة ارتكاب الجريمة بل تعداها الى منزل العائلة نفسه، فالعائلة التي اشترت المنزل في عام 1976م. اعتقدت بشدة بأنه مسكون بالجن، وأن أحداثًا وأمورًا غريبة تجري داخله، ولم تلْبَث أن فرَّتْ منه

وتركتْه خلال فترة لم تتجاوز الثمانية والعشرين يومًا، وهناك أشخاص آخرون اعتقدوا بأن المنزل مسكون بشبَح أحد زعماء الهنود الحُمْر الذين مات ودُفِن بالقرب من البُقْعة التي يقوم عليها المنزل منذ زمن بعيد.

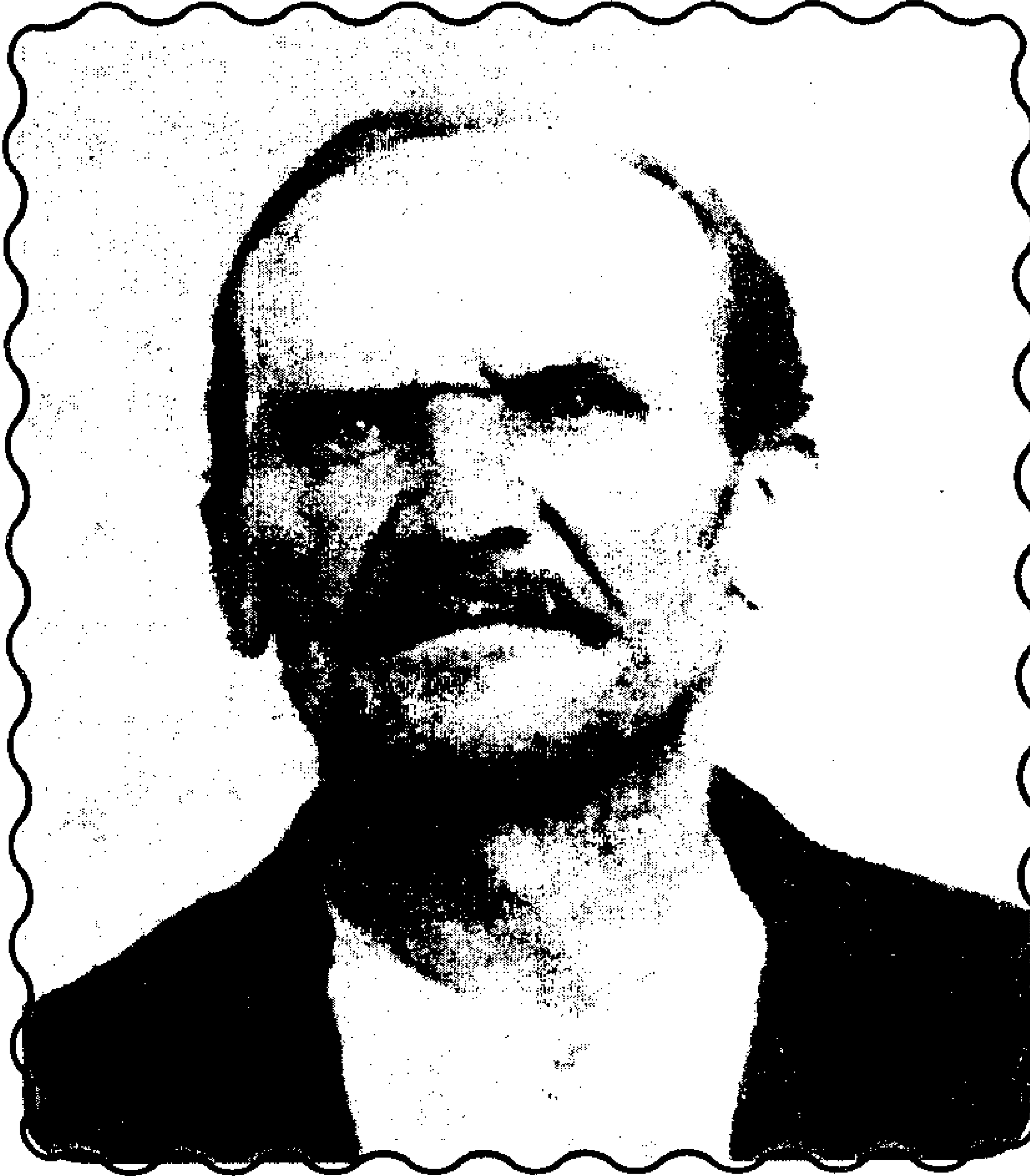
وهناك قصص وروايات أخرى زعمت بعضها وجود علاقة جِنْسية محرمة بين رونالد وشقيقته «دوان» وأنهما قاما بقتْل والديْهما بسبب اكتشافهما لعلاقتهما واعتراضهما الشديد على ذلك.

وقد ساهمت الكتب والأفلام السينمائية التي دارت حول جريمة «عائلة ديفو» في إضفاء المزيد من الغموض والخيال على القضية، لكن رغم جميع ما قيل وكُتِب حول الجريمة يبدو أن أحدًا باستثناء الله لن يعلم على وجه الدِّقة ماذا جرى في تلك الليلة المشؤومة (1).

1- نقلا -ببعض التصرف-: مقال: «ليلة الرعب في منزل عائلة ديفو .. قصة الجريمة التي روعت أمريكا» المنشور في الموقع العربي «Kingdom of Fear / مملكة الخوف» بتاريخ (١ / ٩ / ٢٠٠٩م.). والموقع العالمي: (From Wikipedia، the free encyclopedia) تحت عنوان: (Ronald DeFeo، Jr.).

3

أغرب جرائم بائع لحوم النساء!



في أوئل مطلع القرن العشرين هزَّت برلين سلسلة جرائم تكاد تكون الأُولَى من نوعها وبشاعتها في ذلك الزمان، وكان بطلها هو السفاح الألماني الشهير: «كارل فيلهلم جروسمان». (13ديسمبر 1863م/ 5 يوليو 1922م). وكان يُلقَّب بـ «جزار برلين» أو: «بائع لحوم النساء»!

من هو كارل جروسمان

المعلومات عن هذا السفاح تكاد تكون شحيحة للغاية. نحن نعرف أنه ولِد في عام 1863م. وكان يعمل جزَّارًا في الفترة ما بين عام 1879م. وعام 1895م.

عاش كارل في برلين ممارسًا مسيرته الإجرامية التي تغلّبتْ عليه في تلك الفترة. لا نعرف الكثير عن حياته المبكرة، إلا أنه كان يمارس السادية(1) الجنسية مع ضحاياه، وكان قد اتُّهِم بتهمة التحرش الجنسي بصبي صغير في 21 آب (أغسطس) عام 1921م.

وحشية كارل وجرائمه

كان كارل سفاحًا فاتكًا، شارك في الحرب العالمية الأولى، وكان يعمل في السابق جزارًا، ثم مارس جرائم القتْل وبَيْع لحْم البَشَر.

وقد ذكروا عنه أنه كان يجلب البغايا إلى مسْكنه ثم يشرب الخمر مع الواحدة منهن، ثم يقتلها ويقطعها ويبيع لحمها على عربة يسوقها بيده، زاعمًا أنه لحْم بقَر أو خنـزير.

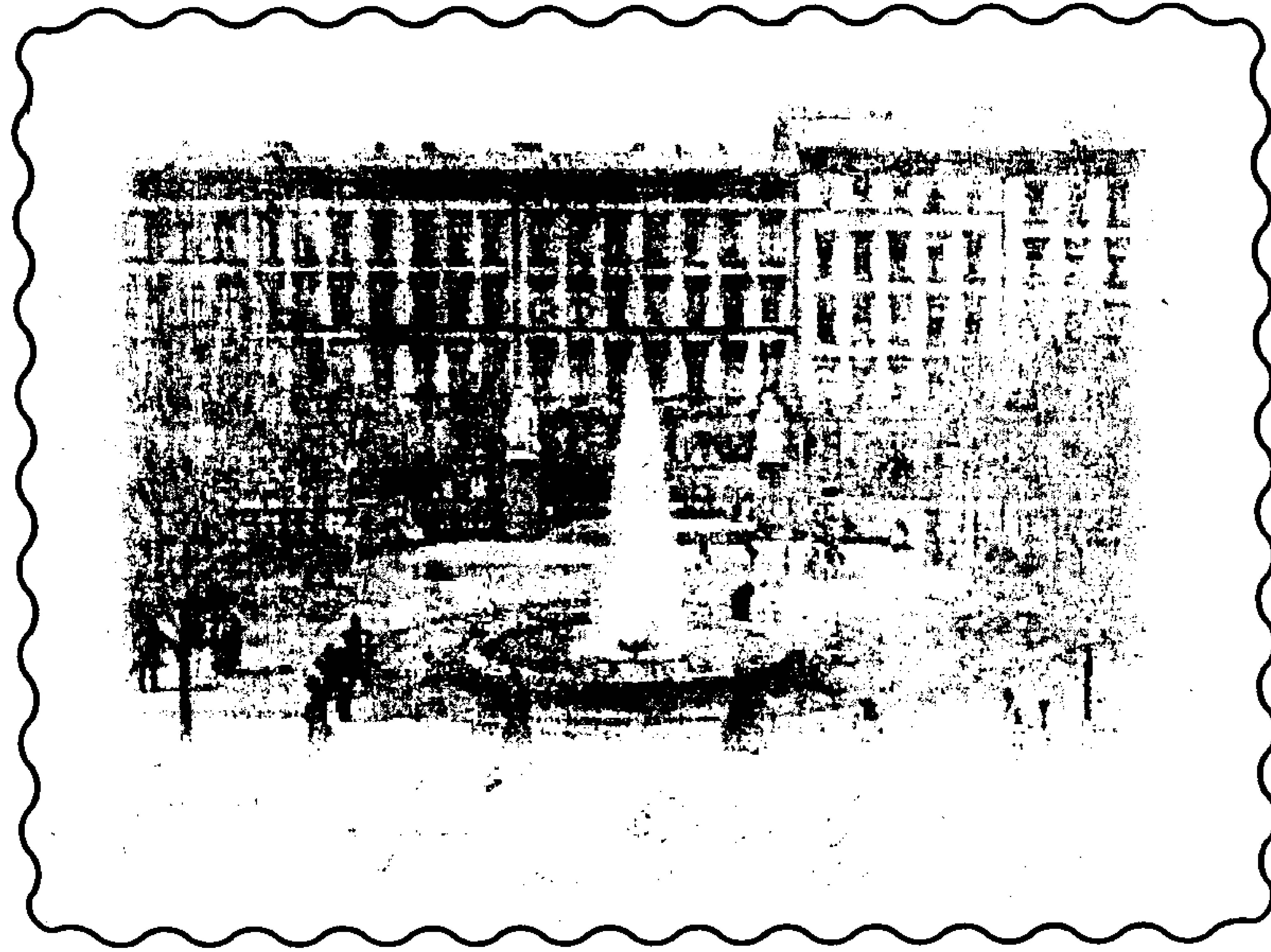
كان كارل يختار معظم ضحاياه من النساء والبغايا ويقتادهن إلى منزله. وكان يصطحب بعضًا منهن من جملة القادِمات من محطة «سيليزيا» بالعاصمة برلين.



1- السادية: هي مذهب فِكري يقوم على تحقيق اللّذة بتعذيب الآخرين. أو هو شذوذ جنسيّ قائم على التّلذُّذ بإحداث الألم لدى الآخر طلبًا للتهيُّج الجنسيّ أو لإشباعه. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» [ص/ ١٤٥٣] للأستاذ أحمد مختار عمر.

لقد فاقت وحشيته كل المقاييس، فقد كانت له متعة غريبة في ذَبْح ضحاياه من النساء، ثم تقطيع أجسادهن بوحشية متناهية، ثم يصنع منها النقانِق (السجق) واللحم المقَدَّد، ثم يحمله في عربة يدَوِية كان يسوقها بيديه، ويطوف بها أرجاء المدينة يبيع للناس هذا اللحم على أنه لحم خنزير أو غيره!

وقد ذكروا أنه كان يتخلص من عظام ضحاياه وما لا يصلح للأكل من أجسادهن بإلقائها في نهر كان قريبًا من منزله بالعاصمة!



برلين عام ١٩٨٨م.

وذات يوم في أغسطس عام: 1921 م. سمع مالِك العَقَار الذي يسكن فيه "جروسمان" وبعض الجيران صوت شِجَار وصراخ واستغاثة داخل شقته؛ فقاموا بإبلاغ الشرطة، فلما جاءت الشرطة اقتحمت الشقة لتجد فتاةً مذبوحة ممتدة على سرير على وشْك أنْ تُقَطَّع!

ووجدتْ الشرطة أيضًا بقايا ثلاث جثث أخريات؛ فقُبِضَ عليه وحُكِم عليه بالإعدام، ولَمَّا علم كارل بالحُكْم جعل يضحك!



ولم يُدْلي للشرطة بأي اعترافات على جرائمه، بل أصرَّ على الضحكِ، وقد ظلت دوافعه إلى تلك الأفعال الإجرامية غير معروفة إلى حد كبير.

وقد عثرت الشرطة في منزل كارل على بُقَع من الدم في أماكن متفرقة، بما قد أشار إلى أنه قام ذبح ما لا يقل عن ثلاثة أشخاص آخرين في الأسابيع الأخيرة.

وقد قدَّرتْ المباحث الألمانية أن عدد النساء اللاتي عُثِرَ على آثارهن في منزل كارل قد تجاوز 50 امرأة شابة كلهن قد اقتادهن كارل إلى شقته، وانتهى بهن المطاف إلى قتْلهن وتقطيع أوصالهن.

نهايته

في 5 من شهر يوليو 1922م. أُدِينَ كارل جروسمان بتهمة القتل عمدًا، وحُكِم عليه بالإعدام. وقبل أن يتم الحكم عليه، بادر كارل بشنْق نفسه في سجنه، ووجدوه معلَّقًا من رقبته في زنزانته!

ويبقى كارل جروسمان أو «جزار برلين» للأجيال القادمة كشخصية مظلمة وقاتمة. وقد أكَّد الذين حضروا جلسات الاستماع بالمحكمة التي قضَتْ بإعدامه، أنهم ما كانوا يشعرون أنهم أمام رجل، بقدْر ما كانوا يرونه ذئبًا خلْف القُضْبان الحديدية! [1]

1- نقلا عن الموقع العالمي: «Wikipedia، the free encyclopedia». تحت عنوان (Carl Großmann) والموقع الإنجليزي «Journal of incest». تحت عنوان (KARL GROSSMAN). والموقع الأجنبي (Horror site) تحت عنوان (ARL Grossman). والموقع الأجني (The mysterious world of) news) تحت عنوان (Karl Denke – cannibal; allegedly killed ٣٠ people). ومُدوَّنات أجنبية أخرى.

4

الستارة المميتة .. قصة عائلة بيندر الدموية



إلى اليمين صورة من متحف عائلة بيندر في كنساس، وهي عبارة عن مطارق استعملتها العائلة في قتل ضحاياها، أما إلى اليسار فصورة تُمَثِّل الطريقة التي كانت العائلة تقتل ضحاياها بها.

قصتنا قديمة لكنها فريدة من نوعها، تمتزج في رحابها الحقيقة مع الخيال لتتجسَّد في صورة شابة في غاية الحسن والجمال لكنها تمتلك قلبًا يضاهي الصخر في قسوته، حسناء اتخذتها عائلتها طُعمًا لخداع ضحاياهن وجرِّهم لمصيرهم البَشَع المتواري خلف ستارة بالية في غرفة المعيشة.

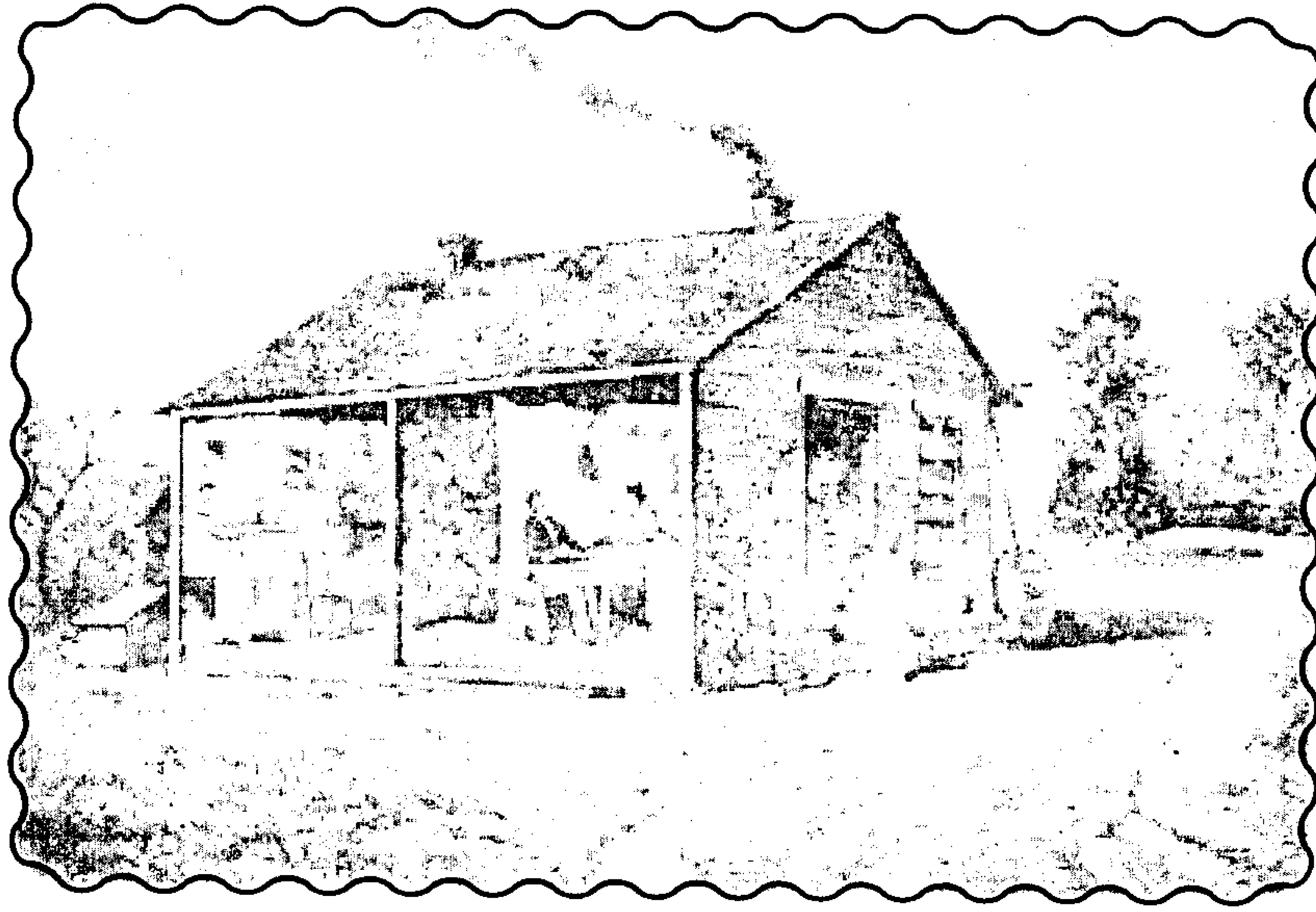
عائلة ستترك بصمة لا تُنْسَى وربما سيتبادر إلى ذهنك وأنت تقرأ عنها، العديد من القصص والأفلام المستمدَّة من وحْيها، تعالى معنا عزيزي القارئ لتتعرف على القصة الكاملة لعائلة «بيندر» الدموية.

في عام 1870م. قام الكونغرس الأمريكي بسلْب أراضي شاسعة من قبائل الأوساكي الهندية في جنوب ولاية كنساس ووزَّعها على المستوطنين البيض الذين بدؤوا يتدفقون بأعداد كبيرة من الشرق على أمل تحقيق ثروة في الغرب الأمريكي.

وكان البيندرز (Bender family) هم إحدى تلك العوائل الحالمة بمستقبل أفضل إلا أنهم تميزوا عن الآخرين بالطريقة الغريبة التي اختاروها لتحقيق حِلْمهم. قامت العائلة ببناء كوخ خشَبي على الطريق بين مدينتيْ «ثاير» و«كاليسبيرغ»، لم يكن مكانًا رائعًا أو متميزًا بطبيعته، لكنه وفَّر فُرْصة عمل جيدة للعائلة، فقد قاموا بقسمة كُوخهم إلى قسميْن تفصل بينهما ستارة ضخمة، استعملوا القسم الخلْفي كمنزل للعائلة وحوَّلوا القِسْم الأمامي إلى نُزُل للمسافرين حيث كانوا يقدمون لهم الطعام والشراب والمأوى.

كانت العائلة تتكون من السيد والسيدة «بيندر» اللذين كانا في الخمسينيات من العمر وابنهم الشاب «جون» وابنتهم الحسناء «كاتي»، لا يعرف أحد على وجْه الدقة أصل العائلة.

البعض يعتقد بأنهم من أصول ألمانية، وآخرون ينفون ذلك، لكن الجميع يتفق على أنهم كانوا قليلي الكلام والاختلاط مع الآخرين، باستثناء كاتي التي كانت شابة جميلة ومتحدِّثة لَبِقة، ادعت بأنها وسيطة روحية وبأنها تملك القدرة على الاتصال بالموتى وعلى شفاء الأمراض، وقد قامت بتقديم عروض سحرية في عدد من البلدات الصغيرة في كنساس، فحازت على إعجاب العديد من الرجال الذين افتتنوا بقامتها الفارعة، وشعرها الطويل.

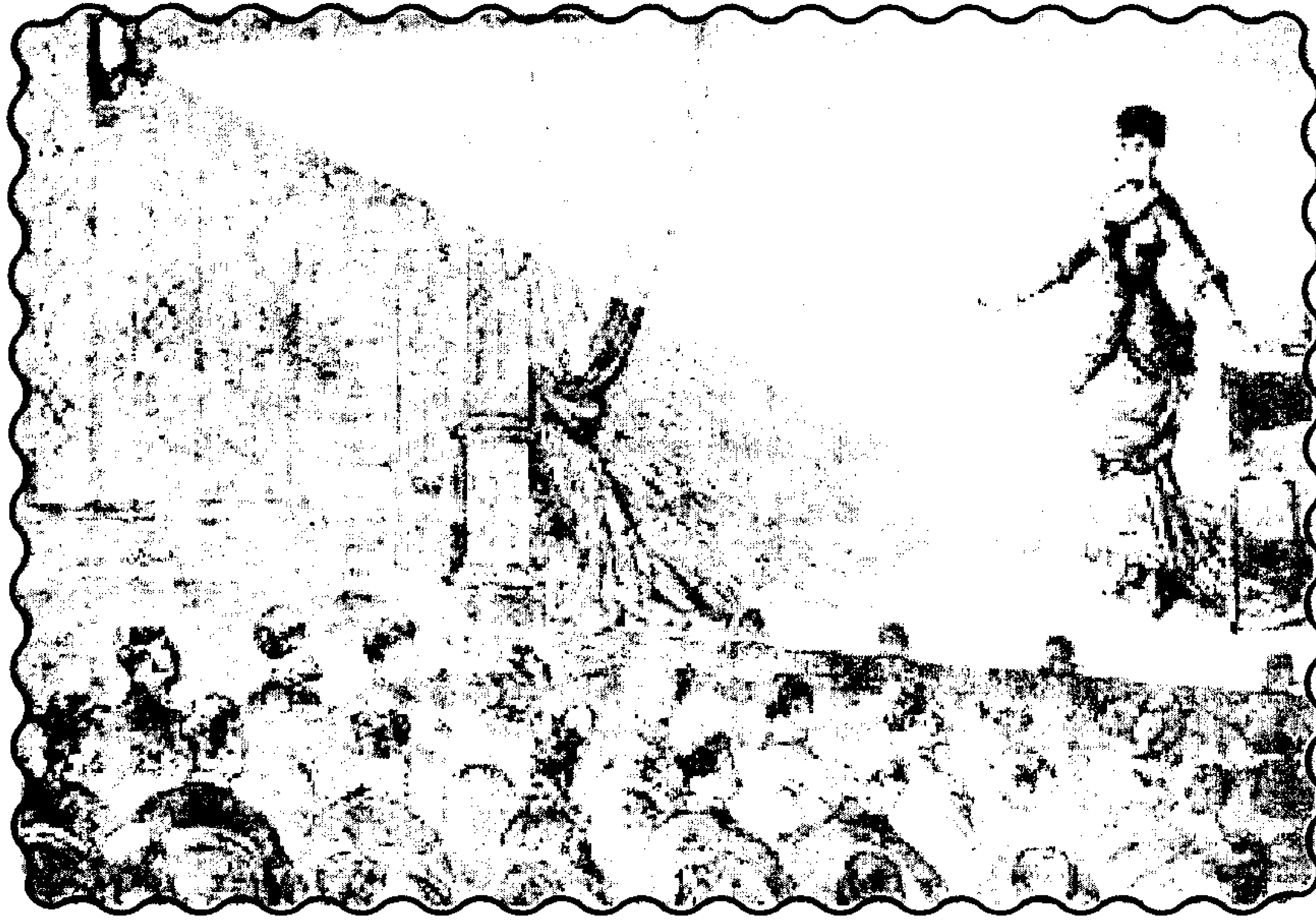


صورة لمنزل عائلة بيندر

وبالتدريج أخذ بعض هؤلاء المُعْجبين يترددون على كوخ العائلة من أجل رؤيتها، لكنهم مثل العديد من المسافرين الذين تناولوا العشاء في نزل آل «بيندر» اختفوا ولم يرهم أحد مرة أخرى.

كانت العائلة تبحث عن الرجال الأغنياء، وعندما تعثر على أحدهم فإن فُرْصَته للإفلات من براثن «البيندرز» القاتلة كانت ضئيلة جدًّا، فما أن تتأكد العائلة من أن ضيفها رجل غني وأنه يحمل أموالًا أو أشياء ثمينة معه، حتى تقوم كاتي باستعمال جمالها الأخّاذ في إقناعه بالبقاء مع العائلة لتناول العشاء، ثم تقوم بإجلاسه في مكان خاص على المائدة بحيث يكون ظهره باتجاه الستارة التي تفصل بين قسمي الكوخ.

وفيما تقوم كاتي بتقديم الطعام للضيف وإلهائه بالكلام المعسول والنظرات الواعدة، يكون السيد بيندر أو ابنه واقفًا خلف الستارة وبيده مَطْرَقة حديدية ضخمة لينهال بها فجأة على رأس الضيف، فيُهشِّم جُمْجمته ويقتله في الحال بضربة واحدة، ثم يقومون بسحْبه سريعًا إلى الجزء الخلفي من الكوخ، حيث تتعاون العائلة على تجريده من ملابسه وسلْبه كلَّ ما يملك.



صورة توضح ما كانت تقوم به «كاتي» من عروض روحانية للمسافرين في مدن ولاية كانساس

وبعدها يقومون بإلقائه في قَبْو أسفل الكوخ مؤقتًا بانتظار الفرصة المواتية لإخراجه ودفْنه في حديقة صغيرة محاطة بالأشجار كانت السيدة «بيندر» تزرع فيها الخُضار. وبما أن الشرطة ووسائل الاتصالات في ذلك الزمان كانت بدائية، لذلك لم يكن من العجيب اختفاء الأشخاص فجأة، خاصة في كنساس حيث كانت هناك مشاكل بين المستوطنين وبين قبائل الهنود الحمر.

لذلك لم يكن من الغريب اختفاء المسافرين خصوصًا أولئك الذين يسافرون بمفردهم، وهكذا استمرت العائلة في تنفيذ جرائمها لمدة 18 شهرًا بدون أن يشك أيُّ شخص فيها، ازدادت خلالها القبور المخفية بعناية في حديقة السيدة بيندر.

لكن دوام الحال من المحال، وقد حانت نهاية جرائم العائلة في اليوم الذي حلَّ الدكتور «وليم يورك» ضيفًا عليها، وقد كان من المُعْجبين بجمال «كاتي» الأخَّاذ، ولم تكن المرة الأولى التي يقضي ليلته في نُزُل العائلة، إلا أنها كانت المرة الأخيرة التي سيراه أو يسمع عنه أيُّ شخص مرة أخرى.



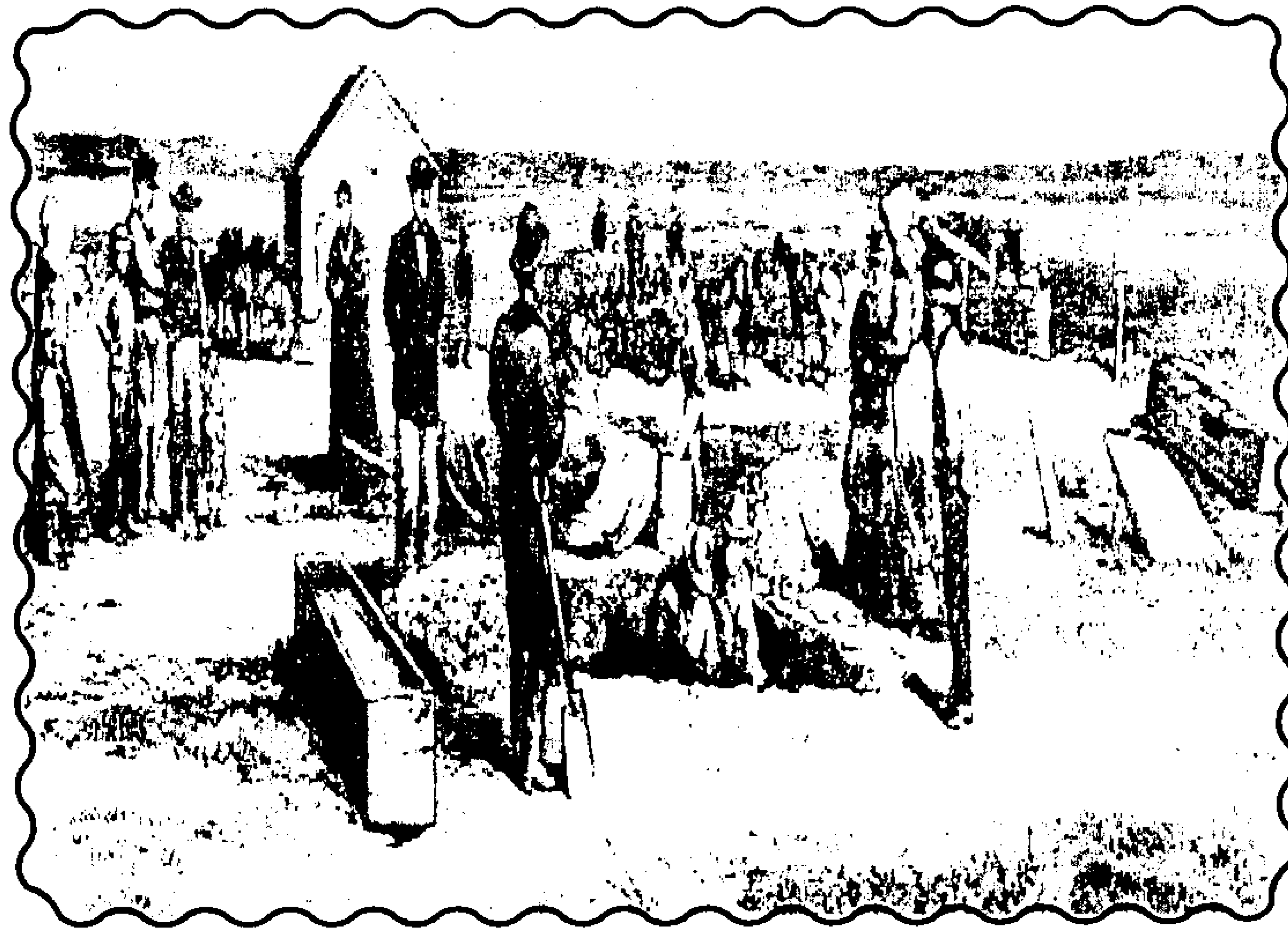
صورة تخيلية للجميلة كاتي.

حيث إن العائلة قامت بقتْله في إحدى ليالي صيف عام 1873م. وقامت بدفْن جثته في اليوم التالي في حديقة السيدة بيندر، ولسوء حظ العائلة فإن شقيق الضحية كان ضابطًا برتبة كولونيل في الجيش الأمريكي، وكان الضحية قد أخبره بأنه سيُمْضي ليلة في نُزُل «آل بيندر» أثناء سفره إليه.

لذلك وبعد أن أبطأ أخوه عليه قرَّر الكولونيل «يورك» البحث عنه، مما قاده إلى طَرْق باب منزل عائلة «بيندر» للسؤال عنه إلا أن العائلة أخبرتْه بأنها لم تره، وأنه لم يُمْض الليلة عندهم، وأنه ربما تعرض لهجوم من قِبَل الهنود الحُمْر، وهو ما بدا احتمالًا أقرب إلى التصديق في نظر الكولونيل، لكنه لم يغادر منزل العائلة ذلك المساء لتأخُّر الوقت فقرَّر البقاء لتناول العشاء والمبيت في النُّزُل.

وفي تلك الليلة وبعد أن تناول العشاء، بقِيَ الكولونيل «يورك» جالسًا لوحده في القِسْم الأمامي من كوخ العائلة، وفجأة لمح شيئًا يلمع تحت أحد الأسِرَّة، فقام بالتقاطه ليكتشف بأنها ميدالية، وعندما فتحها وجد داخلها صورة زوجة أخيه

المفقود وابنته، فأيقن عندها بأن عائلة «بيندر» كانوا يكذبون عليه، وأن أخاه قد أمضى ليلة في نُزُلهم، وأنه ربما تعرَّض إلى مكروه، وخوفًا من ملاقاة نفْس المصير. قام الكولونيل «يورك» بالخروج من الكوخ بهدوء وحَذَر، ثم زحف باتجاه الإسطبل وامتطى جوَاده ليَفِرَّ مُسْرعًا باتجاه مدينة «ثاير» حيث توجه مباشرة نحو مكتب الشريف. في صباح اليوم التالي عاد الكولونيل بصحبة الشريف وعدد من الرجال إلى كوخ عائلة بيندر، ولِفَرْط دهشتهم كان الكوخ خاليًا تمامًا، حيث يبدو أن العائلة أحسَّتْ بالخطر بعد اختفاء الكولونيل المفاجئ من كوخهم ليلًا، لذلك جمعوا أغراضهم وفرُّوا تحت جُنْح الظلام. سرعان ما بدأ الشريف ورجاله بالبحث داخل كوخ العائلة والأرض المحيطة به، وأثناء البحث لاحظ أحد الرجال حُفَر وأكوام تراب بدَتْ حديثة العهد في حديقة السيدة «بيندر» لذلك قاموا بنبْشها لتخرج أُولَى جُثَث الضحايا، وكانت جثة الدكتور «وليم يورك» ثم اكتشفوا المزيد من الجثث، ومع حلول المساء كانوا قد أخرجوا أكثر من عشرين جثة، كما عثروا على عِدة مطارق معدنية كانت العائلة قد استعملتْها في تنفيذ جرائمها.



صورة توضِّح تجمُّع الناس من جميع أنحاء المنطقة في ممتلكات بيندر من أجل البحث عن مزيد من الجثث

سرعان ما بدأتْ حملة كبيرة للعثور على العائلة، مجموعات من الخيَّالة فتَّشتْ المقاطعة شِبْرًا شبرًا للقبض عليها، لكن بدون جدوى، حيث اختفت العائلة كُلِّيًّا، ولم يرهم أي شخص بعدها أبدًا.

وقد اختلفت الآراء والقصص حول مصيرهم، إحدى هذه القصص تقول بأن مجموعة من الخيَّالة الذين كانوا يطاردون العائلة ألقوا القبض عليها بالقُرْب من حدود الولاية، وقرَّروا تطبيق القانون بأنفسهم، فقاموا بقتْل أفراد العائلة جميعًا بالرصاص باستثناء الجميلة «كاتي» حيث قاموا بدفنها وهي حية؛ لأنها كانت في نظرهم هي المحرك، والمخطط الرئيسي لكل الجرائم، ثم أقسموا وتعاهدوا فيما بينهم على أن لا يُخبروا أحدًا بما فعلوه.

إلا أن هذه القصة وغيرها من القصص لم تثبت صحتها أبدًا، وظل اختفاء العائلة لُغْزًا حيَّر الناس لعقود طويلة تمَّ خلالها القبض على الكثير من النساء للاشتباه في كونهن «كاتي» إلا أن التهمة لم تثبت على أحد.

كما أنه من غير المعلوم كم هو العدد الحقيقي لضحايا العائلة، فقد تمَّ العثور على أكثر من عشرين جثة في حديقة السيدة بيندر، لكن هل كانت هذه الجثث تُمثِّل العدد الحقيقي لضحايا العائلة؟ أم أن هناك المزيد مدفونًا في مناطق أخرى ؟

ربما تكون العائلة مارست جرائمها حتى قبل أن تأتيَ إلى كنساس، وربما استمرت في ذلك بعد أن فرَّتْ منها، لا أحد يعلم على وجْه الدقة، فكل ما تبقَّى من جرائم عائلة «بيندر» هو متحف صغير في كنساس، من ضمن محتوياته ثلاث مطارق حديدية استعملتْها العائلة لقتْل ضحاياها.(1)

1- نقلا -ببعض التصرف-: عن مقال: «الستارة المميتة .. قصة عائلة بيندر الدموية» المنشور في الموقع العربي «Kingdom of Fear / مملكة الخوف» بتاريخ (٥ / ٦ / ٢٠٠٩م). والموقع العربي: (Nightmare/ كابوس)، والموقع العالمي: (From Wikipedia، the free encyclopedia) تحت عنوان: (Bloody Benders).

5

الدكتور هولمز وقلعته الدموية



هل لك عزيزي القاريء أن تتخيل فندقًا بمئة غرفة، شبابيكها مغطاة بصفائح معدنية ولا تُفْتَح أبوابها إلا من الخارج، فندق يحتوي على الكثير من المتاهات والممرات السرية القاتلة، فندق حوَّلَه صاحبه إلى مصيدة؛ لالتقاط ضحاياه والتلذذ بتعذيبهم وقتلهم.

بينما كان «جاك السفاح» ينشر الرعب في مدينة الضباب «لندن»، كان هناك قاتل آخر لا يقل قسوة عنه يحصد أرواح ضحاياه في الطرف الآخر من المحيط الأطلسي، فلْنقرأ معنا قصة القلعة الدموية الرهيبة التي بناها الدكتور أج.أج.هولمز وحوَّلها إلى مَسْلَخ بشَري مرعب.

بداية الرعب

في عام 1887م. مشَى شاب وسيم الطلْعة وفارع القامة إلى داخل إحدى الصيدليات الواقعة في ضاحية «انجلوود» في جنوب مدينة «شيكاغو»، تقدم هذا الشاب نحو صاحبة الصيدلية وسألها إن كانت تبحث عن شخص يمكنه أن يساعدها في إدارة العمل في الصيدلية، كان التعب والإرهاق باديًا على وجه السيدة والتي كانت تُدير الصيدلية لوحدها بسبب إصابة زوجها الدكتور «أ.اس.هولدن» بمرض السرطان.

فوافقت السيدة على الفور خاصة عندما علمت أن الشاب الواقف أمامها واسمه أج.أج.هولمز هو طبيب، وربما كان لوسامته أيضا الدور الأكبر في حصوله على الوظيفة. كان هولمز شعلة من النشاط في عمله، وكانت لوسامته ومزاحه وملاطفته للزبائن (خصوصا السيدات) الأثر الكبير في الزيادة الكبيرة في مَبِيعات الصيدلية، الأمر الذي جعل إعجاب وثقة السيدة «هولدن» تزداد بِمُساعدها الجديد.

وشيئًا فشيئًا تركتْ له الصيدلية وأصبح هو المدير الفعلي لها، كانت طموحات هولمز لا حدود لها، وكان ينتظر الفرصة المناسبة لتحقيق ما يحلم به، وقد واتَتْه هذه الفرصة عندما توفِّي الدكتور «هولدن» المالك الفِعْلِي للصيدلية، فتمكَّن هولمز من إقناع أرملته ببيع الصيدلية له، وقد وافقت السيدة هولدن بشرط أن يسمح لها بالبقاء في السكن في الشقة الواقعة في الطابق العلْوي من الصيدلية.

وقد وافق هولمز على ذلك، إلا أن السيدة هولدن اختفت فجأة بعد فترة قصيرة، وقد أخبر هولمز الجميع بأن السيدة هولدن قد انتقلت إلى «كاليفورنيا» لتعيش مع أقاربها، ولم يرها أحد بعد ذلك أبدا، وفي الحقيقة لم يكن مُتوقَّعًا أن يراها أحد؛ لأن هولمز كان قد قتلها.

مَنْ هو أج.أج.هولمز؟

اسمه الحقيقي «هيرمن وبستر ميدغيت» ولِد في مدينة «غلامنتون نيوهمشاير» عام 1860م. في عائلة متوسطة الحال ترجع أصولها إلى أوائل المستوطِنين الأوربِّيين في تلك المنطقة.

كان والِده مُدمنًا على الكحول إلا أنه كان يحْظَى باحترام السكان، وكان مديرًا لمكتب البريد في المدينة. وفي فترة مبكرة من حياته أبدل «هيرمن» اسمه إلى «أج.أج.هولمز» وهو الاسم الذي سيُعْرَف به لبقية حياته، وسيرتكب به جميع جرائمه الدموية فيما بعد.

كان طفلا مشاكسا دائم الوقوع في المشاكل، كما كان قاسيًا، يتلذَّذ بإيذاء الحيوانات والأطفال الصغار، إلا أن الحسنة الوحيدة التي تُحْسَب له هي أنه كان دومًا طالبًا متفوقًا في دراسته. فقد أكمل الثانوية في سن السادسة عشرة، وبعدها بسنتين في عام 1878م. تزوج من «كلارا.أ.لافرينج».

ثم تقدم للدراسة في كلية الطب في شيكاغو وقام بِدَفْع أقساط الدراسة عن طريق زوجته «كلارا» التي ورثت بعض المال من عائلتها مُبكِّرًا أثناء دراسته، ابتكر هولمز وسيلة لجمْع المال، فقد وجد طريقة لسرقة الجثث من مُخْتَبر الكُلِّية، حيث يقوم بتشويهها بشكل يُوحِي بأنها تعرَّضتْ إلى جريمة قتل، ثم يقوم بدفنها في أماكن مختلفة من المدينة، وعند اكتشافها يقوم بجمع مبالغ التأمين على الحياة والتي قام هو بسحْبها على الأشخاص الذين قام بسرقة جثثهم مُدَّعيًا بأنهم من أفراد عائلته.

في عام 1879م. ترك «نيوهامشاير» مسافرًا تاركا خلْفه زوجته «كلارا» التي لن تراه مرة أخرى في حياتها! فتنقَّل هولمز لمدة ست سنوات في الكثير من المدن الأمريكية، وقد كانت هذه الفترة من حياته غامضة نوعًا ما حيث لم يستطع المحققون أن يعرفوا على وجه الدِّقة ماذا فعل هولمز خلالها، ولكن الناس (كالعادة) ألَّفوا الكثير من القصص والأساطير حول هذه الفترة الغامضة من حياته.

وفي عام 1885م. انتقل الى مدينة شيكاغو وتزوج من فتاة من عائلة مُوسِرة اسمها «مارتا بلكنب» والتي عن طريق أموال عائلتها قام بفتْح مكتب للطباعة، إلا أن الأعمال لم تجْرِ بصورة جيدة مما اضطره إلى تركْه وإلى هجْر زوجته، ليظهر مرة أخرى في جزء آخر من مدينة شيكاغو، حيث يعمل مساعدًا في صيدلية الدكتور «هولدن» والتي تمكن بالتدريج من الاستيلاء عليها كما شرحنا سابقا.

القلعة الدموية

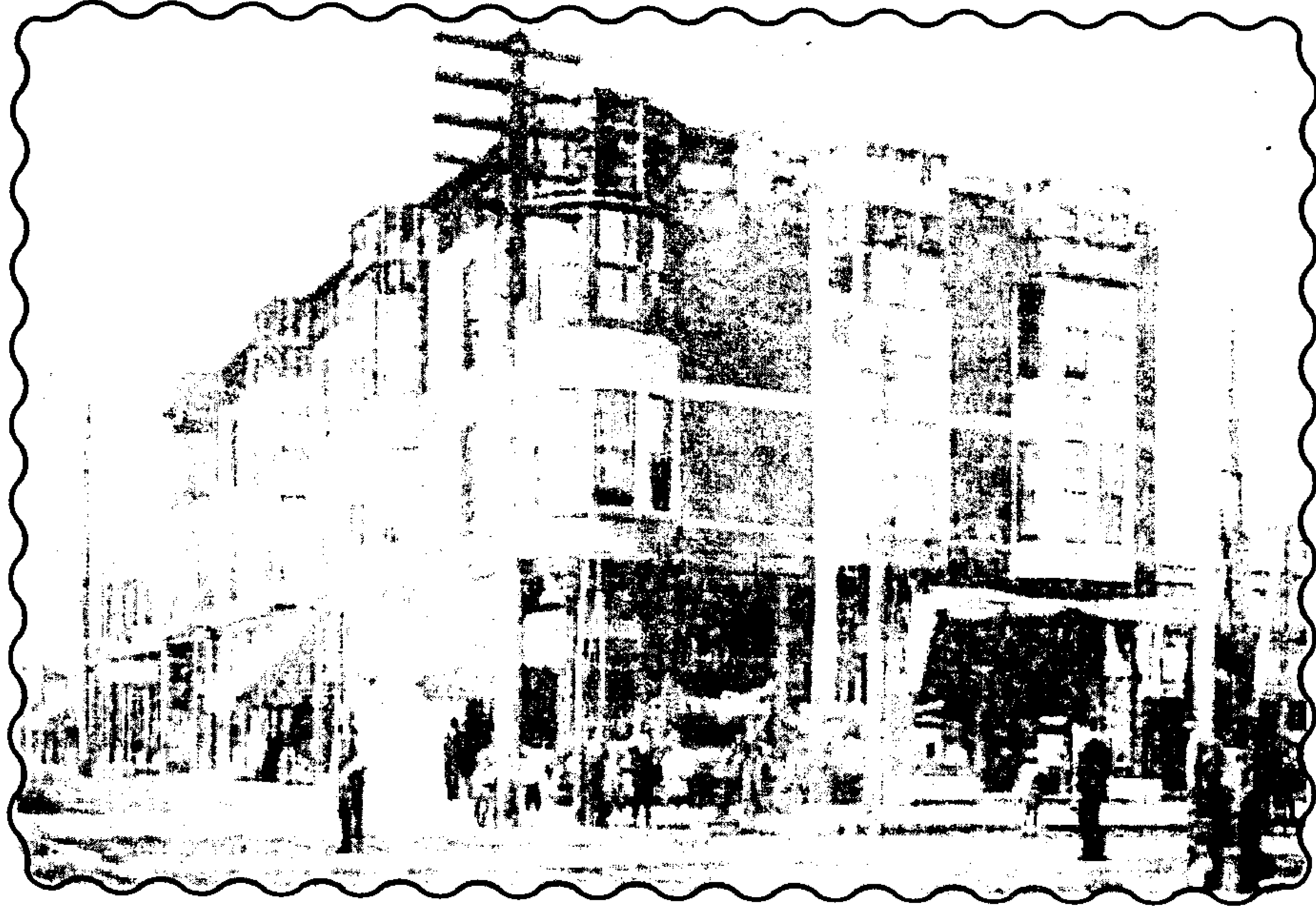
قام هولمز مع مرور الوقت بشراء المحلات والأراضي المجاورة للصيدلية حيث قام فيما بعدُ بتشييد بناء ضخم من ثلاثة طوابق سماه الجيران بـ «القلعة» لضخامته وشكله الغريب.

كانت القلعة من تصميم هولمز نفسه، وقد تعمد أثناء البناء إلى تغيير العمال عدة مرات بحجة أن عملهم غير مُتْقَن؛ لكي لا يتمكن أحد من معرفة أسرار البناء والإحاطة بأقسامه سواه.

كانت «القلعة» بِناية عجيبة حقا، فالطابق الأسفل منها كان يحتوي على عدة متاجر فخمة بالإضافة إلى صيدلية هولمز، أما الطوابق العُلْيا فكانت تضم مكتب هولمز إضافة إلى مئة غرفة صمَّاء نوافذها مغلقة بصفائح معدنية، وأبوابها لا تُفْتَح إلا من الخارج!! وكانت تحتوي على العديد من المتاهات والممرات السِّرِّية .

فبعض السلالِم كانت تُفْضي إلى أبواب تفتح على مكان عالٍ شاهق، ولا يُوجَد خلفها سوى فضاء المكان الخالي وراء القلعة، والكثير من الأبواب كانت تُفْتَح على جدران مُغلقة، وكانت أغلب الغُرَف مُزوَّدة بنظام إنذار معيَّن يستطيع عن طريقه هولمز معرفة إنْ كان أحد النُّزَلاء يريد الفِرار من القلعة.

كانت هناك أنابيب لنقْل الغاز تمتد إلى جميع الغُرَف ولكن فتْحها وغلْقها لا يُمْكن التحكُّم به إلا من مكتب هولمز، وإضافة إلى ذلك كان هناك سرداب كبير أسفل القلعة يحتوي على براميل من الأحماض الكيمياوية وبجانبها أفْران لحرق الجثث. اكتمل البناء نهاية عام: 1891م. وقام هولمز بافتتاحه كفندق استعدادًا للاحتفالات الضخمة التي كان يجري التهيؤ لها في شيكاغو بمناسبة مرور أربع مئة عام على اكتشاف كولمبوس للقارة الامريكية والتي تصادف عام 1893م.



القلعة الدموية التي بناها دكتور هولمز

لمدة ثلاث سنوات قام هولمز باستخدام البناية لتعذيب وقتل ضحاياه الذين كان هولمز يختارهم من الفتيات الموظفات عنده في المتاجر الموجودة في الطابق الأسفل للقلعة، حيث كانت إحدى شروط الوظيفة هو القيام بسحب بوليصة تأمين على الحياة يدفع هولمز اقساطها ويكون هو في نفس الوقت المستفيد الوحيد منها.

وكذلك كان هولمز يستمتع بتعذيب وقتْل بعض العُشاق الذين يجدون في فندقه مكانا مناسبًا للاختباء عن عيون الرُّقَباء، إضافة إلى بعض النُّزَلاء من المسافرين الذين يقذفهم حظهم التَّعِس لقضاء الليلة في فندق هولمز، وفي بعض الأحيان كان يقتْل نُزَلاء فُنْدقه بكل سهولة بأن يفتح أنابيب الغاز الموصولة إلى غرفة المجني عليه، ولم يستطع أي شخص من اكتشاف ما يقوم به هولمز؛ لأنه لم يكن يُبْقي على أي شخص يعمل كمُنظِّف أو عامل في القلعة لأكثر من أسبوعين، يقوم بعدها بإيجاد حجة لفصْلِهم من العمل، ولا يقوم بدفع أُجورهم، لأنه حسب قوانين ذلك الزمان فإن العامل لا يستحق أُجْرته ما لم

يُكْمل شهرا كاملا في وظيفته؛ لذلك يعتقد الكثير من المحققين بأن هولمز لم يدفع بِنْسًا واحدا كأجور للمستخدمين خلال السنوات التي قضاها في القلعة.

ضحايا الدكتور هولمز:

أغلب ضحاياه كُنَّ من النساء وخاصة الفتيات الشابات اللواتي كان يصطادهن بوضْع إعلانات في الجرائد لطلب موظفات ليعملن في مَتاجِره، وأحيانا كان يضع إعلانات للزواج مُسْتغِلًّا وسَامته في الإيقاع بضحاياه اللواتي كان يختارهن بعناية، حيث كان يُفضِّل أن لا يكون لديهن عائلة، حتى لا يبحث عنهن أحد عندما يختفين.

كما كان يحرص أن لا يُخْبِرن أحدًا على مكان عملهن الجديد، وأن يجلبن معهن جميع ما يملكن من مدَّخرات بحجة تشغيلها وإعطائهن فوائد وأرباحاً على أصل المبلغ. وما أن تتطأ أقدام الضحية أرضية الطوابق العُلْيا للقلعة حتى تتحول إلى سجينة بِيَدِ هولمز، كان يتلذذ باغتصابهن وتعذيبهن.

وكان يُبْقِي على بعضهن لعدة أسابيع حتى يسأم منهن فيقوم بقتلهن، ثم يقوم بإحراق جُثَثهن أو إذابتها في براميل الحِمْض، وكانت له طرق مبتكرة في استخراج الهياكل العظمية لبعضهن، ثم بَيْعها كموديل تعليمي للمؤسسات الطبية. لكن هولمز لم يقتل دومًا النساء اللواتي كن يقعن في قبضته، وإنما استخدم بعضهن كمساعدات له في تنفيذ جرائمه والإيقاع بضحاياه، وكانت إحداهن هي «جولي» التي جاءت مع زوجها وابنتها إلى شيكاغو، حيث عمل زوجها كموظف في مَتْجَر الجواهر الذي كان يُدِيره هولمز في الطابق الأسفل للقلعة.

وسَرْعان ما وقعت «جولي» في حب هولمز وأصبحت عشيقته، وقد هجرها زوجها وترك العمل لدَى هولمز بعد أن بدأت شكوكه تزداد حول علاقتها معه، فبقت هي وابنتها للعيش مع هولمز في القلعة.

ويعتقد المحققون بأن «جولي» كانت على علْم بالجرائم التي يقوم بها هولمز، وأنها ساعدتْه في بعضها، لكن أيامها مع هولمز انتهت سريعًا، فأثناء اعترافاته أقرَّ هولمز بقتْله

لـــ: «جولي» خلال عملية إجهاض كان يقوم بإجرائها لها بنفسه، وأنه قتل ابنتها الطفلة «بيرل» بالسُّمِّ لتنتهي جثتها بعد ذلك مع أمها في براميل الحِمْض في السرداب. ثم قام ببيع هيكل «جولي» العَظْمِي إلى احدى المؤسسات الطبية في شيكاغو.

وقال هولمز: إن السبب الرئيسي لقتلها هو أنها أصبحت تتصرف بطيْش وغباء بسبب غَيْرتها المتزايدة عليه: «لقد كان عليَّ التخلُّص منها في كل الأحوال، لقد أصبحتُ ضَجِرًا منها» هكذا أخبر هولمز للشرطة.

ومن ضحايا هولمز البارزات: «اميلين ساكرند» وهي فتاة رائعة الجمال أغواها هولمز بالعمل لديه مقابل راتب كبير، ولكنها انتهت في إحدى غُرَف القلعة التي لا يخترقها الصوتُ.

وقد اعترف هولمز فيما بعدُ للمحققين بأنه كان مغرمًا بالفتاة، وأنه أبقاها حيَّة لمدة شهر كامل اغتصبها خلاله مرارًا، ثم قام بقتلها بعد أن ملَّ منها، وبعد ذلك بفترة أتى خطيبها «رالف» للبحث عنها لكنه لم يغادر القلعة مرة أخرى! وقد اعترف هولمز بأنه قتل «رالف» خلال إحدى تجاربه العلمية التي كان يُجريها على ضحاياه، والتي إحداها هي قياس مَدَى تَحمُّل جسم الإنسان للتعذيب، فقد قام هولمز بِصُنْع طاولة لتشريح ضحاياه، تتمدَّد بشكل يَجُرُّ معه الجسد المربوط عليها حتى يصل إلى مرحلة التمزُّق.

بداية السقوط

بعد انتهاء احتفالات معرض «كولومبوس» العالمي في شيكاغو، حدث رُكود اقتصادي في المدينة، لذلك تركها هولمز وسافر إلى «تكساس» حيث قام بالاستيلاء على ميراث «ميني ويليامز»، وهي فتاة من عائلة غنية في تكساس، والتي أصبحت عشيقة هولمز وشريكته في جرائمه لمدة عام.

ميني ويليامز لم تكن تَقِلُّ دناءة عن هولمز، وقد قامت بقتْل شقيقتها بنفسها والاستيلاء على ميراثها، لكن هولمز الذي لم يكن يُفضِّل الإبقاء على شاهد -ولو واحدًا- على جرائمه قتلها فيما بعد وقام بالاستيلاء على ثروتها.

وأراد هولمز بناء قلعة جديدة في تكساس مثل قلعته في شيكاغو، ولكنه سريعًا ما تراجع عن فكرته هذه؛ لأن القانون في تكساس كان قويًّا وغير متساهل مع الجريمة.

سقوط هولمز بِيَدِ العدالة كان بسبب آخر عملية احتيال قام بها هو وشريكه القديم «بنيامين بيتزل»، حيث أقنعه هولمز بتزوير موته حتى تحصل زوجته مناصفة مع هولمز على مبلغ 10000 دولار.

وقد وافق بيتزل الذي كانت أوضاعه المالية صعبة وكان مدمنًا على الكحول وأبًا لخمسة أطفال.

لكن هولمز قام بقتل «بيتزل» فعلا، وتقدم للحصول على مبلغ التأمين، ثم قام بخداع زوجة بيتزل التي كانت تُعانِي من ضروف مالية صعبة للغاية، وأقنعها بأن تُبْقِي على ثلاثة من أطفالها بعُهْدته، وأن تذهب لتعيش مع والديها حتى يتم استحصال مبلغ التأمين وحصولها على حصتها.

ثم قام هولمز بالتنقل مع اللأطفال عَبْرَ عدة ولايات أمريكية في الشمال حيث كان ينْوِي الفرار إلى كندا، وقام هولمز بقتْل أطفال «بيتزل الثلاثة» في محطات مختلفة أثناء رحلة الفرار التي استمرت حتى أُلْقِيَ القبض عليه في بوسطن أواخر عام: 1894م.

والطريف في الأمر، أن هولمز لم يُلْقَ القبض عليه بتهمة القتل، وإنما بتهمة سرقة حصان في تكساس! وهي تهمة لم يعرها هولمز أي اهتمام، وكان يُخطِّط للخروج من السجن، والهروب مع زوجته الثالثة جورجينا.

من سوء حظ هولمز أن الشرطة قامت بإجراء تحقيقات عنه أثناء مدة احتجازه، وقد قام حُرَّاس قلعته الدموية في شيكاغو بإخبار الشرطة بأن هولمز لم يكن يسمح لهم أبدًا بتنظيف الطوابق العُلْيا من القلعة، مما أثار شكوك الشرطة ولذلك قرروا تفتيش الطوابق العليا.

دخلت الشرطة إلى القلعة ليلا، لم يكن المحققون يتخيَّلون حتى في أحلامهم ما سوف يجدونه في داخل قلعة الرعب، كان الصمت والسكون المُوحِش يحيط بكل شيء، وعلى الأضواء الباهتة لقناديل الشرطة لم تكن لترى عزيزي القاريء سوى نظرة الخوف والترقُّب المُرْتَسِمة على وجوه المحققين، وتسمع صوت دقَّات قلوبهم التي كانت تتزايد باضطراد مُزْعج وهم يكتشفون في أحد الأفران الموجودة في مكتب هولمز أجزاء من جسد امرأة، إضافة إلى خُصْلات طويلة من شعرها.

وفي السرداب وجدوا برميل خشَبي ضخم يحتوي على سائل غليظ أو كما أسْمُوه فيما بعد: «شُورْبَة الموتَى»! وكان يمكن تمييز جثة طفلة صغيرة لم تَذُب تمامًا يعتقد المحققون بأنها تعود إلى «بيرل» ابنة «جولي» عشيقة هولمز السابقة.

اسم بعد الآخر، بدأت تتكشَّف أسماء الضحايا الذين اختفت آثارهم في قلعة الرعب، منهم: «كاتي» التي كانت تُدِير مطعما في القلعة، وأختها «ليز» وكذلك ابنتها «آن» كلهم اختفوا ولم يُعْثَر لهم على أثر.

وهناك أيضا: «ويلفرد كول» أحد الأشخاص الذي دخل مرة إلى قلعة هولمز، اختفى بعدها إلى اللأبد. ومنهم: «هاري ووكر» الذي عمل سكرتيرا لهولمز لأيام معدودة لم يره شخص بعدها.

ومضت القائمة تطول يوما بعد الآخر وتُضاف أسماء جديدة لأشخاص اختفوا وتبعثرت أشلاؤهم في «شوربة الموتى» وبراميل العِظام التي كان هولمز يحتفظ بها في السرداب، ويصنع منها هياكله العظمية التي يبيعها للمؤسسات والكليات الطِّبِّية. لقد قدَّرت الشرطة عدد الضحايا بين: 100 إلى 200 ضحية.

لكن بعض المحققين يظنون أن العدد الحقيقي لا يقل عن 230 ضحية، بسبب كثرة المفقودين في شيكاغو أثناء الاحتفالات بمعرض «كولمبوس» العالمي، والذين لم تعثر الشرطة على أثر لهم.

لكن الرقم الذي تمت محاكمة هولمز على أساسه هو 27 جريمة قتْل فقط من ضِمْنهم «بيتزل» وأطفاله الثلاثة، وذلك على الرغم من أن الشرطة عثرت على الكثير من الجثث في السرداب، إلا أنها كانت مُشوَّهة ومتداخلة بشكل كبير، بحيث لم تستطع الشرطة تمييز أغلبها، فمعظم ضحايا هولمز كُنَّ من النساء، ولكن كانت هناك جثث لبعض الرجال واللأطفال.

هولمز نفسه اعترف في البداية بـ 27 جريمة فقط، ولكنه عاد وادعى البراءة، ثم صرَّح بعد ذلك بأنه ليس هو المُذْنب الحقيقي في عمليات القتل؛ لأن جسده مسكون من الشيطان! وبسبب هذه الادعائات والأكاذيب المتناقضة وجد المحققون صعوبة في توثيق اعترافاته، ولا زالت جرائمه يحيطها الكثير من الغموض حتى يومنا هذا.

نهاية الوحش

في 7 ايار / مايو عام: 1896م. تمَّ شَنْق هولمز في «فلادفيا» وقد حِيكَتْ الكثير من الأساطير حول عملية إعدامه، ولكنْ طِبْقا لمراسِل جريدةِ «النيبورك تايمز» الذي كان متواجدًا في غرفة الإعدام فإن هولمز كان هادئًا، ولم يُظْهِر أثرًا للخوف أو القلق، كما أنه لم يمُتْ بسرعة، وإنما ظل يتلوَّى لمدة لا تقل عن العشر دقائق، واحتاج خمس عشرة دقيقة لكي يتأكد الشانِق من موته!!

ولكن الأساطير لم تنتهِ بعد إعدامه، فما زال الكثيرين يُصرِّون بأن روحه الغاضبة لا زالت تتجوَّل في شوارع شيكاغو، وأن هناك الكثير من الحوادث العجيبة التي حدثت بعد وفاته منها، احتراق قلعته الدموية في حادث غامض.

أغرب شيء هو قبر هولمز، فقد طَلَب -وِفْقًا- لوصيته بأن يُدْفَن على عُمْق عشرة أقدام تحت الأرض، وأن يصبوا الأسمنت المُسلَّح على تابوته حتى أعلى القبر! ولا أحد يعرف لماذا طلب ذلك بالضبط، فالبعض يظن بأنه كان يخاف أن تُسْتَخْرَج جثته بعد موته ويتم العبَث بها، كما فعل هو دَوْمًا مع جثث ضحاياه.

لسنوات عديدة ظلت القلعة الدموية قائمة في ضاحية «انجلوود» لم يجرؤ أحد على السكن فيها أو حتى الدخول إليها، وظلت مهجورة حتى عام: 1938م، حيث قامت الحكومة بهدمها وبناء مكتب للبريد محلَّها.

لقد ذهب هولمز إلى الأبد، ولكن الرعب الذي سبَّبه بقَى يُلْقِي بظلاله على الوجوه عندما يُذْكَر اسمه، وبقتْ كلماته الأخيرة تتردَّد مع صوت الريح التي تعصف بشوارع شيكاغو في ضاحية «انجلوود» حيث كانت تشهد يومًا كلمات هولمز الشهيرة: «لقد ولِدْتُ والشيطان يعيش في داخلي، أنا لا أستطيع أن أُخْبِركم بأني قاتل، كما لا يستطيع الشِّعْر وحدَه أن يُلْهَم أغنية ... لقد ولِدْتُ والشر يقف إلى جانب سريري كالمرشِد، وانطلقتُ معه إلى العالم، ولقد كان معي منذ ذلك الحين ..... أج.أج.هولمز».[1]

1- نقلا -مع التصرُّف- عن الموقع الشهير (Kingdom of Fear) بتاريخ (٩ / ٢ / ٢٠٠٨ م). والموقع العالمي: «Wikipedia، the free encyclopedia». تحت عنوان (Gilles de Rais). وموقع الصحيفة الأمريكية الشهيرة: (نيويورك تايمز/ The New York Times.) تحت عنوان: (Holmes Cool to the End).

6

قاتلة الرغبة .. ملاك الرحمة التي تحولت إلى أبشع سفّاحة!



قُدْرة بعض الناس على إخفاء مشاعرهم وأحاسيسهم الحقيقية وامتلاكهم موهبة تضليل وخداع الشخص المقابل هي مخيفة بكل معنى الكلمة عزيزي القارئ، خاصة عندما يستبطن هؤلاء في عقولهم قدْرًا كبيرًا من المشاكل والعُقَد النفْسية.

فكم من جريمة بشعة اقترفتْها أيادي أشخاص بَدُوا أسْوياء في أعين الناس، وكانوا الأبْعد عن الشبهات مما مكّنهم في الاستمرار في اقتراف جرائمهم لأطول فترة، وهؤلاء يُعْرَفون باسم «القتلة المتسلْسِلون»[1] لأنهم متى ما اقترفوا جريمتهم الأولى فإنهم لن يتوقفوا أبدًا.

1- القاتل المتسلسل في المصطلح الحديث: هو السفاح الذي قام على الأقل بثلاث جرائم قتْل منفصلة عن بعضها خلال أيام أو سنوات.

وقصتنا لهذا اليوم تتحدث عن قاتلة متسلْسِلة استطاعت أن تُخْفِي جنونها عن الناس لفترة طويلة اقترفت خلالها العديد من الجرائم البشعة، متخفِّية تحت لِباس ملائكة الرحمة، امرأة وجدت الكثير من الإثارة والمتعة في إزهاق أرواح الناس، وتمنَّت لو أنها استطاعت حصاد أكبر قدْرٍ منها. إنها تشعر بنشوة عارمة وهي تشاهد ضحاياها يحتضرون!

وُلِدَتْ جين تابِّن (Jane Toppan) عام 1854م. في إحدى مدن ولاية «ماساتشوستس» الأمريكية، اسمها الحقيقي هو «هونورا كيلي»، كانت طفولتها بائسة؛ إذ ماتت أمها في سِنٍّ مبكِّرة، وبقِيَتْ هي وأختها بعُهْدة والدهما المُدْمِن على الكحول والذي كان يُعانِي من أمراض عقلية أدَّتْ به في النهاية إلى الجنون التام، لذلك تمَّ إرسال «جين» الصغيرة وشقيقتها إلى إحدى دُور الأيتام في بوسطن.

في ذلك الزمان كان هناك عدد كبير من الأيتام في الولايات المتحدة، بسبب الحرب الأهلية، وكذلك بسبب تفشِّي بعض الأوبِئة القاتلة، كـ: «وباء مرض السل» الذي كان يحصد آلاف الأرواح عبر البلاد، ويفْتِك بعوائل بأكملها.

لهذا وبسبب الزَّخَم الكبير عليها كان القانون يسمح لدور الأيتام في عَرْض الأطفال الذين يعيشون في كنَفَها ليس للتبنِّي فقط وإنما للعمل كخَدَمٍ أيضا في المنازل مقابل الحصول على الرعاية والملْبَس والطعام والمسكن.

وللعائلة التي يعمل اليتيم عندها كخادم كامل الحرية في تبنِّيه رسميًّا إذا شاءت كما أن لليتيم الحق في ترك منزل العائلة التي يعمل عندها عند بلوغه سِنِّ الرُّشْد إذا شاء ذلك. ومن سوء حظ «جين» أن أحدًا لم يرغب بتبنِّيها، ولكن في أحد الأيام قدِمَتْ إلى المَيْتَم (1) سيدة تُدْعَى «آن تابن» واصطحبت جين إلى منزلها للعمل كخادمة.

منذ الأيام الأولى لها في المنزل الجديد تعرَّضتْ «جين» الصغيرة لسوء المعاملة والتوبيخ والضرب لأتْفه الأسباب، كما أنها شعرت بغيرة كبيرة من «إليزابيث» وهي ابنة مخدومتها

1- المَيْتَم: هو دار الأيتام.

المُدلَّلة التي كانت تقاربها سِنًّا، وكانت تحظَى بكل ما تريد، فيما كانت «جين» تُمْضي يومها الطويل في العمل المنزلي المُرْهِق.

ورغم أنها قضت عدة سنوات في خدمة السيدة «آن تابن» وتحمَّلتْ قسوة معاملتها إلا أن هذه الأخيرة لم ترغب أبدا في تبَنِّي «جين» ولكنها سمحت لها في المقابل باستعمال اسم عائلتها، وهو الأمر الذي ساعد «جين» في المستقبل على إخفاء تاريخ عائلتها الحقيقي الحافل بالفقر والبُؤْس واجـ...

في سن التاسعة عشرة غادرت «جين» منزل عائلة «تابن» نهائيًّا، ولاحقا ارتبطت بعلاقة عاطفية مع أحد الشباب تُوِّجَتْ بالخطوبة، إلا أن خطيبها هجرها لاحقًا، وهو الأمر الذي أضاف عُقْدة جديدة إلى مشاكلها النفسية المتوارثة المتراكمة، ويقال: إنها حاولت خلال تلك الفترة الانتحار عدة مرات، ولكنها فشلت في قتْل نفسها.

في السنوات التالية بدأت «جين» بدراسة التمريض، وخلال الدروس أثارت دهشة زميلاتها بسبب شغفها ووَلَعِها الغير طبيعي بدرْس التشريح؛ إذ كانت «جين» تجد متعة كبيرة في تشريح الجثث البشرية على العكس من بقية الطالبات اللواتي كُنَّ يكرهن هذا الدرْس.

وفي عام 1885م. بدأت «جين» العمل كممرضة متدرِّبة في مستشفى «كامبردج»، وهناك وجدت أخيرًا المكان المناسب للتنفيس عن جنونها الوراثي من دون أن تُثير الشكوك حولها، إذ إن أحدًا لم يكن ليتصور أن تتحول ملاك الرحمة التي تُخفِّف آلام الناس إلى عزرائيل[1] توَّاق لحصْد الأرواح.

في البداية أخذت «جين» تُبْدَي اهتماما متزايدًا في دراسة العقاقير المخدِّرة، وذلك

1- عزرائيل: هو اسم ملك الموت في الإسرائيليات القديمة، ولم يثبت في الشريعة الإسلامية ما يدل على صحة هذا الاسم، والصحيح الثابت أن اسمه هو: «ملك الموت» كما سمَّاه رب العالمين في قرآنه فقال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة السجدة. آية: ١١]. ولم يقل: «يتوفاكم عزرائيل»! فانتبه لهذا يرعاك الله.

لغرض الوصول إلى طريقة تُمكِّنها من قتْل الناس من دون أن يشعر بها أحد، وبما أنها كانت تقضِي معظم وقتها في المستشفى لذلك أخذت تتلاعب بالوصفات الطِّبِّية التي يكتبها الأطباء.

وبدأتْ تستخدم المرضَى كفِئران تَجارِب عن طريق حَقْنَهم بمقادير متباينة من العقاقير المخدرة والمسكِّنة، ثم تنتظر لبُرْهة لملاحظة التأثيرات التي تتركها هذه العقاقير على جهازهم العصبي.

وقد قادت هذه التجارب المجنونة في النهاية إلى توصُّل «جين» لوصْفَتها السحْرية القاتلة التي تتألَّف من جُرْعة زائدة من عقاريْ: المورفين (Morphine) واللأتروبين (Atropine) حيث أنها لاحظت بالتجربة أن أعراض التسمُّم بالمُورفين كانت تُغطِّي على أعراض الأتروبين، والعكس صحيح بحيث يصْعُب على الأطباء معرفة السبب الحقيقي للوفاة.

لا أحد يعلم على وجْه الدِّقَّة كيف كانت «جين» تختار ضحاياها وما هي المواصفات التي كانت تبحث عنها فيهم، ولكن الجميع متفقون على أن الرغبة الجِنْسية كانت تلعب دورًا كبيرًا في أغلب جرائمها، فبعد أن تختار ضحيتها وتحْقِنه بالعَقار المميت كانت «جين» تجلس بجواره وتجد مُتْعة لا تُوصف في مراقبته وهو يحتضر.

وأحيانا كانت تصعد إلى سرير الضحية وتستلقي بجواره بحيث تشعر بأنفاسه الحارَّة المتسارعة تلهب صدرها كالسَّوْط، ثم كانت تحتضنه وتشدُّه إلى جسدها بقوة حين تُداهِمُه سكْرة الموت.

ويبدو أنها كانت تُداعِب ضحاياها المساكين جِنْسيًّا أثناء احتضارهم، إذ أخبرت المُحلفين أثناء محاكمتها بأنها كانت تحصل على متعة عارمة حين تُداعِب المريض المحْتَضِر بشكل يجعله يفتح عينيه ويستعيد وعْيَه لبُرْهة قصيرة قبل أن تفارِق الروح جسده، كانت نظرات الرعب والصدمة تلك تُمثِّل قِمة النشوة الجِنْسية بالنسبة إلى «جين».

في عام 1889م. انتقلت «جين» للعمل كممرِّضة في مستشفى «ماساتشوستس» العمومي، وهناك قتلت عددًا آخر من ضحاياها، لكنها سرعان ما فُصِلَتْ من عملها، فعادت للعمل في مستشفى «كامريدج» لتقتل بعض المرضَى أيضا قبل أن تبدأ الشكوك تحوم حولها ويتم فصْلُها بسبب حقْنها لعدد من المرضى بجُرْعات متهوِّرة من الأفيون.

بعد فصْلها من المستشفى قرَّرتْ «جين» أن تعمل كممرِّضة خاصة، والعجيب أن عملها الجديد سرعان ما ازدهر رغم بعض الأقاويل هنا وهناك حول سرقتها لبعض الحاجيات من منازل مرضاها، ورغم موت عدد كبير منهم بصورة غامضة، وكانت أختها غير الشقيقة «إليزابيث» أو بالأحرى الابنة المُدلَّلة لمخدومتها السابقة السيدة «آن تابن» هي إحدى ضحاياها في تلك الفترة.

ويبدو أن الغاية الرئيسية من قتلها لـــ: «إليزابيث» كان الانتقام من أمها، وأيضا لأن «جين» كانت تغار من «إليزابيث» وتُكِنُّ لها كراهية شديدة منذ طفولتها حيث كانت تعمل خادمة في منزلها.

وفي عام 1901م. انتقلت «جين» للسَّكَن في بيت ضابط عجوز يُدْعَى «ألدين ديفز» للعناية به بعد وفاة زوجته التي كانت «جين» قد قامت بقتْلها بنفسها في السابق. ولم يمْض وقت طويل على وجود «جين» في منزل «آل ديفز» حتى مات العجوز ألدين ثم لحقت به وبشكل غامض ابنته الكبرى «آني» وتبعها بفترة قصيرة الابنة الثانية «ماري»،

وهنا أخذت تتزايد شكوك بقية أفراد عائلة «ديفز» في سبب حوادث الموت المتوالية وغير المنطقية التي ألَمَّتْ بهم، خصوصًا أن هذه الحوادث لم تقع إلا بعد قدوم «جين» إلى المنزل. لذلك وبسبب شعورها بالخطر فقد قامت «جين» بالفرار من المنزل تحت جُنْح الظلام.

انتقلت «جين» إلى منزل أختها غير الشقيقة «إليزابيث» بحجة الاعتناء بزوجها ومساعدته على تجاوز مِحْنة وفاة زوجته رغم أنها كانت هي التي قامت بقتلها! ولأنها

كانت كمَلاك الموت ينْعِق البُوم ويحلُّ الخراب أينما حطَّتْ رحالها، لذلك لم يمض سوى أسبوع واحد على تواجدها في منزل زوج «إليزابيث» حتى ماتت أخته الصغرى بصورة مفاجئة وغامضة، ثم تعرَّض هو نفسه لوعْكَة صِحِّية بعد أن قامت «جين» بتسْمِيمه بجرعة صغيرة، وذلك لكي تجد حجة لبقائها في المنزل بحجة الاعتناء به حتى يُشْفَى، لكنه بدأ يرتاب بها بشدة.

ولكي تبعد الشبهات عنها قامت جين بتسْميم نفْسها بجرعة صغيرة من العَقار القاتل ولكن ذلك أدَّى إلى نتيجة عكسية، حيث ازدادت شكوك زوج «إليزابيث» بها وأمرها بمغادرة منزله فورًا.



في هذه الأثناء كانت عائلة «ديفز» قد تقدَّمتْ بشكوى إلى الشرطة طالبت فيها بتشريح جثة «ماري ديفز» التي كانت «جين» قد قتلتْها وكانت قد دُفِنتْ حديثا. كانت العائلة ترتاب في أن «ماري» ماتت مسمومة، وقد جاء تقرير الأطباء الذين شرحوا الجثة

ليؤكد شكوكهم إذ ظهر بجَلاء وجود كمية كبيرة من «المُورفين والأتروبين» في جسدها كانت هي السبب الرئيسي في وفاتها.

في عام 1901م. أُلْقِيَ القبض على «جين تابن» بتهمة قتْل «ماري ديفز»، وخلال التحقيق معها اعترفت «جين» بارتكاب جرائم أخرى، وأثارت اعترافاتها المرعبة صدمة كبيرة في أوساط الرأي العام الأمريكي آنذاك؛ إذ إن جرائمها وضعت النظام الصحي للبلاد بأكمله تحت المساءلة لعدم قدرة الأطباء على اكتشاف هذه الجرائم المتعددة رغم أن أغلبها وقعت داخل مستشفيات متخصصة وتكرر حدوثها لفترة طويلة.

وفي عام 1902 تمَّ تقديم «جين تابن» للمحاكمة بتهمة قتْل 11 شخصًا، وقد توقَّع الكثير من الناس أن يتم الحكم عليها بالإعدام، لكن هيئة المحلفين فاجأت الجميع واعتبرتْها غير مذنبة، وأوصتْ بإرسالها إلى مَصَّحة عقلية، ويبدو أن هيئة المُحلِّفين قد أخذوا بنظر الاعتبار الظروف المأساوية التي أحاطت بطفولة «جين»، وكذلك الجنون المتأصِّل في عائلتها، فوالدها وأختها كانا كلاهما قد أُدْخِلا إلى مَصحَّات عقلْية، حيث قضيا ما تبقَّى من عمرهما هناك.

بعد فترة من المحاكمة نشرت صحيفة «نيويورك جورنال» تحقيقا صحفيًّا بقلم أحد مُحرِّريها كشف فيه عن حديث أدْلَى به محامي «جين تابن» في جلسة خاصة قال خلاله بأن مُوكِّلَته كانت قد أخبرتْه أثناء تحضيره للدفاع عنها بأن عدد ضحاياها الحقيقيين هو 31 شخصًا، وأنها خدعت هيئة المُحَلِّفين بادَّعائها الجنون على أمل أن تتمكن من الخروج من المصحة بعد فترة من الزمن لتواصل جرائمها.

كما أخبرتْه بالحرف الواحد بأن طموحها الحقيقي هو: «قتْلُ المزيد من الناس .. أكثر من أيِّ قاتل أو قاتلة عاشا على الأرض...».

لكن هذه التصريحات لم تنجح في إقناع القضاء بإعادة محاكمة «جين تابن»، بل بالعكس أكدت لهم بأن هذه المرأة مجنونة تماما بغض النظر عن عدد ضحاياها.

عاشت «جين تابن» في المصحَّة العقْلِيَّة لسنوات طويلة ولم تخرج منها إلا جثة هامدة عام 1938م، لكن ذِكْراها المُرْعبة ظلتْ محفورة في أذهان الكثير من الناس ومنهم أطباء ومُمَرِّضِي المصحَّة التي قضتْ فيها، والذين ظلوا يتذكرون لسنوات طويلة كيف كانت «جين» تحاول إغواءهم مطالبة إياهم بَحَقْن المرضى بجرعة زائدة من المورفين، وهي تَرْدِف ضاحكة بنبْرة شريرة: «سنحْظَى بقدْر كبير من المتعة ونحن نشاهدهم يموتون»!

أخيرا ربما لا تكون «جين تابن» هي أكثر القتلة المُتَسلْسلِين من حيث عدد الضحايا، لأن الرجال هم المتفوِّقون في هذا المضمار بالطبع، لكن «جين» تفوَّقتْ على الكثير من بنات جنسها القاتلات، وتميَّزتْ عنهن بشيء دفَع العديد من الباحثين لدراسة حالتها، إذ أن المرأة عادة ما تقتل بهدف الحصول على المال، وأحيانا بسبب الغيرة والضغينة أو العشق والحب، ولكن نادرا ما تقتل المرأة بسبب الرغبة الجنسية الآنية كما هو الحال بالنسبة إلى جرائم «جين تابن».(1)

1- نقلا -ببعض التصرف-: عن مقال: «قاتلة الرغبة .. ملاك الرحمة تحولت إلى عزرائيل!!» المنشور في الموقع العربي: (Nightmare/ كابوس)، والموقع العالمي: (From Wikipedia، the free encyclopedia) تحت عنوان: (Jane Toppan).

7

جرائم غامضة تحت نوازع عجيبة!

قد يكون لعدد من جرائم القتل العَمْد أسبابًا غير مفهومة بشكل واضح، إذ لا تدخُل في نِطاق الدوافع المألوفة لارتكابها كالمال أو المكانة الاجتماعية (حُب السُّلْطة أو الحِرْص على الشرَف أو الغَيْرة) أو الانتقام (كالثأر)، كما أنها لا تتصل بالدافع الجِنْسي المريض كالاغتصاب والسادية[1]

إنها تلك الدوافع التي يرى فيها الأخِصَّائيون مجرد حالات نفْسية (إنْ ثبت تشخيصها) سيطرت على مُرْتكبي الجرائم فلم يصبحوا سوى ضحاياها (مرضاها) فنفَّذوا ما تُمْليه «عقولهم المريضة» ولهذا يتطلَّب الأمر علاجهم عِوَضًا عن معاقبتهم أو تنفيذ الأحكام القضائية القاسية بحقهم وِفْقًا للمنظور النفْسي.

في حين يرى آخرون أن «العقل المريض» الذي أمرهم بارتكاب الجرائم ليس إلا «كائنات غَيْبِيَّة» أو «ما وَرَائِية» سيطرت على عقولهم، مستندين في ذلك إلى اعترافات مُنفِّذيها أنفُسِهم، فهل جاءت اعترافاتهم فعلًا بهدف التملُّص من المسؤولية في ارتكاب الجريمة، أو على الأقل للتخفيف من العقوبة، خصوصًا أنها قد تُعْتَبر حجة بيد المحامين الموكَّلين بالدفاع عن المتهمين للتشكيك في قدرات المتهمين النفْسية، وبالتالي الحصول على حكم ببراءته، أو على الأقل التخفيف من الحُكْم ؟

1- السادية: هو مذهب فِكْري يقوم على تحقيق اللّذة بتعذيب الآخرين. أو هو شذوذ جنسيّ قائم على التّلذُّذ بإحداث الألَم لدى الآخر طلبًا للتهيُّج الجنسيّ أو لإشباعه. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» [ص/ ١٤٥٣] للأستاذ أحمد مختار عمر.

وكيف يكون المجرم نفسه ضحية أو أداة لمجرم «غَيْبي» آخر ؟ ومتى يكون المجرم مُسيَّرًا وليس مُخيَّرًا لدَى ارتكابه الجريمة ؟

جملة من التساؤلات التي ما زالت تثير قضايا جدَلِية، ولن يكون من السهل الإجابة عنها، وبدلًا من ذلك سنكتفي فقط بتسليط الضوء هنا على عدد من الجرائم التي زعم مرتكبوها أنها تمَّتْ بإيعاز من «كائنات غَيْبِية» وكان من بين ضحاياها قرابين للشيطان.

1

أحمد سوراجي:

زعم أنه رأى شبح أبيه الذي طلب منه قتْل 70 امرأة!



في 10 يوليو 2008م. جرى إعدام أحمد سوراجي (57 سنة) والذي عُرِف بـ (سفاح إندونيسيا) رَمْيًا بالرصاص، وهو مُرَبِّي الماشية، كان يُعْرَف أيضًا باسم: (نسيب كيليوانغ) أو بالاسم المستعار (داتوك)، وذلك بعد أن حُوكِم واعترف بقتْل 42 فتاة وامرأة على مدى أكثر من 11 عامًا، حيث تراوحت أعمار ضحاياه بين 11 حتى 30 سنة، وكان يعمِد إلى دفْن جسد الضحية في الأرض حتى منطقة الخَصْر، ومن ثَمَّ يقوم بخنْقِها بواسطة سِلْك كجزء من الطقوس.

- وكان قد أُلْقِي القبْض على (سوراجي) في 2 مايو 1997م. بعد اكتشاف عدد من

جثث الضحايا بجوار منزله الكائن في ضواحي مدينة (ميدان) عاصمة شمال جزيرة سومطرة، حيث كان يدفن ضحاياه في مزرعة قصَب السُّكَّر المجاورة لمنزله، وكان يحرص على أن تكون رؤوس ضحاياه مواجهة لمنزله معتقدًا أن ذلك يمنحه قدرة أو قوة إضافية خصوصًا أنه شاماني ويمارس السحر الأسود .

- وفي إفاداته أخبر (سوراجي) الشرطة أنه في عام 1988م. رأى شبح أبيه في حلْم فطلب منه أن يقتل 70 امرأة ويقوم بشُرْب لعاب كل منهن ليجْعَل منه ذلك «معالجًا رُوحيًّا» كما كانت النسوة والفتيات يأتين إلى (سوراجي) بصفته ساحرًا أو دوكونًا (دوكون: معالج أو وسيط روحاني يمارس الطريقة الشامانية والسحر الأسود وفْق الثقافة الأندونيسية) بهدف الحصول على المشورة الروحية، أو لجعل أنفسهن أكثر جمالًا أو ثَراءً.
- ولـ (سنوارجي) 3 زوجات (جميع أخواته) كُنَّ يُساعدن في عمليات القتل وإخفاء الجثث، ولهذا تمَّ إلقاء القبض عليهن أيضًا، وقد حُوكِمَتْ (توميني) إحدى زوجاته الضالعين في الجرائم.

وبدأت المحاكمة يوم 11 ديسمبر 1997م، حيث بلغ عدد صفحات التُّهَم الموجَّهة إليه 363 تهمة، رغم إصراره على براءته منها، وفي 27 أبريل 1998م وجدتْه لجنة ضمَّتْ 3 قضاة في (باكام لوبوك) مُذْنِبًا فأصدروا حُكْمًا عليه بالإعدام رَمْيًا بالرصاص، حيث نُفِّذ الحُكْم في 10 يوليو 2008م.

2

مايكل بريا:

زعم أن الرب طلب منه قتل أمه!



كان (مايكل بريا) في فترة من الزمن مُمثِّلًا في مسلسل تلفزيوني يحمل عنوان «بتي القبيحة» (Ugly Betty) فحصل على قَدْرٍ من الشهرة يُذْكَر له في حواشي تاريخ التلفزيون.

لكن شهرته تلك لم تأتِ لعمله المتميِّز في مجال الترفيه، كما أنها لم تأت من أمور أصبحت عادية، كتعاطي للمخدرات، إنما أتتْ نتيجة تطوُّرات خطيرة في حالته الذِّهْنية جعلتْه يقتل أمه، حيث يقول (بريا): «أنا لم أقتلها وإنما قتلتُ الشيطان في داخلها».

في يوم الإثنين 22 نوفمبر، 2010م. حدثت مشادَّة كلامية بين (بريا) وأمه في الشقة

التي يشتركان في السكَن فيها، والكائنة في (بروكلين - نيويورك)، وخلال تلك المشادة حدث أن ذُكِر الربُّ في الموضوع الذي كانا يختلفان فيه، عِلْمًا أن (بريا) يزعم أنه يسمع أصواتًا يخص إحداها الرب، وأخبرته تلك الأصوات بأن هناك شيطانًا يقْبَع داخل أمه ويجب إخراجه منها بطريقة أو بأخرى.

وبعد فترة من الصراخ والصياح سأل (بريا) أمه فيما إذا كانت تُؤمن بالرب؟ فأجابتْه: «لا» وبصوت عال، فاستلَّ (بريا) سيفًا يُسْتَخْدَم في مراسم الماسونية وذبح به أمه حتى الموت. وفيما يلي وقائع الحادثة كما يرويها (بريا):

يقول (بريا): «كان لها صوت شيطان ... سألتُها هل تؤمنين بالله؟، فقالت: لا ...، لا مايكل»، وبدأت بالصراخ، فبدأتُ أُمزِّقها هكذا وهكذا ...»، كان (بريا) يُلوِّح بيده اليُمْنَى بشكل عنيف أثناء قوله هذا، وأضاف: «لم أكن أريد أن أقتلها هكذا ..كنت أريد أن أُعطيها وقتًا لتصبح على حق مع الله».

حينما وصلت الشرطة كان (بريا) يقول إنه كان على عِلْم أن لديه الوقت الكافي لإنهاء المهمة حيث قال: «كنت أعلم أنهم لن يتمكنوا من فتح الباب وإيقافي لأن الأرواح كانت تحميني ... فظللت أُقطِّعها، ولا يمكن لأحد أن يوقِفَني، كنت أقوم بعمل الله».

- ليس من المستغرب أنه جرى اعتقال (بريا) ووُجِّهتْ إليه تهمة القتل من الدرجة الثانية، وحِيازته لسلاح الجريمة، ومع ذلك بقِيَ هناك أمر غير محدَّد، وهو حالته العقلية. لذلك جرى احتجاز (بريا) في مصحَّة (بلفيو) النفسية ريْثما يجري تقييم حالته .

فهل سيتمُّ البرْهنة على سلامته العقلية، وبالتالي يُعْتبَر مسؤولًا عن جريمته (وهو أمر مستبْعَد) فيَمْثُل أمام المحكمة ؟ أم أنه سيقضي وقتا طويلًا في المصحة إلى أن يُقرر الأطباء أنه أصبح جاهزًا للعودة إلى المجتمع؟[1]

1- نقلا -ببعض التصرف-: عن مقال: «جرائم قتْل بإيعاز من كائنات غيبية !!» المنشور في الموقع العربي: (Nightmare/ كابوس)، والموقع العالمي: (From Wikipedia، the free encyclopedia) تحت عنوان: (Ronald DeFeo، Jr.). والموقع الأجنبي: (Law Library - American Law and Legal Information) والموقع الأجنبي: (Aftermath News) والموقع الأجنبي: (Wikipedia)

8

ريا وسكينة .. سفّاحتان تحوّلتا إلى أسطورة



ليس من الغريب أن تتشابه أخلاق وسلوكيات أفراد بعض العائلات، ولا غرو أن للوراثة دورًا كبيرًا في ذلك، ولهذا نجد بعض العائلات تشتهر بالجُود والكَرم، وأخرى بمَيْلها للعنف وسرعة الغضب.

وهناك أيضا عائلات يجمع بين أفرادها خصلة سوء الأخلاق ورداءة الطبْع، فترى الناس تتحاشَى الاختلاط بها وتتجنَّب جِيرتَها. وفي مقالنا هذا سنتناول ثلاث قصص مختلفة لنساء ينْتَمِين إلى هذه الطينة والعيِّنة، فهن شقيقات جمعهن رابط الدم، وتشابهت أخلاقهن الرديئة فأصبحن قاتلات محترفات وجَدْن لذَّتهن في سفْك الدماء واستلال الأرواح البشرية لأجل غاياتهن المريضة والدنيئة.

ربما تكون قصة «ريا وسكينة» هي من أشهر قصص القتَلَة المتسلْسِلين (Serial killers) في مصر والعالم العربي، وقد يعود جزء كبير من هذه الشهرة إلى الإعلام المصري الذي تناول القصة منذ منتصف القرن المنصرم في عدة أفلام ومسرحيات نالت نجاحا واسعًا.

ربما يعود جزء من شهرة القصة أيضا إلى سِحْر الماضي، فمطْلَع القرن العشرين كان زمانًا له نَكْهة خاصة ليس في مصر فحسب بل في جميع أرجاء المعمورة، فذلك العهد شكَّل انعطافة كبيرة في تاريخ البشرية جمعاء، حيث بدأت الاختراعات والاكتشافات تتوالَى بشكْل متسارع في جميع المجالات فظهرتْ الطائرات والسيارات وشبكات الكهرباء والسينما.. إلخ.

لذلك أصبحت تلك الحِقْبة تُمثِّل مزيجًا سِحْريًّا غريبًا تداخل فيه القديم مع الحديث، فكانت العَرَبة التي تجرُّها الخيول تسير في الشارع جنبًا إلى جنْب مع السيارة والقطار.

وكانت الأزياء والألوان تختلط في الأسواق والمقاهي ما بين القديم المُتمثِّل في جلاليب وعباءات الناس البسطاء والحديث الذي تُجُسده البذلات والفساتين البرَّاقة والأنيقة لطبقة الأفندية والهوانم، وعلى الرغم من أن معظم الناس كانوا فقراء لكن الحياة بشكل عام كانت سهلة وبسيطة، لذلك دأب العجائز وكبار السِّنِّ على تذكُّر تلك الأيام قائلين بحسرة: «الله يرحم زمان وأيام زمان».

ينبغي أن نذكر قبل الخوض في تفاصيل القصة، للأمانة والتاريخ، بأن جرائم الشقيقتيْن لم تكن غريبة ولا جديدة على العالم العربي، فمن ينْبُش في كتب التراث سيجد جرائم مماثلة، بل ربما أسوأ وأبشع ذكرها المؤرخون القدماء في كتبهم.

جرائم جرَتْ أحداثها ووقائعها خلال القرون المنصرمة في بغداد والقاهرة وغيرها من الحواضر العربية والإسلامية، لكنها مُحِيَتْ من الذاكرة وطوَاها النسيان لتقادُم الزمان ولقناعة البعض الساذجين في أن الأقدمين كانوا منزَّهِين عن جرائم وآفات المجتمع العصري.

ولعل عصابات الخنَّاقين[1] هي الأشهر في هذا المجال، وهي أبلغ مثال على جرائم

1- وهم الخنّاقون الذين ذكرهم الجاحظ في «كتاب الحيوان» وكانوا منتشرين في البصرة وبغداد على عهده وقال عنهم: «إنهم لا يسكنون في البلاد إلا معًا ولا يسافرون إلا معًا، فلربَّما استولوا على الدرْب بأسره، ولا ينزلون إلا في طريقٍ نافذ ويكون خلف دُوُرهم، إما صحارى أو بساتين وأشباه ذلك تسهيلًا للهرب اذا حوصروا.
وكان لهم دربٌ ببغداد يُسمَّى «درب الخنَّاقين» حيث يقتادون الضحية إلي دَرْبهم وقد جعلوا على أبوابهم مُعَلِّمًا منهم ومعه صبيان يُعلّمهم الهجاء والقراءة والحساب. وفي كل دارٍ لهم كلاب مربوطة تشترك كذلك في العملية. ولدى نسائهم دُفوف وطبول وصُنوج. فاذا أراد أهل دار منهم خنْقَ إنسانٍ ضربت النساء بالطبول والدفوف والصُّنُوج وأطلقن الزغاريد وصاح المعلّم بالصبيان أنِ ارفعوا أصواتكم بالقراءة وهيِّجوا الكلابِ. فلو كان للمخنوق صوتُ حمارٍ لما شعر بمكانه أحد، كما أن الناس إذا سمعوا تلك الجَلَبة لم يشكّوا أن عُرْسًا يجري في دُوُرهم أو فرحًا». انظر: «الحيوان» [٢/ ٣٩٠/ الطبعة العلمية]. للجاحظ.
وذكر ابن الجوزي في كتابه «المنتظم» وبتفاصيل أشمل من هذا فقال: «وفي يوم الخميس ثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى أخذ خنَّاق ينزل درْب الأقفاص من باب الشام خنْق جماعة ودفنهم في عدة دُور سكَنها، وكان يحتال على النساء يكتب لهن «كتاب العطْف» ويُدْعَى عندهن «علم النجوم والعزائم» فيقصدْنَه، فاذا حصلت المرأة عنده سلَبَها ووضع وَتَرًا له في عنقها، ورَفَس ظهرها واعانتْه امرأته وابنه، فإذا ماتت حفر لها ودفنها، فَعُلَم بذلك فكبِسَت الدار فأُخْرِج منها بضع عشرة امرأة مقتولة، ثم ظهر عليه عدة دُور كان يسكنها مملوءة بالقتلى من النساء خاصةً، فطَلب فهرب إلى الأنبار فأُنفِذ إليها مَن طَلَبه فوجده فقبض عليه وحُمِل إلى بغداد فَضُرب ألف سوط وصُلِب وهو حي ومات» انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» [٦/ ٢٠٧/ طبعة دَار صادر]، لابن الجوزي.
ولاحظ هنا مشاركة المرأة والابن في هذه الجريمة يدل على أن هذه العائلة قد اتخذت حرفة الخناقة لسلْب الناس أموالهم !
وفي القاهرة، ذكر بدر الدين العيني في كتابه «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان» في حوادث سنة ٦٦٢هـ عن امرأة خنَّاقة اسمها «غازية الخنَّاقة» حيث يقول: «ومنها: أنه وُجِدَتْ بظاهر القاهرة، خارج باب الشعرية، امرأة تتحيَّل على الناس، وتُدْخلهم بيتًا لها هناك، وقد أَعدَّتْ فيه رجالًا يطابقونها على سوء فعلها، فيخنقون مَنْ تأتي به، فقتلتْ خلْقًا كثيرًا من رجال ونساء، فأُمِر بها فسُمِرَتْ.
وكان اسم هذه المرأة السيئة «غازية الخناقة»، وكانت ذات حُسْن وجمال، وكانت تمشي بالمدينة ومعها عجوز تطمع الناس في نفسها، وكان من طمع فيها وطلبها تقول له العجوز: إنها لا يُمْكِنها التوجُّه إلى أحد، ولكن تعال أنت إلى بيتها، فيجيء، فيطلع له رجلان، فيقتلانه ويأخذون ما معه، وكانوا ينتقلون من مكان إلى مكان، فاتفَق أن العجوز أتت إلى بعض المواشط، وأمرتْها أن تأخذ ما تقدر عليه من الحُلي والحُلَل، وتمضي معها لعروسة عندها، ففعلت الماشطة، واستصحبت معها جارية لها، ولمَّا دخلت الماشطة منزلهم، رجعت الجارية إلى مكانها، فقتلوا الماشطة، وأخذوا ما معها، فاستبطأتْهـا=

قتلَة الأزمان الغابرة، فهؤلاء السفَّاحين تفنَّنوا في استدراج ضحاياهم والإيقاع بهم، ومثلما كانت «ريَّا وسكينة» تخدعان الضحية وتجرَّانها إلى حتْفِها بالحيلة والكلام المعسول.

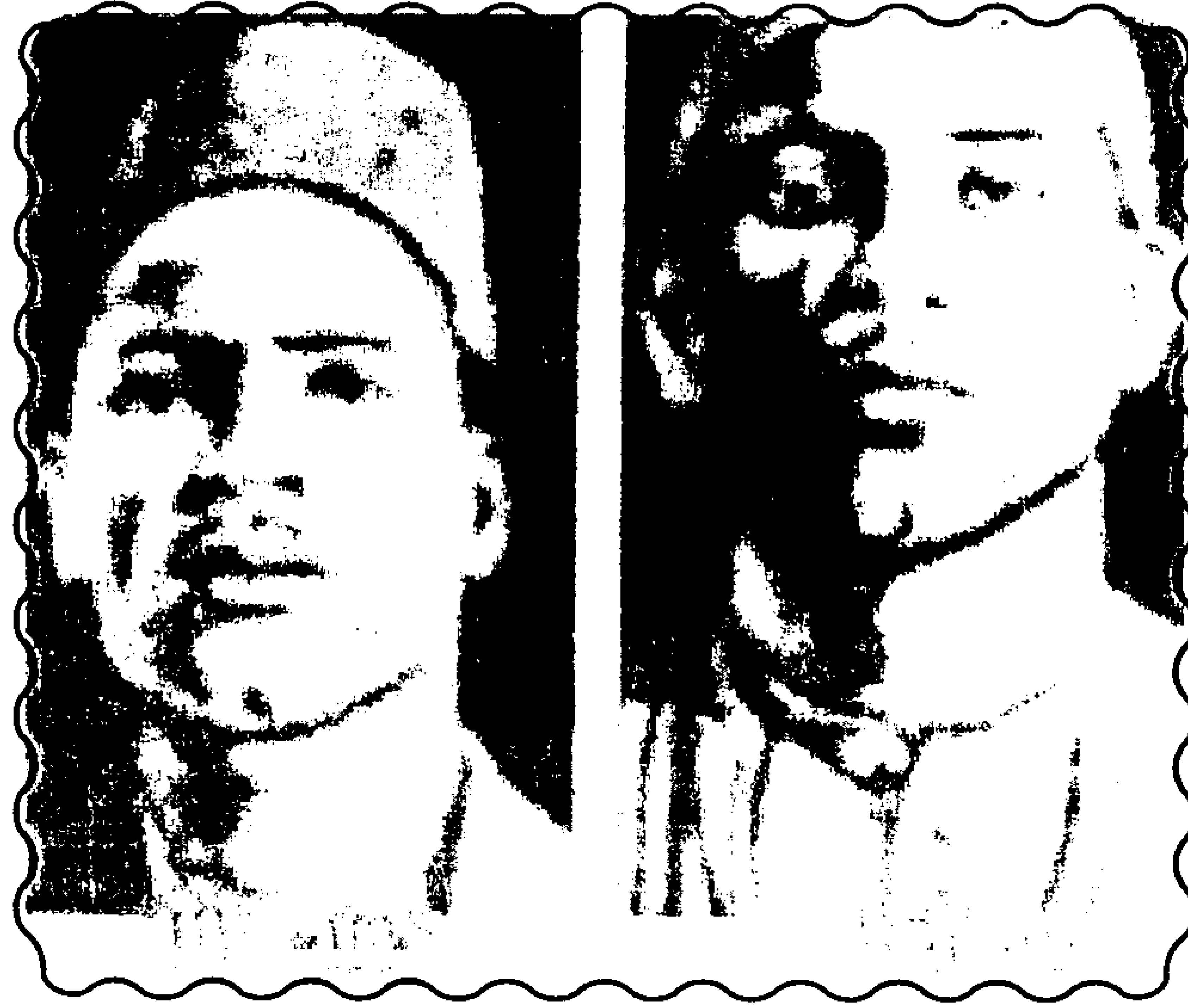
فإن نساء الخنَّاقين كانت وظيفتهن تنحصر غالبًا في الإيقاع بالضحية واستدراجها إلى الكمين المتفق عليه حيث يتولَّى أفراد العصابة من الرجال قتْلَها ودفْنها.

الإسكندرية في مطلع القرن العشرين لم تكن كما يعرفها الناس اليوم، كان قِسْم كبير منها يغصُّ بالأحياء القديمة والمنازل المتهالكة التي كان يتقاسم غُرَفها عدة مستأْجِرَين في آنٍ واحد، فالبناء العمودي ونظام الشُّقَق لم يكن منتشرًا آنذاك كما هو الحال الآن، وكانت الشقيقتان «ريا وسكينة» تعيشان في أحد تلك الأحياء القديمة والفقيرة الذي كان يُدْعَى بـــ: «حَيِّ اللبَّان».

وفي عام 1920م. بدأت ترِد إلى قِسْم شرطة اللبان بلاغات من بعض الأهالي حول اختفاء نسوة من أقاربهم بشكل غامض، الطريف في الأمر أن بعض ذوي النساء المفقودات ذكروا اسم «سكينة» ضمن إفاداتهم على أنها كانت آخر شخص تمَّتْ مشاهدته مع بعض المفقودات قبل اختفائهن.

والأطرف من ذلك هو أن بعض جرائم القتل حدثت في أماكن لا تبعد عن قِسْم الشرطة سوى أمتار معدودات. لكن بالطبع يجب أن لا ننْسَى بأننا نتكلم عن أحداث جرتْ قبل ما يقارب القرن من الزمان، عندما كانت وسائل وتِقْنِيات التحقيق لدى الشرطة تتصف بالبدائية، وفي زمان كانت الشرطة تعمل فيه جاهدة لبسْط سطوتها على الأحياء والحارات التي كان يحكمها الفُتُوَّات والبلْطجية.

=جاريتها، فجاءت إليهم وطلبتها، فأنكروها وادَّعوا أنها خرجت من يومها، فمضت وأتتْهم بصاحب الشرطة، فاحتاط عليهم وعذبهم، فأقروا بما كانوا يفعلون، وأطلعوا في بيتهم على حُفْرة فيها خلْق عظيم مقتولين، وكان بعض الطوابين قد اتفق معهم، وجعلوا يحضرون إليه القتلى مُخْتفيًا، فيحرقهم في أقْمِنة الطوب، فأمْسِكوا جميعًا وسُمِروا، وكانوا خمسة أنفس، وأما المرأة فإنها بعد التسْمير أُطْلِقتْ، فأقامت يومين، ثم ماتت، عليها ما تستحق».



لذلك تم إهمال العديد من الأدلة التي كان يمكن أن تُدِين السفَّاحتين اللتيْن مَضيْن في قتل المزيد من الضحايا بدون خوف أو وَجَل، ومع ازدياد عدد ضحاياهن، تزايد أيضا وانتشر الرعب والهلَع في المدينة انتشار النار في الهشيم، وصارت النساء تتحاشَى مغادرة منازلهن إلا عند الاضطرار، وذلك بسبب خوفهن من عصابات الخَطْف.

في النهاية كانت الصدفة وحدها هي التي أوقعت الشقيقتيْن في يد العدالة، فسكينة كانت تستأجر غرفة من الباطن، أي أنها كانت مستأجَرة لدَى أحد الأشخاص الذي كان هو أيضا بدوره مستأجرًا من صاحب العقار الأصلي، ويبدو أن العلاقة بين المستأجِر والمُؤجِّر لم تكن على ما يُرَام، فوصلت خلافاتهما إلى أقسام الشرطة والمحاكم.

وحين أمرت المحكمة بإخلاء المنزل لصالح مالك العقار الأصلي اضطرت سكينة أيضا إلى إخلاء غرفتها، وقد حاولت بكل وسيلة وحيلة إقناع صاحب الدار بأن يؤجِّر لها الغرفة مرة أخرى، لكنه رفض ذلك بشكل قاطع بسبب سيرتها المُشينة وتصرفاتها التي طالما أزعجت الجيران.

فسكينة كانت بائعة هَوًى في شبابها، ثم أصبحت قوَّادة تستأجر عددًا من البيوت

والغُرَف لإقامة حفلات السُّكْر والعرْبَدة، مستعينة بعدد من بائعات الهَوَى والنساء سيئات الصِّيت، وقد ورد في حيثيَّات الحكم الصادر بحقِّ الشقيقتيْن من محكمة جنايات الإسكندرية ما يؤكد طبيعة عملهن، حيث ذُكِر أن: «هذه المحلَّات جميعها أُعِدَّتْ للدِّعارة سِرًّا، وكانت البغايا من النساء تتردد إليها تارة من تِلْقاء أنفسهن، وطَوْرًا بطلب من «ريا وسكينة» لتعاطِي المسكرات وارتكاب الفحشاء فيها، وكانت إدارة المحلات المذكورة مشتركة بين ريا وسكينة، وأرباحها تُقْسَم بينهما»..

ويشاء الله أن يُقرِّر مالك العَقار الذي أُخْلِيَتْ منه سكينة إجراء بعض الترميمات في أرجاء المنزل، ومن ضمنها الغُرفة التي كانت مستأجَرة من قِبَل سكينة، حيث شرع في حفْر أرضيتها لغرض تبديل بعض أنابيب المياه المتآكِلة.

لكن الرجل ما يلبث أن يعثر على بعض العِظام البَشَرية مدفونة تحت البلاط، فيمضي في الحفْر حتى يعثر على جثة كاملة متفسِّخة لامرأة لم يتبقَّ مما يدل على هُوِيَّتها سوى بعض خصَلات الشَّعْر الطويلة المعلَّقة بالكاد إلى جمجمتها.

يُهْرَع الرجل إلى قِسْم الشرطة مصطحبًا إياهم إلى داره لمعاينة الجثَّة، فيقرِّر هؤلاء الاستمرار في حفْر أرْضية الغرفة على أمل العثور على المزيد من الجثث، وبالفعل يتم العثور على جثة أخرى في نفس الغرفة، وعلى جثة ثالثة في غرفة مجاورة كانت مستأجَرَة أيضا من قِبَل سكينة.

ثم تبدأ الشرطة في البحث في المنازل والأماكن التي كانت سكينة تتردد عليها فتعثر على جثة رابعة في منزل آخر كانت سكينة تستأجر إحدى غرفه أيضا. ويؤدي اكتشاف الجثث إلى أن ترتاب الشرطة أيضا في «ريا» شقيقة «سكينة» وتبدأ في مراقبتها. ويشاء الله أن يشاهِد أحد المُخْبِرين «ريا» في منزل يقع بالضبط خلْف مبْنَى قِسْم شرطة اللبَّان، يشك المُخْبِر في تصرفات «ريا» لأنها كانت تُعطِّر إحدى غُرَف المنزل بكمِّية كبيرة من البُخور لا تتناسب مع حجْم الغرفة الصغيرة، فتُداهِم الشرطة المنزل وتبدأ بتفتيش تلك الغرفة التي كانت تنبعث منها رائحة كريهة تُزْكِم الأنُوف لم تستطع أبْخِرة العُود والبخور الكثيفة والمتصاعدة في أرجاء المنزل من إخفائها.

في تلك الغرفة تعثر الشرطة على اثنتي عشرة جثة تحت البلاط، ومُخبَّأة بين الأخشاب الملْحَقة بالغرفة، كما تعثر الشرطة على جثة إضافية في غُرفة ملاصقة للغرفة الأولى ليصبح العدد الكُلِّي للجثث المكتشفة سبع عشرة جثة.



اليوزباشي إبراهيم حمدي

تقوم الشرطة بإلقاء القبض على «ريا وسكينة» اللائي تحاولن في البداية إنكار أيِّ علاقة لهن بالجثث، لكن حين تحاصرهما الشرطة بالأدلة والشهود تعترفان أخيرا بجرائمهما التي تتمثَّل في استدراج النساء إلى مجموعة من البيوت والغُرَف المستأجَرة لغرض قتلهن والاستيلاء على مصوغاتهن وحُلِيِّهن الذَّهبِيَّة.

وأغلب الضحايا كُنَّ إما من بنات هوى أو من النساء المتبضِّعات في أحد الأسواق التجارية القريبة من حي اللبَّان. أما طريقة القتل فقد قالت الشقيقتان بأنهما كانتا في البداية تُغْريان وتخدعان الضحية بالكلام المعسول حتى تنالا ثقتها، ثم تسقِيانها شرابًا فيه خمرة قوية تؤدِّي بها إلى السُّكر والثُّمالة، فتفقد القدرة على التركيز والقوة على المقاومة.

حينئذ كان أحد أفراد العصابة من الرجال يتسلل بهدوء خلف الضحية ثم يقوم

بحركة سريعة ومباغتة بِلفِّ منديل من القُماش على رقبتها بإحكام، ثم يبدأ بخنْقها بكل ما أُوتِيَ من قوة، وفي هذه الأثناء أيضا يرتَمي بقية أفراد العصابة على الضحية كما ترتَمي الذئاب على طريدتها المذعورة، فيقوم بعضهم بتكميم فمِها لمَنْعها من الصراخ، فيما يمسك الآخرون بيديها ورجليها ويُثبِّتونها حتى تلفظ آخر أنفاسها.

وما أنْ تُفارِق الضحية الحياة حتى يُجرِّدونها من حُلِّيها ومصوغاتها الذهبية وملابسها، ثم يقومون بدفْنها في نفس المكان الذي قُتِلتْ فيه، وكانت الشقيقتان تبيعان الذهب المسروق إلى أحد الصاغة في السوق ثم تقتسمان ثمَنه مع بقية أفراد العصابة.

المجرمون الرئيسيون في جرائم القتل كانوا كُلًّا من: ريا وزوجها حسب الله، وسكينة وزوجها محمد عبد العال، وشخصين آخريْن باسم: عرابي وعبد الرازق.

وقد قضت محكمة جنايات الإسكندرية بإعدامهم جميعا، وتم تنفيذ الحُكم فيهم بتاريخ 21 – 22 كانون الأول / ديسمبر عام 1921م.، كما شمل الحكم سجْن الصائغ الذي كان يشتري الذهب المسروق من الشقيقتيْن لمدة خمسة أعوام، في حين برَّأتْ المحكمة ثلاثة أشخاص آخرين كانوا على علاقة بالمجرمين وتم إخلاء سبيلهم.



جثّتا السفاحتيْن بعد إعدامهما

مع إعدام الشقيقتين السفَّاحتين تمَّ طَوْيُ صفحة جرائمهما البشعة إلى الأبد، لكن الرعب والإثارة التي سبَّبَتْها تلك الجرائم استمرت حتى اليوم، ولا زال الناس في حي اللبَّان في الإسكندرية يتذكرون قصة ريا وسكينة، ويحدثون الزائرين عنها كأنها حدثت بالأمس.

أما قِسْم شرطة اللبَّان نفسه فقد تحوَّل اليوم إلى ما يُشبه المتحف، حيث يضم بين جُدرانه بعض متعلقات القضية كأوراق التحقيق وحُكْم المحكمة، وصور قديمة للشقيقتيْن، مع صور بعض ضحاياهن.

بالنسبة للمنزل الذي عثرت الشرطة فيه على جثث الضحايا فهناك اختلاف بين السكان حول مكان المبْنَى الأصلي، لكن الأرجح أنه هُدِم في خمسينيات القرن المنصرم وشُيِّدَتْ مكانه عمارة صغيرة لا زال بعض سُكانها يذكرون قصصًا طريفة حول خوفهم وهَلَعهم من السكَن فيها في بداية تشييدها.(1)

1- نقلا -ببعض التصرف-: عن مقال: «ريا وسكينة .. سفاحات تحولن إلى أسطورة!» المنشور في الموقع العربي «Kingdom of Fear / مملكة الخوف» بتاريخ (١١ / ٢ / ٢٠١٠م). والموقع العالمي: (From Wikipedia، the free encyclopedia) تحت عنوان: (Raya and Sakina). و«أسوأ النساء في التاريخ» [ص/ ٧٥-٩٦] لسلمى مجدي.

9

أصوات غريبة تكشف عن جرائم غامضة!

يزعم العالم نمساوي هانس لوكش المختص بدراسة الصوتيات (58 سنة) بأنه يستطيع مناجاة الأموات الذين قضوا نحْبَهم قتلًا من خلال أجهزة خاصة ومتطورة، حيث تلقَّى إجابات منهم سجَّلها على أشرطة، وهي اختبارات لَقِيَتْ من الجِدِّيَّة ما جعل الشرطة تهتم بها.

جَوٌّ غريب أشبه بأجْواء السحْر وتحضير الأرواح، غير أن وسائط الاتصال هذه المرة هي أدوات الكترونية. ثمانية أشخاص جلسوا في ستوديو يضم أجهزة صوتية متطورة، معزول عن الخارج ومؤثراته، يقع على حدود مدينة فيينا عاصمة النمسا. جلس هؤلاء ينتظرون الأصوات، الأصوات التي لا يمكن سماعها.

إنها أصوات القتلَى الذين سيُفْصِحون عن أسماء قاتليهم المجهولين، كما يزعم هانس، يقول هانس: «إن البحث في الأصوات هي المهمة التي نذَرْتُ لها حياتي. وما أفعله هنا بصورة منتظمة مع أصدقائي هو جزء من عملي الذي يُمارِس في بلدان أخرى طوال أكثر من عشرين سنة».

تهدف تلك الجهود إلى الحصول على برهان مادِّي وعِلْمي، ويضيف هانز: «عبر استخدام الوسائل التقنية المساعدة يمكن التقاط أصوات من العالم الآخر، وجَعْلِها مسموعة من هذا العالم».

اتصالات «هانز كلوش» مع العالم المجهول

في 15 أبريل من عام 1977م. خطرت لــ «هانز كلوش» المأخوذ بتقْنِية الأصوات فكرة إهداء بحْثه واختباراته حول الأصوات إلى معهد أبحاث الجرائم، وقبل ثلاثة أيام من لقائه مع أصدقائه الذين يشاركونه نفْس الاهتمام لإجْراء أول اختبار مشهود وقعت جريمة في مدينة «لينز» النمساوية قُتِل فيها الموظَّف «غونثر بار» في الشارع بطعنة سكين.

حينها لم يكن يتوفر لدى الشرطة أي أثَر يقود إلى معرفة القاتل، وفي ستوديو الأصوات في «فيينا» التي تبعد عن مكان وقوع الجريمة زُهاء 190 كيلو مترًا، في مركز رئيسي شغلت ثمانية أجهزة تسجيل.

وعندما بدأت الأشرطة تدور، قال لوكش في ميكروفونه وسط سكون تام في الغرفة: «أنادي غونثر بار. هل تعلم بأنك في العالم الآخر». وبعد استراحة عشر ثوان أضاف يقول: «رجاء، هل بإمكانك أن تُبلِّغ عن نفسك؟» ثم قال: «هل تعرف قاتلك؟.. في حالة الإيجاب، رجاء، قُلْ لنا اسمه».

بعد عشر ثوان أخرى انتهى الاختبار، وعندما أدَارُوا شريط التسجيل سمعوا ردًّا سريعًا ومفهومًا عن السؤال الأخير. وكان الجواب المسجَّل: «لقد كانت هي...». كتب لوكش تقريرًا مفصَّلًا ودقيقًا حول هذا الحدث وحوادث كثيرة غيرها في السنوات التالية، ووضع الشريط المسجَّل في أرشيفه. وبعد أيام قرأ في الصحف عن مراسم دفْن القتيل. كما قرأ أيضًا عن زوجة الموظف القتيل اعترفت بجريمة قتْل زوجها !

- بعد عشرة أشهر، أي في الثاني من فبراير 1978م، عثر على «فرانز ماير هوفر» مقتولًا بالرصاص، وهو سائق سيارة أُجْرة، وذلك في موقف للسيارات في بلدة «غومبولد سكيرشن» بالنمسا، ومثلما هو الحال في الجريمة السابقة لم يكن هناك أي أثر للفاعل.

وبعد أربعة أيام سأل «هانس لوكش» الضحية «فرانز مايرهوفر»، كما فعل في السابق

مع القتيل غونثر بار: «هل تعرف قاتلك»؟. وجاءه الرد مسجَّلًا على شريط التسجيل: «دابوزيك». ترك لوكش ثلاثة رجال يحضرون الجلسة كشهود على صِدْق قوله وصحة تجربته، وهم: «فرديناند شاختنر»، «كورت فوتوفا»، و«الفونس شتايتر».

وبعد شهر ألقَى رجال المباحث الجنائية القبْض على صاحب مؤسسة لسيارات الأُجْرة واسمه «جوهان بوزيك». وبعد سنة من ذلك وقعت جريمة كان ضحيتها الزوجان المتقاعدان «دفينغ وجورج فيدل» والتي كشفت أشرطة التسجيل اسم قاتلهما من قِبَل باحث الأصوات لوكش.

وكذلك حصل نفْس الشيء مع الجريمة التي ذهب ضحيتها التلميذ «هانس راينبرغر» (12 سنة)، قرر لوكش وفريقه إطلاع الشرطة على معلوماتهم. ولكنهم سرعان ما عدَلُوا عن الفكرة لأنهم فكَّروا بأنه لن يصدقهم أحد، ولذلك تركوا الأشرطة مخبَّأة في الخزائن.

ولكن القصة لم تبْقَ سِرًّا، وانتقلت عبْرَ الأحاديث الخاصة الى مجموعات أكبر، كما توفَّر عدد أكثر من الشهود الذين وقفوا على أسماء المجرمين الحقيقيين عن طريق الاتصالات الصوتية قبل أن تكشف الشرطة عنهم، بل وفوْر حدوث الجرائم.

وهكذا اهتمت الشرطة بهذه التجارب. ومنذ الصيف المنصرم وموظفان من المباحث الجنائية النمساوية في «فيينا» يحْضُران الاختبارات التي يُجريها لوكش عندما تقع جريمة ما.

لم يصدر أيُّ شيء رسْمِي يتبنَّى طريقة «هانس لوكش»، ولكن الاهتمام الجِدِّي من قِبَل المباحث الجنائية ومواظبة رجال الشرطة على حضور الجلسات الصوتية في ستوديو لوكش أوحى بأن الموضوع جِدِّي ويمكن الاستفادة منه عمليًّا.

وقيل أن الرغبة في عدم تعرض لوكش لأيِّ أذًى هي التي دفعت الشرطة إلى عدم تسليط الأضواء عليه، إذ يُخْشَى في حال ثبوت صحة وسائله في الكشف عن المجرمين المجهولين، أن يقدم شخص ما على قتْله قبل ارتكاب جريمته.

حالات كشفت أسماء القتلَة

- الحالة الأولى:

عندما طرح السؤال: «هل تعرفان قاتلكما؟» أجاب صوت (من العالم الآخر): «أجل..» وسمَّى اسم قريب الشبه لـ «جوزف روتن» الذي أُلْقِيَ القبْض عليه بعد شهر من ذلك باعتباره المشتبَه الرئيسي في الجريمة الغرامية المزدوجة، حيث تبين فيما بعد انه أطلق النار على «جوهان بندر» و«هلفا هربنت».

- الحالة الثانية:

«لقد كانت هي..»، هكذا أجاب الصوت (من العالم الآخر) ردًّا على السؤال: «هل تعرف القاتل؟ وفي اليوم التالي اعترفت «روماناباز» أنها طعنت زوجها «غونثربار» وقتَلتْه.

- الحالة الثالثة:

قُتِل الزوجان المتقاعِدان «مدفيغ وجورج فيدل» خَنْقًا في22 مارس م. وفي 27 مارس التقط «هانس لوكش» صوت امرأة تقول: «بوزيدار ساين». وفي 30 مارس انكشف غموض الجريمة وثبت أن القاتل هو «بوزيدار ساين» !

- الحالة الرابعة:

بعد جريمة سيارة الأُجْرة قُرْب «فيينا» تحدث لوكش مع الضحية «فرانز مايرهوفر». وفي 16 فبراير 1978م. سأله: «هل تعرف قاتلك؟..»، فجاء الجواب: «دا بوزيك». وفي 3 مارس أُلْقِيَ القبض على «يوهان بوزيك» بتهمة القتل.

نتائج مذهلة أثارت اهتمام الشرطة

وضع عالم الأصوات «هانس لوكش» أرشيفًا من أشرطة التسجيل تحت تصرُّف المحامي الدكتور «هرمان غيغ» من فيينا مع «الأجوبة من العالم الآخر» حيث حصل المحامي الشهير على ثلاث رُزَم مختومة من أشرطة التسجيل، والتقارير تتعلق كلها بجرائم قتْل بقيت غير مفسَّرة حتى الآن.

ولم يكن هناك شك في أن الأصوات «الملتقطة من العالم الآخر» قدمت معلومات ودلائل عن الفاعلين الذين لهم علاقة بالجرائم المرتكبة، كما تقول مجلة «بوتني».

أما المحامي الدكتور «غيغ» فيقول بتحفُّظ: «إنني أقف موقفًا متفهِّمًا إزاء تلك التجارب، وإن كانت ناجحة فسوف تخدم رجال الشرطة والمباحث في المستقبل بدون أي شك». وهو يعكف الآن على تحليل المستندات والأشرطة التي سُجِّلَتْ عليها الحوارات مع الأموات القتلَى في الجرائم التي ما تزال مجهولة، ليجري من ثَمَّ تحقيقات سِرِّيَّة. وإذا توصل إلى نتيجة حاسمة، فان هذه الطريقة ستتلقَّى شهادة عِلْمية لا يُسْتهان بها.

فرَضِيَّات التفسير:

لحدِّ الآن لا يُمْكِن الجزْم فيما إذا كانت الأصوات صادرة عن الضحايا أم لا؟ كما لا يمكن تفسير سبب ظهور أصوات مسجَّلة تكشف عن أسماء القتلة الذين تنجح الشرطة التي كشفت عنهم فيما بعد .

ففي بلدان أخرى مثل هولندا وبلجيكا وإنكلترا والولايات المتحدة كانت المعلومات التي لدَى المُنجِّم الشهير «جيرار كرواست» (تُوفِّي حديثًا) والتي زوَّد بها الشرطة مدهشة إلى درجة لا تُصدَّق.

وكثيرًا ما تمَّتْ الاستعانة بالتنويم المغناطيسي لكشْف ملابسات جريمة ما، ولكن مثل هذه الوسائل لم تعتمد قانونيا في أي بلد، وقد اسْتُعِين بها فقط لإجراء التحقيقات

الخاصة غير الرسمية. لكن عند النظر لتلك الكشوفات وِفقًا للاعتقاد الإسلامي فإن تلك الأصوات (إن كانت فعلًا حقيقية ومُثْبَتة) قد تُمَثِّل دليلًا على وجود قرين الضحية من الجن، فهو يلازم الضحية طوال حياتها ويعلم عنها الكثير، وقد يساعد في كشْف مرتكبي الجريمة التي حدثتْ. والله أعلم[1] .

1- نقلا -ببعض التصرف- عن كتاب «صور غريبة من العالم» تحت عنوان: (أصوات غامضة تكشف عن قاتلي الضحايا»- للكاتب صالح هويدي.

10
طفل الصندوق



في 25 فبراير من عام 1957م. عُثِر على صبي يتراوح عمره بين 4 إلى 6 سنوات في صندوق كبير من الكرتون على مسافة أقدام قليلة من حافَّة طريق «سسكويهانا» في الشمال الشرقي لولاية «فيلادلفيا» الأمريكية.

حيث كان وجهه للأعلى وجسده العاري ملفوفًا ببطانية خفيفة ورخيصة ومنقوش عليها مربعات، وكان جسده أيضًا جافًّا ونظيفًا وذراعاه مطويتين إلى بطنه بعناية، وأظافر يديْه وقدميْه قصيرة ومُقلَّمة بشكل أنيق، ويبدو شعره محلوقًا بطريقة سريعة وخشنة، حيث أنه لم يمض إلا وقت قصير على حِلاقته، ربما كانت محاولة مقصودة لإخفاء هوية الصبي فقد عثر على نُتَف صغيرة من شعْره في أنحاء متفرقة من جسده.

ومن المحتمل أن أحدًا ما قام بالاعتناء به، بينما كان مُجرَّدًا من ملابسه قبل أو بعد موته بوقت قصير. كما كان هنالك العديد من الكدَمات على كامل جسده خصوصًا

عند منطقة الوجه والرأس، ويظهر أن الصبي أُصِيب بجميع تللك الكدَمات في نفْس الوقت. وبالرغم من فحوصات الحِمْض النووي (DNA) في مسرح الجريمة إلا أنه لم يتَّضِح فاعلها، وبقِيَت عَصيَّة على الحل حتى يومنا هذا.

كان صندوق الكرتون مُحكَمًا بحبل أحمر ومخصَّصًا لسرير طفل من محلات (J.C Penney) اكتشفه شاب كان في مهمة لفحص أفخاخ ينصبها لحيوانات القندس.

أخذت تلك القضية زَخَمًا واسعًا من قِبَل الصحافة والإعلام في «فيلادلفيا»، ونشرت صور الطفل في كل محطة بنزين، وبالرغم من الانتشار الجماهيري لتلك القضية بعد اكتشاف جثمان الصبي، وأيضًا عودة الاهتمام الجماهيري بها في السنوات التي تلتْ إلا أنها لم تُحَلَّ بعد، وهُويَّة الطفل ما زالت مجهولة.

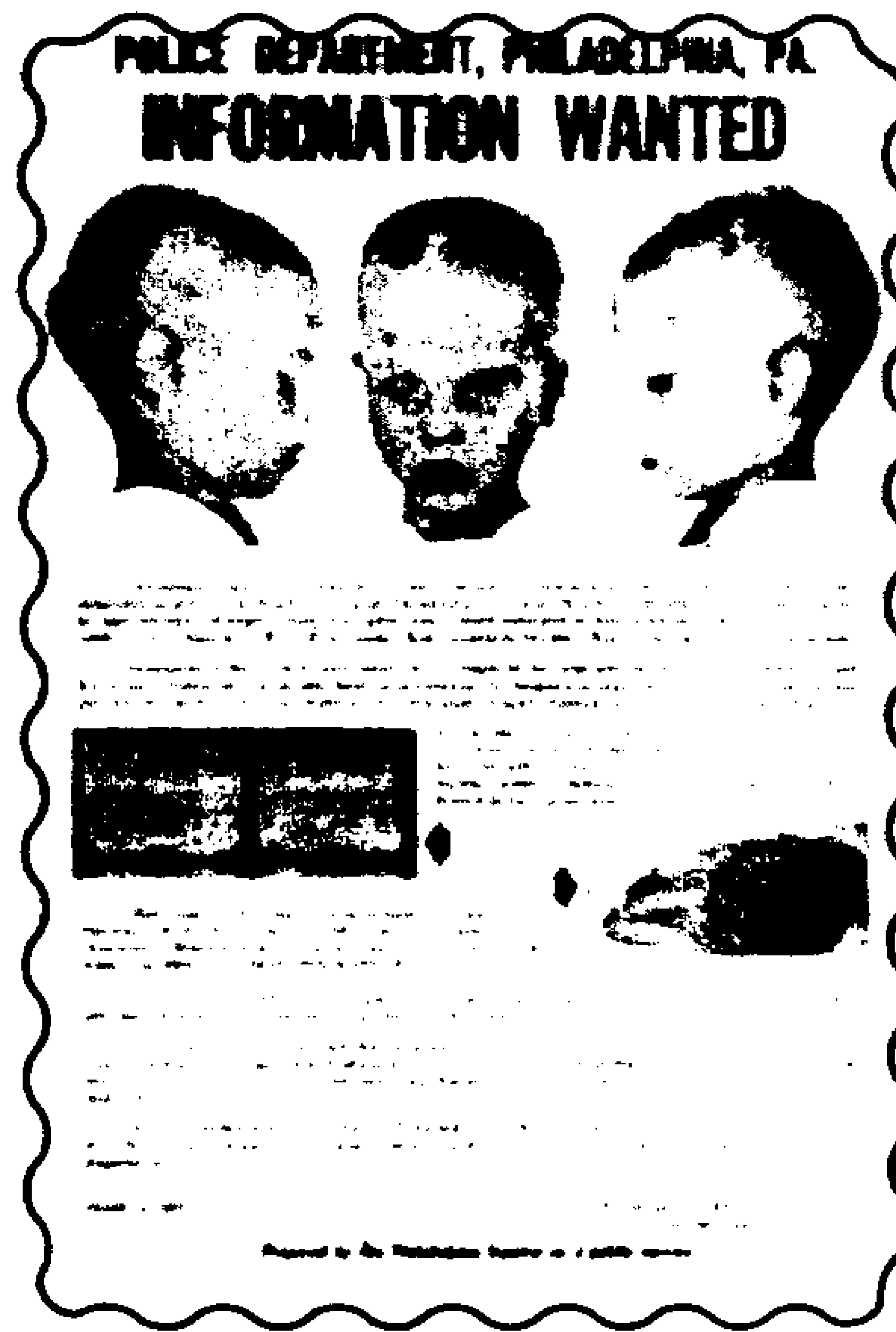
عرضت قصة تلك الجريمة في مسلسل تلفزيوني يُدْعَى: «أكثر المطلوبين في أمريكا» وفي برنامج (Cold Case من CBS)، وحاول كُلٌّ من برنامج التحقيق في مسرح الجريمة (CSI) وبرنامج القانون والنظام من شبكة (NBC) إضفاء صِبْغة خيالية على القصة.

نظريات:

على شاكلة العديد من الجرائم التي لم تلْق حَلًّا حظِيَتْ هذه الجريمة بنصيب وافر من النظريات التي تحاول وضْع حَلٍّ لها، ولم تستطع نظريات عديدة الصمود أمام نظريتيْن لاقتا تركيزًا مُلْفتًا من قِبَل الإعلام والشرطة وهما:

١- نظرية منزل فوستر

تحكي تلك النظرية عن منزل «فوستر» القريب من مسرح الجريمة، والذي يبعد مسافة 1,5 ميل (2,3 كم) منه، كان «ريمينغتون بريستو» موظف مكتب الفحْص الطِّبِّي يبحث باستمرار عن دليل حول تلك القضية منذ عام 1960م. وحتى مماته في عام 1993م، حيث اتصل بوسيطة روحانية في «نيو جيرسي» فأخبرته عن منزل يتطابق بمواصفاته مع منزل فوستر.



حدث ذلك عندما وصلت الوسيطة الروحانية للمكان الذي اكتشفت فيه الصبي فأرشدت «بريستو» مباشرة إلى منزل فوستر. وعندما طُرِح منزل «فوستر» للبيع كان «بريستو» حاضرًا فاكتشف وجود سرير للأطفال، يُشْبه ذلك الذي يباع في محلات (J.C Penney) كما لاحظ أيضًا أن صالة العرض في تلك المحلّات تضم بطّانية مشابهة لتلك التي كانت تلف جسد الطفل القتيل.

يعتقد «بريستو» أن الصبي يخص ابنة زوجة رجل يملك منزل فوستر. فطمسوا هوية الصبي لكي لا تقع الأم بفضيحة أنها غير متزوجة، ففي ذلك الوقت من عام 1957م. كان يُنظر إلى الأم العزباء على أنها وصْمة عار في المجتمع.

يعتقد بريستو أن وفاة الطفل أتتْ نتيجة لحادثة عرضية غير متعمدة بالرغم من الظروف المحيطة بالحادثة، لكن الشرطة فشلت في إيجاد أيّة صلات يعتمد عليها بين صبي الصندوق وعائلة فوستر.

ففي عام 1988م. أجرى ملازم الشرطة «توم أوغستين» وعدة أعضاء من رجال الشرطة المتقاعدين والمحققين في الجرائم مقابلة مع الأب «فوستر» ابنة زوجته التي تزوجها. ويبدو أن المقابلة تُؤكِّد عدم تورُّط عائلة فوستر.

٢- نظرية السيدة M

في شهر فبراير من عام 2002 صرحت امرأة تعرف فقط بـــ: «السيدة M» أن أمها التي تصفها بأنها متعسفة اشترت صبيًّا مجهولًا اسمه «جوناثان» من والديْه الأصليّيْن في صيف عام 1954م، كان ذلك الصبي الأصغر في العائلة وعومل بقسوة لمدة سنتين ونصف.

حيث تعرض لمختلف أنواع العذاب الجسدي والجِنْسي، ثم فارق الحياة على إِثْر نوْبة غضب كان سببها تقيأه في مغطَس الحَمَّام حيث تمَّ ضرْبُه بعنف على الأرض. ثم قامت أم (السيدة M) بقصِّ الشعر الطويل من الصبي، ووضعتْ جثته في صندوق، تضيف (السيدة M): «وبينما كانت أم (السيدة M) وزوجها يحاولان رَفْع الصندوق الذي يحوي جثة الصبي من السيارة كان يمرُّ بالقُرْب منهما رجل يركب دراجة نارية، فتوقف وسألهما عن حاجتهما إلى أي مساعدة، لكنهما تجاهلاه وحجَبا لوحة السيارة من مجال نظره، فمضى الرجل في حال سبيله.

أكَّد هذه القصة رجل خلال شهادته في عام 1957م. زعم أن الجثة وُضِعتْ في صندوق، حينها اعتبرت الشرطة تلك القصة معقولة، لكن شهادة (السيدة M) لم يعتد بها لأنه لُوحِظ أن لها تاريخًا في إصابتها بمرض عقْلي، وعندما عرف الجيران القريبون من المنزل بإفادتها نفَوْا أن يكون لدَى عائلتها أيُّ صبي صغير يعيش في المنزل، وقالوا إن مزاعم (السيدة M) سخيفة.

الوضع الراهن:

أُعْتُبِرت القضية دون حَلٍّ رسميًّا، لكن المحققين يحاولون تحليل الحِمْض النووي لبقايا الصبي لعلهم يحصلون على ارتباط مع حِمْض نووي آخر مسجَّل لديهم ضمن البرنامج الوطني للحِمْض النووي. (1)

1- نقلا -ببعض التصرف-: عن مقال: «جرائم غامضة: طفل الصندوق!!» المنشور في الموقع العربي: (Nightmare/ كابوس)، بتاريخ: (١٢ مايو. ٢٠٠٩م.) والموقع الأجنبي: (ListVerse) تحت عنوان: (. The Boy in the Box) والموقع العالمي: (From Wikipedia، the free encyclopedia) تحت عنوان: (Boy in the Box (Philadelphia))

11
الجريمة الكاملة!



يصف (كارلتون نيفيز) تلك الحادثة والتحقيقات في كتابه الذي حمل عنوان «همسات لا مبالية: جرائم بحيرة واكو» بما في ذلك قصته عن الوسطاء الروحانيين الذين زعموا رؤيتهم النفسانية للقتلَة في مشاهد شنيعة من غير أن يحكم على [illegible] رؤياهم، حيث اكتفى فقط بتسجيل ما قالوه لضباط الشرطة الذين كانوا يجرون مقابلات معهم وأرانا أيضًا كيف استطاع الوسطاء التأثير على سَيْر التحقيقات.

رؤى كارين هفستيتلر

في وقت [illegible] الجريمة كان لـ (كارين هفستيتلر) التي تعيش بالقرب من مدينة

«دالاس» في ولاية «تكساس» رؤية عن رجلين قاما بقتل 3 من المراهقين بشكل وحْشي ونقلوا جثثهم، وذلك بينما كانت تغُطُّ بالنوم أمام التلفزيون بعد عودتها من عملها.

وعندما صحتْ من نومها بدأت ترى صورة واضحة لسيارة ممتلئة بغرباء يتحركون فيها ببطء في أحْراج غير مألوفة لها، ثم أصبحت ترى 3 من الذكور و2 من الإناث، كان من الواضح أن اثنين منهم أكبر عُمرًا من الثلاثة الآخرين الذين كانوا مراهقين وهما سائق ملتحٍ، وآخر يبدو من شكله أنه هندي، وكانا يشربون الجَعَّة (البيرة) ويضحكان فيما كان الفتية الثلاثة مذعورين.

رؤية سابقة في جرائم أطفال أتلانتا

لم تكن تلك الرُّؤَى جديدة على (كارين) إذ سبق لها حدوث رُؤًى كهذه منذ نعومة أظفارها، وكانت أكثر الرُّؤَى التي لم تستطع نسيانها تلك التي حدثت لها في عام 1979م. وكانت بشكل سلسلة رُؤًى عن أطفال سُود تعرَّضوا للقتْل في مدينة أتلانتا، والتي عُرِفتْ آنذاك بـ «جرائم أطفال أتلانتا»، حيث كانت على عِلْم بأعمار الضحايا، ومتى وأين يمكن العثور عليهم كما كانت لديها أفكار واضحة عن القاتل.

وعندما كان (واين ويليامز) يحاول إلقاء شيء من أعلى الجِسْر في نفْس المكان الذي وجدت فيه إحدى الجثث في تلك الليلة جرى اعتقاله وأُدِين وحُوكِم، لكن (كارين) كانت تعتقد أنه ليس الرجل المقصود لأغلب الجرائم رغم أنه وُصِف آنذاك بـ «قاتل أطفال أتلانتا» وفي السنوات اللاحقة كان هناك سبب للشك في تورُّطه بأعمال القتل الأخيرة على الرغم من توقُّف مَوْجة جرائم القتل وكانت (كارين) تعتقد أن هذا التوقُّف لم يكن بسبب أمور أخرى لا تتصل بسجن (ويليامز).

حينما واصلت (كارين) رؤيتها رأت للحْظة أن المراهقين الثلاثة كانوا في وقت سابق معًا مجتمعين معًا أمام طاولة نزهات وكان يبدو لـ (كارين) أن فتاة ذات شعر داكِنٍ تُحب الصبي، كما راودها إحساس أيضًا أن أحد الخواتم الثلاث التي كانت تلبسها الفتاة على أصابعها، كان قد أهداه الصبي لها.

ثم رأت (كارين) رجلان يقودان سيارة حيث قدَّم الصبي الرجل المُلْتحي إلى الفتيات ليتعرَّفن إليه، ومن ثَمَّ ركب الجميع السيارة، ولِلحْظة ما اقترب الرجل الهندي من الفتاة الشقراء التي كانت تجلس في المقْعد الخلْفي ثم طعن الصبي بسكِّينه وواصلت السيارة تقدمها ثم جنحت إلى جانب الطريق.

خرج السائق ونقل جثمان الصبي ثم تركه على جانب الطريق. ثم خرجت الفتاة ذات الشعر الأسود وركَضتْ هاربة، لكن السائق أمسك بها وأجبرها على مشاهدة صديقها الذي وضع الرجل الآخر السكين على رقبته، ثم أفْلَتت الفتاة وهربت مرة ثانية، لكن تمَّ الإمساك بها وتلقَّتْ ضربات عنيفة قبل أن يقْتلاها في النهاية.

أخذ أحد الرجلين الخاتم من إصبع الفتاة ليضعه في جَيْبه، ثم حملها ووضعها إلى جانب جثة الطفلين الآخريْن، ومن ثَمَّ طعَنها مرة أخرى لعدة مرات، وأخذ محْبس شعرها، وغادرا مكان المذبحة، ثم قاد سيارته مع الرجل الآخر إلى حيث وجد الفِتْية في البداية، ورمَى السائق بشيء ما إلى البحيرة، وأصدر صوتًا كما لو كان جسمًا مَعدنيًّا.

لم تكن (كارين) تعلم مَنْ هؤلاء الناس؟ ولم تعثر كذلك على أيِّ خبر عنهم في الصحف المحلِّية لمدينة «دالاس» في اليوم التالي. لذلك لم يكن لديها أصلًا أيُّ فكرة عن ما يمكن أن تفعله بتلك الصور المُروِّعة التي أتتْها.

رُؤَى غليندا توماس

في نفس تلك الليلة كان لـ (غليندا توماس) تجربة مشابهة جديدة لها تمامًا، روَتْها فيما بعد لمحقِّقٍ في القضية، فحينما كانت تأخذ قِسْطًا من الراحة بعد مذاكرتها للتحضير لامتحان التمريض أتتْها رؤية مفاجئة وصفت فيها رجليْن مطابقيْن في أوصافهما لما قالتْه (كارين هفستيتلر) مع أنها تعتقد بأن يكون لرجل ثالث يدٌ في الجرائم.

بحسب الرؤية أخذ الرجلان المراهقيْن بسيارة حمراء كبيرة (فان) ثم قتلوهم على

طرف الطريق . وكان يظهر على ذراع قائدهم وَشْم بشكل نِسْر، بعدها حاولت (غليندا) الاتصال بالضحايا من خلال الكتابة التلقائية، وقالت بأنها سمعت (رايلين: إحدى الضحايا) حيث أكدت بأن حمَّالة صدرها كانت حول ساقها، وهو خبر مُفصَّل ودقيق لم يَرِد ذِكْرُه في الصحف التي نشرت أخبار الجريمة بعد ذلك .

وتقول (غليندا) بأن (رايلين) أخبرتْها بأنه لم يسبق لها معرفة القتلَة، وَرَاوَد (غليندا) أيضًا إحساس نحو الخاتم، لكنها لم تتمكَّن من معرفة ما يعنيه هذا الإحساس.

تحرّيات الشرطة

عُثِرَ على 3 مراهقين، وهم صبي وبنتان مطعونين حتى الموت في حديقة «سبيغفيل» بالقرب من ضِفاف بحيرة «واكو» في ولاية تكساس الأمريكية . حدث هذا في 13 يوليو من عام 1982م، وعلى الرغم من أن تلك السنة كانت حافلة بالأحداث العنيفة إلا أن تلك الحادثة كانت فريدة من نوعها، فلم تكن ناجمة عن صفقة مخدرات أو نِزاع محلِّي، بل أقرب لحادثة قتْل أسطورية راح ضحيتها أطفال كانوا في المكان الخطأ وفي الزمن الخطأ.

وقد تدخَّل عدد من المحققين النفْسانيين (الوُسَطاء) فأعطوا قصصًا متضاربة اشتركت في أنها أعطتْ بعضًا من صفات المشتبه بهم.

وجد الطبيب الشرعي آثار 48 طعنة على الضحايا الثلاث نال منها (كينيث فرانكس) لوحده 20 طعنة منها 10 في القلب، لكن من المؤكد أنها سبَّبتْ له آلامًا عظيمة قبل وفاته.


رايلين رايس


كينيث فرانكس


جيل مونتغمري



فيما تلقَّتْ (جيل مونتغمري) 17 جرحًا تركَّز معظمها في صدرها، وقَطعَتْ كذلك حنجرتها، كما كان يوجد علامات لكَدَمات على كتفها الأيمن وصدرها، حيث جُرِّدَتْ من ملابسها واغْتُصِبَتْ.

كما طُعِنَتْ (رايلين رايس) 9 مرات، مع أدلة على إصابة أعضائها التناسلية، واعتقد المحققون أنه جرى قتْل الضحايا في مكان آخر، ثم أُلْقِيَ بهم في هذا المكان حيث كان من السهل العثور على جثة الصبي.

في هذه الأثناء كانت الشرطة تُجْري تحرِّياتها على الأرض، ومضَتْ أيام بدون وجود أي أدلة واضحة، وجَرَتْ مراسم جنازة الفِتْية الثلاثة مع عائلاتهم الذين توسَّلوا للحصول على إجابات، لكن المحقِّقين لم يأتوا بشيء، فحاولوا تحويل الإنظار إلى والد (كينيث) مشتبهين في ضلوعه في الجرائم، لكن ذلك أيضًا ذهب سُدًى من غير نتيجة.

وبعد 52 يومًا على اكتشاف الجرائم المروِّعة علَّقتْ السلطات تلك القضية لأجلٍ غير محدَّد، لكن السرجنت (ترومان سايمون) الذي اسْتُدْعِيَ إلى مكان الجريمة في تلك الليلة أصبح الرجل ذا المهمة للعثور على القتلة مُخاطِرًا بحياة عائلته في البحث عن أدلة.

ثم قرروا استدعاء وسيط روحاني هو (جون كاتشينغز) الذي سبق له التعامل مع قضايا أخرى ونجح في حوالي 60٪ كما يزعم، فأخبرهم أنه ليس بوسْع الوسيط أن يذهب (كاتشينغز) إلى موقع الجريمة نفسها، وبعد أن أمضى بعض الوقت هناك قال إنه كان هناك 3 رجال متورِّطين، وأن أحدهم قتَل الفِتْيَة في قارب مُسطَّح القاع، وأعرب عن اعتقاده أن امرأة ذات شعر داكِن في العشرينيات من عمرها يمكن أن يكون لها دور فعَّال في مساعدتهم على التعرُّف إلى هُوِّية القاتل.

في الواقع، كان المحققون يضعون عينهم على امرأة اسمها (كريستي جول) ذات شعر داكِن بعمر 19 سنة، وهي معروفة بكذبها، حيث أنكرت أنها تعلم أيَّ شيء عن الموضوع، ولكن المحيطين بها يظنون أنها تعلم الكثير، فصديقها هو رجل مُلقَّب باسم (تشيلي) أو «الفلفل الحار» واسمه الحقيقي هو (ديفيد سبنس) وكان في السجن بسبب جريمة أخرى، وكان كذلك على معرفة بشخص اسمه (منير ديب) الذي كان قد اعترف لأحد أصدقاء الضحايا بأنه هو مَن قتلهم ثم تراجع عما قاله، فخضع لجهاز كشْف الكذب، وسُمح له بالمغادرة، ثم بعد ذلك أخبر أحدهم بأنه أخرج بوليصة تأمين لفتاة اسمها (غايل كيلي) كانت شبيهة جدًّا بإحدى الضحايا وهي (جيل مونتغمري).

وفي نهاية المطاف لم يكن أيٌّ مما قاله الوسيط مفيدًا لحلِّ هذه القضية. بل ما كان مفيدًا هو عملية التحقيق المستمرة التي قام بها المحقق (ترومان سيمونز) الذي أبرز تصريحات أدلى بها العديد من الناس بمن فيهم القاتل الرئيسي من أن (ديب) استأجر (ديفيد سبنس) لقتل (غايل كيلي) بهدف قبْض قيمة بوليصة التأمين، لكن (سبنس) قتل الفتاة التي تشبِهها وهي (جيل مونتغمري) وقتل معها الفتاة والصبي لئلا يكونوا شهودًا على الجريمة، ونفَّذ (سبنس) جريمته بمعونة شخصين ساعداه .

كان متوقعًا أن يقوم (ديب) بقبْض مبلغ بوليصة التأمين (20،000 دولار) التي كان قد خدع فيها (غايل كيلي) لتُوقِّع عليها، لكن خُطَّته تلك باءت بالفشل لأن (غايل) ما زالت حية وقتلت (جيل) بدلًا عنها بالخطأ .

وبعدها بوقت قصير من ارتكاب الجرائم القتل جرى اعتقال (ديفيد سبنس) بجريمة الاعتداء الجِنْسي الشنيع، وكونه السجين الذي أُطْلِق سراحه جرى حجْزه في السجن إلى أن تحين جلسة الاستماع.

وهناك اعترف وتحدَّث أكثر مما ينبغي، وكان يتكلم عن الجرائم وكأنها قطع من ممتلكاته، وفي نهاية المطاف أُدِين وحُوكِم جَنْبًا إلى جنب مع 2 من شركائه المتورِّطين (الظاهرين في الصور). كما أُدِين (ديب) وجرى تنفيذ حكم الإعدام فيه وفي (ديفيد سبنس).

وكانت (غليندا) قد أصابت في رؤيتها عندما قالت إن هناك شخصًا ثالثًا متورطًا وبأن هناك وشْمًا على ذراع (سبنس)، لكنها هي و(كارين) على حدٍّ سواء (كلاهما زارا مسرح الجريمة أخيرًا وصرَّحا خطأً أن الضحايا قُتِلوا في نفْس المكان الذي عُثِر عليهم فيه) رأتا الخاتم الذي كان قد أخذه (سبنس) من (جيل مونتغمري) كتذكار، ولكن على عكس ما كان يقوله (كاتشينغز) رفضت (كريستي جول) أن تساعد في التحقيق لم تعطهم أيَّة معلومات وهي «المرأة ذات الشعر الداكن» بحسب الرؤية.

وبقي الجانب الوحيد من شهادة النفْسانيين (الوُسَطاء) والذي كان له دوْر فعَّال في تحريك القضية هو شيء تكلمت عنه (غليندا) في رؤيتها، واستخدمه المحقق (ترومان سيمونز) للحصول على اعتراف من أحد المشاركين.

فبالعودة إلى ماقالته (غليندا) عن وصْف الرجل وما كان يرتديه في تلك الليلة في مكان الجريمة دفَع بالرجل للاعتقاد بأن الشرطة تعلم أكثر مما تعلمه حقًّا، ولذلك قرَّر أن يتعرَّف بشكل سهولة رغم أنه كان يكذب في أماكن عدة، وكانت شهادة شقيقه الضربة التي حلَّتْ تلك القضية على أيَّة حال.

وفي النهاية كان كل من الوُسَطاء مُخْطئًا بخصوص عدد من أمور الجريمة، وبالتحديد أين وقعت تلك الجرائم، وأخطأتا في تحديد عَرَبة النقل، ولكن إذا كانت القصة دقيقة فإن كلا الوسيطتيْن كان لهما رؤية ما فوق حِسِّية واضحة في ليلة ارتكاب الجرائم على شكل ومَضات غَنِيَّة بالتفاصيل عن حقيقة الجرائم التي كانت تحدث مما يؤيِّد وجود ظاهرة نفْسانية من نوعٍ ما.



ومؤخرًا بُذِلَتْ جهود من قِبَل الدفاع بهدف التبرئة من خلال فحْص (DNA) على رِباط الحِذاء الذي اسْتُخْدِم لربْط الضحايا. فإذا أظهر الفحص أنه هناك من أُدِين بالخطأ في ارتكاب الجرائم في عام 1982م. عندئذ فإن القضية ستتشعَّب ولم تصبح مقتصرة فقط على إطلاق سراح أحدهم من السجن المؤبَّد. ولكن قد تُسجَّل أول دليل على إعدام خاطئ في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية في العصر الحديث.

هل كان القتلَة اثنين ؟ أم ثلاثة ؟ رُؤَى «غليندا» تشير إلى رجل ثالث في الخفاء وهو (ديب) الذي استأجر (سبنس) للقتل، فهل كان (سبنس) برفقة معاون واحد حين حدوث الجريمة، ولم يكن للآخر المسجون حاليًا صلة علاقة بارتكابها ؟

ويبدو بالفعل أن مظهر (جيلبرت ملندز) أحد المُدانين بالقتْل مع وَشَم على كتفه، ويُشْبِه إلى حَدٍّ ما شكل الهندي الأحمر، فهل صَدَقَتْ رُؤى (غليندا) عن صفات القتلة؟[1]

1- نقلا -ببعض التصرف- عن مقال: (جرائم بحيرة واكو) المنشور على الموقع العربي: (ما وراء الطبيعة) بتاريخ: (٢٦ مايو. ٢٠١١م.) والموقع الأجنبي: (Lake Waco Murders). ومقال: (Crimes Lake Waco) المنشور على المدونة الإلكترونية: (World of evil) بتاريخ: (الجمعة ٨ يوليو. ٢٠١١م).

12

نيل كروسبي ...
الجريمة الغامضة!



قد تكون حوادث الاختفاء هي الحدَث الأكثر غموضًا عندما يتعرَّض له شخصٌ ما هي الكابوس الذي لايريد أبدًا أن يحلم به أحد.

هنا سنتحدث عن حادثة اختفاء مُرِيبة لفَّها الكثير من الغموض، بل إنه حتى بعد اكتشاف جثة الفتاة ومُعاقبة المشتبه به - الذي لم يبد أن هناك أحدًا سواه.

ظلت الأسئلة تتردد أين كانت الفتاةطوال فترة اختفائها؟ وماذا كانت تفعل؟

وهل قُتِلتْ في الحال أم ظلت محتجَزة لفترة؟

وهل قاتلُها حقًّا هو الذي نال عقابًا قدْره 15 عامًا؟

أم هو آخر فلَت من العقوبة ونالها مسكين بريء؟

وما دور الوُسطاء الروحانين في هذه القضية؟

هل أُخذ كلامهم على محْمَل الجدِّ أكثر من المعقول؟

كل ذلك سنتعرَّف على بعضٍ منه في الأسطر القادمة .

نيل كروسبي هي صاحبة الاختفاء الأشهر في مطلع القرن العشرين بالولايات المتحدة الأمريكية.

ففي 21 نوفمبر من عام 1901م. اختفت فتاة بعمر 19 سنة، وبعيون زرقاء داكنة، وشعر كِسْتاني اللوْن، كان اسمها (نيل كروبسي) رغم أنه كان يُشار إليها دائمًا بلقب (الحسناء نيل كروسبي) .

عاشت (نيل) مع عائلتها في منزل يطلُّ على ضِفاف النهر في مدينة «إليزابيث» من ولاية «نورث كارولينا» الأمريكية، وكانت تزدهر في المدينة أعمال صيد المَحَار، في الواقع كانت (نيل) على وشْك أن تذهب في رحلة لزيارة أبناء عمومتها إلى الشمال من مدينتها بمناسبة عيد الشُّكْر لكنها اختفت.

لغز اختفاء نيل

يروي (بلاند سيمبسون) في كتابه حكاية واقعية عن غموض اختفاء (نيل) مستعينًا بعدة وقائع حدثت في الأشهر التالية بأسلوب السَّرْد القَصصي.

كانت (نيل) صديقة لـ (جيم ويلكوكس) ابن رئيس الشرطة في البلدة، ويكبُرها

بـ 5 سنوات منذ أن كانت بعمر 16 سنة، كما كان آخر شخص رآها، يكتب «سيمبسون» بخصوص ذلك: «قال إنه رآها تبكي ...»، وادعى أنه تركها في وقت لاحق من أمام شرفة منزلها بعد أن أخبرها لفترة وجيزة عن «أمر خطير» ثم ذهب بعدها إلى منزله مع أن والد (نيل) وأخوتها أصرُّوا على أن ابنتهم لم يكن لها صلة بذلك الأمر.



بينما كانت أختها (أولي) على عِلْم بتواصل العشِيقَيْن مع بعضهما، وبأن علاقتهما توتَّرتْ في الأشهر الأخيرة حيث قالت إن (نيل) خرجت إلى الشُّرْفة بعد الساعة 11:00 من مساء اليوم السابق، وبأن (جيم) كان يطلب منها الخروج للحظة إنْ سَنَحتْ لها الفرصة، ولم تَعُد (أولي) تراها ثانية، لكنها ظنت أنه لا بد أن (نيل) تسلَّلَتْ إلى الداخل من دون أن تُخْبر أحدًا، ومن ثَمَّ ذهبت لتنام.

لكن (أولي) لم تعثر على أختها (نيل)، وهكذا حان منتصف الليل ولم ترجع (نيل) فأصبح الأمر مُسْتَهْجنًا ويدعو للقلق.

في وقت لاحق من تلك الليلة وبينما كان أفراد الأسرة مُنْهَمكين في البحث عبَثًا عن (نيل) توقّع والدها أنها هربت مع (جيم) فذهب إلى منزل (ويلكوكس) لمعرفة ذلك

وعاد مع (جيم) ليخبر بقية أفراد العائلة بما يعرفه عن أمر (نيل) لكن ما قاله لم يُفْض بالكثير، حيث قال إنه فارقها بعد أن اكتشف أنها لم تعد مُكْترثة بعلاقتهما، ومن ثَمَّ دخل البلدة فيما اعتقد أنها دخلت لمنزلها .

في اليوم التالي تمَّ اعتقال (جيم) بتهمة الخطْف وللاشتباه بضلوعه في الجريمة، ومن خلال الاستجواب أفاد (جيم) بقصص عدة منها أن (نيل) كانت تفكر بالانتحار وبأنها فجأة تغيَّرتْ معه ولم تَعُد صديقته التي اعتاد عليها، في ذلك الوقت لم يكن لدى (جيم) اهتمام كافٍ بِذِكْر ما حدث لذلك سمحوا له بالعودة الى عمله، ثم أُلْقِيَ القبض عليه مرة أخرى ليعيد على أسماعهم نفْس القصة، وأطلقوا سراحه مرة أخرى من دون أن يعلموا بجديد.

وبعد تفتيش المنطقة وعدم العثور على شيء يمكنه أن يوصل إلى مكان (نيل) جلبت الشرطة رجلًا اسمه (هوريكين برانش) ليقود كلابًا بوليسية مدرَّبة، وانضم وراءه أكثر من 1000 من الأهالي في بحْث واسع النِّطاق، لكن الشرطة لاحظت أن (جيم ويلكوكس) لم يكن من بين الباحثين.

جعلوا الكلاب تشم رائحة أحذية وجوارب (نيل) لعلها تقودهم في مطاردة سريعة إلى مكان (نيل) لكن دون جدوى . ثم انتشرت شائعات بأن (نيل) محتجَزة كرهينة مقابل دفع فِدْية وإلا سيُلْقَى بها في النهر.

ثم أطلق أحدهم طلقة مدْفعية في النهر حيث كان الناس يعتقدون أن الديناميت المنفجر سيعود بالجثة الغريقة . لكن تلك الجهود لم تحرز أي تقدم .

النفْسانِيَّة سنيل نيومان:

قالت إحدى السيدات التي يُعْرَف عنها أنها تملك قدرات نفْسانية فوق العادة بأن (نيل) على قيْد الحياة، وأنه جرى اختطافها على متْن زَوْرَق، ثم قالت أخرى وهي روحانية من (نورفلوك - ولاية فيرجينيا) وتُدْعَى السيدة (سنيل نيومان) بأن (جيم)

قتل (نيل) واستخدم مادة «الكلوروفورم» ثم لفَّها بِلِحاف وساقها إلى بلدة حيث قتَلَها هناك. ثم رماها في بئر عميقة بجوار منزل قديم.

وحين علم سُكَّان البلدة بقول تلك السيدة قاموا بدعوتها لزيارة بلدتهم فوصلت في يوم 6 ديسمبر إلى منزل عائلة (كروبسي) حيث جلست على كرسي في الداخل وهزَّتْ نفسها وقالت: «هنا حيث جلس (جيم)» فأكدت (أولي) قولها بأنه كان يجلس فعلًا في هذا المكان.

ذكرت السيدة (نيومان) تفاصيل عِدة ودقيقة، ثم قالت بأن هناك شخصًا آخر تواطأ مع (جيم) في ارتكاب فعلته، وأنه ساعده في وضْع (نيل) في عَرَبة، وذهب معه إلى المكان حيث قُتِلتْ فيه.

كما قالت (نيومان) أن (جيم) كان غيورًا، وأنه حينما أخبرتْه (نيل) عن رغبتها بالذهاب إلى (نيويورك) قرَّر أنه إن لم تكن له فلن تكون لأيِّ أحدٍ آخر .

اللجنة التي جلبت السيدة (نيومان) إلى البلدة أخذتْها أيضًا في عَرَبة خلال ذلك اليوم البارد لمعرفة آخِر ما يُمْكن أن تستشعر به، فقادت السيدة (نيومان) حشْدًا كبيرًا من الناس كانوا قد لحقوا بها مسافة أميال بما يُشبه جولة البحث التي قامت بها الكلاب البوليسية في المرة الماضية، ولكن هذه المرة بنوع آخر من الرائحة، ومن دَرْب إلى آخر وصلوا إلى مكان عثروا فيه على بئرين، ولم تكن أية منهما يحْوي الجثة.

وبعد قطْع مسافة 25 ميْلًا (أكثر من 40 كيلو مترًا) بدون العثور على أيِّ شيء تخلَّوا عن محاولاتهم لذلك اليوم، ومن ثَمَّ تابعوا بحثهم في كل بئْر في المنطقة وحتى هذه المحاولة لم تأت بنتائج.

ومع ذلك ساعد يقين السيدة (نيومان) بأن (جيم) مذنب في طبْع صورته في أذهان المجتمع، حيث كانت تتحدث وكأنها متأكدة بخصوص هذا الأمر، بينما كانت تقود الناس من مكان إلى آخر، وبما أنها كانت على صواب في الإخبار عن كثير من التفاصيل

فقد مال الناس لتجاهل حقيقة أنها كانت مخطئة بخصوص التفاصيل الأخرى أي أنهم صدقوها.

أين كانت الجثة ؟

بعد يومين من عيد الميلاد وجد اثنان من الصيَّادين (نيل) عائمة في النهر. وأظهر تشريح الجثة أنها لم تمُتْ غَرَقًا، وأن هناك آثار كدْمة على جبينها، مما يدل على وجود مؤامرة، قرَّرتْ هيئة المُحلَّفين أن (نيل) قُتِلتْ، وذلك استنادًا إلى الأعراض الطِّبِّية وإشاعة الإشاعات، وتمَّ اعتقال (جيم) على الرغم من قوله بأنه بريء. وحُوكِم وأُدِين وأرسل إلى السجن، لكن عُفِيَ عنه بعد قضائه فيه طوال 15 سنة .



أصبح (جيم) طليقًا لكن وجد نفسه يائسًا لا يجد عملًا، فأدمن الكحول، ومن ثَمَّ قرَّر إنهاء حياته فوجَّه البندقية نحو رأسه وفجَّره، لكن من المفترض أنه كشف قبلها عن أمور لُمحرِّر يعمل في صحيفة أخبار، لكن هذا الرجل أيضًا لقِيَ حتْفَه في حادث حاملًا معه السِّرَّ إلى القبر.

أشعل نفْساني معروف وواثِق من قدراته مشاعرَ الخوف والغضب في المجتمع المحلِّي عندما قال أنه لا يوجد دليل مادِّي على صلة (جيم ويلكوكس) بمقتل (نيل كروسبي) حيث لم يكن هناك سوى تعاطف قوي من الجمهور، مستند جزئيًّا إلى ما قالتْه النفْسانية من وقائع غريبة ودقيقة حول بعض التفاصيل عن آخر لحظات (نيل).

فهل سبق للنفْسانية (نيومان) أن قرأت تلك التفاصيل في الصحف، أو هل نجحت (أولي) بتزويدها بخيوط من اللاوَعْي؟ يرفض كُلٌّ من المشكِّكين والنفْسانيين إعطاء تفسيرات لتلك الأحداث، فكل واحد منهم يرى القضية من منظاره المختلف بما يؤيد وِجهة نظره.(1)

1- نقلا -ببعض التصرف- عن مقال: (جريمة نيل كروسبي) المنشور على الموقع العربي: (ما وراء الطبيعة) بتاريخ: (١٩ أبريل. ٢٠١١م.) ومقال: (نيل كروسبي ... الاختفاء الغامض) المنشور في منتدى: (عراق السلام) بتاريخ: (٦/ ١٠/ ٢٠١١م.).

13

سميرة موسى ...
أغرب القضايا!



في صباح يوم الجمعة 15 أغسطس من عام 1952م. لقِيَتْ فتاة مصرية- خَمْرِية اللون، فرعونية التقاطيع- مصرعَها في ولاية «كاليفورنيا» بأمريكا، في حادث سيارة غامض. وبعد أسبوعين.. هبطت طائرة أمريكية في مطار القاهرة، أسرعت تقف إلى جوار باطنها سيارةُ إسعاف.

وفي صمْتٍ حمَل بعض الرجال من باطن الطائرة تابوتًا حملَتْه سيارة الإسعاف مسرعةً إلى منزل أسرة الفتاة التي روَّعها خبرُ مصرعها الغامض.

وتمَّ وضْعُ التابوت في نفْس حجرة نوم الفتاة، الحجرة التي شهدت أيام شبابها، وكانت مهْدًا لأحلامها التي لم تتحقق كلها ..

أطاح الحزن بصواب أسرة الفتاة القتيلة.. واضطرب قلب أمها كي ترى جثمانها.. واضطر أفراد الأسرة لكسْر التابوت الخَشَبي، ففوجِئوا داخله بصندوق من الرصاص، وعندما فتحوه وجدوا صندوقًا آخر من الرصاص.

فتحوا الصندوق ووقفوا في ذهول وخشوع ينظرون إلى جثمان ابنتهم.. كان المشهد مُرَوِّعًا.. يهُزُّ أعْتَى القلوب.

كانت ترقد مرتدية كامل ملابسها، كأنها لا تزال على قيْد الحياة، كأنها ذاهبة إلى حفْل ساهر طويل، شعرُها مُصفَّف بطريقة جميلة، الساعة الذهبية تلْمع في يدها. سوارٌ آخر جميل يُزَيِّن رقبتها ..

نزَعتِ الأم نفسها من أمام تابوت ابنتها.. جرجرت قدميها إلى خارج الحجرة .. قالت في ذهول المجانين لأولادها وبناتها: «خُشُّوا شُوفوا أختكم .. زَيِّ العروسة».

وجعل الجميع يتساءلون: هل لقيتْ مصرعها.. قضاءً وقدَرًا .؟! هل اغتالوها ؟ ومن؟ الأمريكان ؟ أم اليهود ؟

تُعَدُّ سميرة موسى (3 مارس 1917 - 15 أغسطس 1952 م) هي أول عالمة ذَرَّة مصرية، ولُقِّبَت باسم «ميس كوري الشرق»، وكذلك أول معيدة في كلية العلوم بجامعة فؤاد الأول، جامعة القاهرة حاليا.

لُغز مصرعها:

استجابت الدكتورة سميرة لدعوة للسفر إلى أمريكا في عام 1952م، فقد أُتيحتْ لها فرْصة إجراء بحوث في معامل جامعة «سان لويس» بولاية ميسوري الأمريكية. وهناك تلَقَّتْ عُروضًا لكي تبقَى في أمريكا، لكنها رفضت.

وفى يوم 18 أغسطس وُجِّهتْ لها دعوة لزيارة بعض المعامل في «كاليفورنيا» (وهى

ولاية ذي مسالك جبلية وعرة)، وفي اليوم المحدَّد استقلَّت سميرة السيارة بصحبة سائق هندي، وأثناء سيرها على منْحَنى جَبَلي صدمتْها سيارة بعنف من الخلْف لتسقط السيارة وتموت سميرة في الحال!

وعندما وصلت الشرطة إلى مكان الحادث وجدوا جثتها فقط ولم يعثروا على جثة السائق! فقد اختفى تماما، وأظهرت التحقيقات أنه قفز من السيارة واختفى إلى الأبد..

كما كشفتْ أنه كان يحمل اسمًا مُسْتعارًا، كما أظهرت التحقيقات أن الصدمة الخلفية للسيارة حدثت من اصطدام شاحنة بالسيارة، والمثير أن الشاحنات ممنوعة من السير في هذه الطرق الجبَلية!

وأوضحت التحريات أن إدارة المفاعل لم تبعث بأحد لاصطحابها.

اغتيال مُدبَّر:

كانت سميرة تقول لوالدها في رسائلها: «لو كان في مصر معمل مثل المعامل الموجودة هنا كنت أستطيع أن أعمل حاجات كثيرة». وقد علَّق محمد الزيات مستشار مصر الثقافي في واشنطن وقتها على أن كلمة: «حاجات كثيرة» كانت تعني بها أن في قدرتها اختراع جهاز لتفتيت المعادن الرخيصة إلى ذرَّات عن طريق التوصيل الحراري للغازات، ومن ثَمَّ تصنيع قنبلة ذرِّية رخيصة التكاليف.

في آخر رسالة لها كانت تقول: «لقد استطعت أن أزور المعامل الذَّرِّية في أمريكا، وعندما أعود إلي مصر سأقدِّم لبلادي خدمات جليلة في هذا الميدان، وسأستطيع أن أخدم قضية السلام»، حيث كانت تنوي إنشاء معمل خاص لها في منطقة الهرم بمحافظة الجيزة.

ولا زالت الصحف تتناول قصتها وملفَّها الذي لم يُغْلَق، وإن كانت الدلائل تشير -طبقا للمراقبين- أن المخابرات الإسرائيلية هي التي اغتالتها، جزاءً لمحاولتها نقْل العِلْم النوَوي إلي مصر والوطن العربي في تلك الفترة المبكِّرة.

إن قصة سقوطها بالسيارة هذه تبدو غير حقيقية، فقد ذهبت الأسرة إلى المطار لاستلام جثمان سميرة موسى، ولكن كانت المفاجأة، فقد استلموا صندوقا بلاتينيًّا ضخْمًا وثقيلًا، وبعد عودتهم إلى المنزل فتحوا الصندوق فوجدوا سميرة موسى وكأنها لم تمت! فقد كانت مُحنَّطة.. ترتدي فستانا أسود ومُمْسكة في يدها بمنديل حريري، وأظافرها قد زُيِّنَتْ بالطلاء.. وكانت حافية ومُعطَّرة، وكان الجزء الواضح من جسدها سليما بدون أي كسور أو خُدُوش.. فأُصيبَ الجميع بالذهول!

فهل تسقط من أعلى جبل دون أن تُخْدَش ؟

نبذة عن حياتها

وُلِدتْ سميرة موسى في قرية «سنبو الكبرى – مركز زِفْتَى بمحافظة الغربية» في مصر.

1- اهتماماتها النووية

حصلت على شهادة الماجستير في موضوع التواصل الحراري للغازات، سافرت في بِعْثة إلى بريطانيا درست فيها الإشعاع النوَوي، وحصلت على الدكتوراه في الأشِعَّة السِّينيَّة، وتأثيرها على المواد المختلفة.

2- معادلة مهمة توصَّلتْ إليها

أنجزت الرسالة في سنتين وقضت السنة الثالثة في أبحاث متصلة وصلت من خلالها إلى معادلة مهمة (لم تلْق قُبولًا في العالم الغربي آنذاك) تمكن من تفتيت المعادن الرخيصة مثل النحاس ومن ثَمَّ صناعة القنبلة الذَّرِّيَّة من مواد قد تكون في متناول الجميع، ولكن لم تُدوِّن الكتب العلمية العربية الأبحاث التي توصَّلتْ إليها د. سميرة موسى.

3- اهتماماتها السياسية

وكانت تأمل أن يكون لمصر والوطن العربي مكانٌ وسطَ هذا التقدم العِلْمي الكبير،

حيث كانت تؤمن بأن زيادة مِلكية السلاح النووي يُسْهِم في تحقيق السلام، فإن أي دولة تتبنَّى فكرة السلام لا بدَّ وأن تتحدث من موقف قوة، فقد عاصرت ويْلات الحرب، وتجارب القنبلة الذرية التي دكَّتْ «هيروشيما» و«ناجازاكي» في عام 1945م.

ولفت انتباهها الاهتمام المبكِّر من إسرائيل بامتلاك أسلحة الدمار الشامل، وسعْيُها للانفراد بالتسلُّح النوَوي في المنطقة. كما قامت بتأسيس هيئة الطاقة الذرية بعد ثلاثة أشهر فقط من إعلان الدولة الإسرائيلية عام 1948م. حرصت على إيفاد البَعَثات للتخصص في علوم الذرة فكانت دعواتها المتكرِّرة إلى أهمية التسلُّح النووي، ومجاراة هذا المَدِّ العِلْمي المتنامِي نظَّمتْ مؤتمر الذَّرَّة من أجل السلام الذي استضافتْه كلية العلوم، وشارك فيه عدد كبير من علماء العالم، وقد توصَّلتْ في إطار بحثها إلى معادلة لم تكن تلْقَى قبولًا عند العالم الغربي.

ويبقى السؤال: لماذا قُيِّدَتْ القضية ضد مجهول؟ وهل ماتت د.سميرة ميتة عادية أم أنه حادث اغتيال؟

المُمثِّلَة راقية إبراهيم ودورها في اغتيال سميرة موسى:

إن قصة سقوطها بالسيارة هذه تبدو غير حقيقية، وكما ذكرنا فقد ذهبت الأسرة إلى المطار لاستلام جثمان سميرة موسى، ولكن كانت المفاجأة، فقد استلموا صندوقا بلاتينيا ضخما وثقيلًا، وبعد عودتهم إلى المنزل فتحوا الصندوق فوجدوا سميرة موسى وكأنها لم تمت! فقد كانت مُحنَّطة.. ترتدي فستانا أسود وممسكة في يدها بمنديل حريري، وأظافرها قد زُيِّنَتْ بالطلاء.. وكانت حافية ومُعطَّرة، وكان الجزء الواضح من جسدها سليما بدون أي كسور أو خُدوش.. فأصيب الجميع بالذهول!

فهل تسقط من أعلى جبل دون أن تُخْدَش ؟

بل هو يؤيد ما قيل أن آخر ما فعلتْه الذهاب لحفلة تُقيمها لها الجامعة ويحضرها أصدقاؤها، ومنهم عميلة الموساد المشهورة راقية إبراهيم وشركاؤها!

يُذْكَر أن راقية إبراهيم ولدتْ لأسرة مصرية يهودية في عام 1919م واسمها الحقيقي راشيل إبراهام ليفي.

كانت (راقية) معروفة بتحيزها للصهاينة وتعاملها معهم جاسوسة على مصر والمصريين، وقد شاركت مع اليهوَد في تدمير القِيَم الأصيلة للمصريين عن طريق السينما والفن.

فقد بزغ نجمها بعد قيامها بدور البطلة لمسرحية توفيق الحكيم «سر المنتحرة» عام 1938م، ثم هاجرت إلى الولايات المتحدة حيث تزوجت من أمريكي، وعملت بالتجارة، ثم سفيرة للنوايا الحسنة لصالح إسرائيل.

وقد تعرَّفَتْ راقية إبراهيم على الدكتورة سميرة وصادقتها - للأسف - في لندن، وكانت تنقل أخبارها للصهاينة في فلسطين، ثم زارت الكيان الصهيوني بعد انتهاء الدكتورة من دراستها في لندن، وقد أرسلها الصهاينة إلى أمريكا لتكون هناك عند وصول الدكتورة سميرة إليها.

وقد اتهم المؤلف الإذاعي الدكتور محمود علي فهمي الممثلة راقية إبراهيم -اليهودية الديانة المصرية المولد لعائلة يهودية- بقتل عالمة الذرة سميرة موسى. يأتي ذلك ضمن أحداث المسلسل الذي كتبه فهمي عن عالمة الذرة سميرة موسى التي اغتالها جهاز الموساد في أمريكا.

وبالبحث في الوثائق التي تتناول حادث موتها، اكتُشِفَ عدة أسرار ومفاجآت، منها أن سميرة موسى قد ارتبطت بعلاقة صداقة قوية مع الممثلة راقية إبراهيم، وأن هناك شكوكًا قوية تشير إلى أن راقية إبراهيم هي من أرشدت الموساد عن منزل سميرة! بل ونقلت إليهم حرفيًّا مواعيد وجودها في المنزل، خاصة أنها كانت تعيش وحدها، وسهَّلتْ لهم معرفة خريطة المنزل، حتى يمكنهم الهرب بمجرد الانتهاء من مهمتهم دون كشف أمرهم، خاصة أن وجودهم سيؤدي إلى أزمة في حالة اكتشافهم.

ثم غربت الشمس:

ذكر صالح مرسي - كاتب الجاسوسية المعروف - في مجلة «المُصوِّر» القاهرية أنه كانت هناك نوتة صغيرة سوداء اللون سلَّمها البوليس الأمريكي لرجال السفارة المصرية في واشنطن ضمن مُخلَّفات سميرة موسى، وسلَّمتْها الخارجية إلى والدها، وكانت آخر عبارة فيها «ثم غربت الشمس».

تُرى أي شمس كانت تقصد سميرة موسى؟![1]

1- نقلا -ببعض التصرف- عن مقال: (جرائم غامضة: اغتيال عالمة الذرة المصرية) المنشور على الموقع العربي: (ما وراء الطبيعة) بتاريخ: (١٤ أبريل. ٢٠٠٩م.) ومقال: (سميرة موسى) المنشور في (موقع الاستعلامات المصري) ومقال: (سميرة موسي.. شمس الحلم الذرِّي التي غابت في أمريكا) المنشور في جريدة (المصري اليوم) بتاريخ: (٨/ ٣/ ٢٠٠٨م). للكاتب الصحفي: ماهر حسن. ولسميرة موسى: ترجمة موسَّعة في كتابنا: (مشاهير النساء العزاب) [ص/١٠٩-١١٨] طبعة دار الكتاب العربي/ دمشق-القاهرة.

14

جريمة اليد الرخامية



هذه الجريمة حدثت بالفعل، ربما تكون إلى الخيال أقرب منها إلى الحقيقة، لكنها الحياة التي تكشف لنا كل يوم عن خيال في صورة الحقائق، وعن حقائق في صورة الخيال!

ففي عام 1901م. عثر روبرت وزوجته الشابة «ماري» على بيت الأحلام بعد عِدة شهور من البحث، وهو كوخ جميل مُطِلٌّ على النهر عند نهاية الغابة الكثيفة، ولكن الكوخ بُنِيَ على أرضٍ سبق أن أُقِيم عليها منزل رِيفِيٌّ كبير يملكه شقيقان، وكانا وِفْقًا للروايات الشائعة في المنطقة على درجة كبيرة من الفِسْق والنزوع إلى الشرِّ، وقد تمَّ دفْنهما في ساحة الكنيسة النورماندية، وفوق مقبرتهما وضع غطاء رخامي ضخم نُحت عليه تمثالٌ يُمثِّل الشقيقين وقد رَقَدا جنْبًا الي جنْب .

يوم جميع الأرواح:

انتشرت أساطير تناقلها الفلاحون عن أن التمثالين الرخاميين يغادران غِطاء المقبرة مرة في السنة، فيما يُسمَّى عندهم «يوم جميع الأرواح»، وأنهما يزوران الأماكن التي شهدت جرائمهما القديمة، ويحومان في المكان الذي يقوم فيه بيتهما الكبير، والمقام عليه حاليًا الكوخ الذي يسكنه الزوجان السعيدان،إلا أن الزوجين نظرًا لتلك القصص بسخرية .

- وفي يوم من أيام خريف عام 1901م. وبعد أن تناول الزوجان الشاي، اقترح «روبرت» على زوجته أن يَمْضِيَا في جولة لمشاهدة غروب الشمس، لكن الزوجة «ماري» فضَّلت أن تبقَى الي جوار المدفأة، إذ أنها كانت تشعر ببعض التعب.

وهكذا انصرف الزوج بمفرده . فقادتْه جولتُه الى ممرٍّ يؤدي إلى ساحة الكنيسة، وفجأة توقف عن السيْر متسمرًا في مكانه لا يُصدِّق ما تراه عيناه، فمن بين الأشجار رأى مقبرة الفارسيْن الشرِّيريْن تتوهَّج بضوء أبيض على خلْفية السماء السوداء .

كانت تفاصيل المقبرة واضحة بشكل مُلْفِت، وقد اختفى من فوقهما الغطاء الرُّخامي الثقيل، وباختفائه اختفى أيضًا التمثالان الرخاميَّان للأخويْن الشريريْن .

أول ما خطر على بال «روبرت» أن الأمر لا يعْدو أن يكون مُزْحة قام بها أحد العابثين، لكنه تذكَّر أن رفْع الغطاء الرُّخامي عن المقبرة أمر شاقٌّ لا يقدر عليه إلا مجموعة من الناس .

فأسرع تملأه الصدمة ومبتعدًا عن المكان باتجاه البيت . لكنه بعد قليل وقف في مكانه ثم عاد أدراجه الى المقبرة يريد أن يتثبَّت مما رآه .فسار بشجاعة حتى وقف أمام المقبرة وأشعل عود ثقاب فوجد الغطاء فوق المقبرة والتمثالين الرخامين في مكانهما بنفس الصورة التي رآهما عليها دائمًا، أشعل عددًا من أعواد الثِّقاب مُمْتحنًا كل جانب من جوانب المقبرة، فلم يجد فى أيِّ ركن منها يُوحي بأن غطاء المقبرة قد أُزِيح من مكانه .

.ربما فيما عَدا ما لاحظه من غياب أصبعيْن من كفِّ أحد التمثاليْن، فتصوَّر أن الأمر كان دائما على هذا الحال، وأنه في المرَّات السابقة لم يلاحِظ هذا النقص.

- وأخيرًا استدار روبرت منصرفًا وقد استراحت نفسه . لا ريب أنه كان ضحية خُدْعة ضوئية، أو ربما كان حالة عارضة من الهلوسة، وفي طريقه إلى الكوخ أخذ يتساءل هل يخبر زوجته بما حدث؟ هل ستُخيفها الرواية أم ستضحك عليها عاليًا؟!

أخذ روبرت طريقه عبْر الممرِّ المؤدِّي إلى الكوخ في وقت ساد فيه الظلام، وعندما اقترب من الكوخ أطلق صفيره المعتاد متوقِّعًا أن يسمع صفير زوجته كما تفعل دائمًا، لكنه هذه المرة لم يسمع أيَّ صفير، كما لاحظ أن جميع نوافذ البيت غير مضاءة !

فشعر روبرت غريزيًّا بأن شيئًا ليس على ما يرام، فاندفع يعْدو نحو الكوخ مناديًا زوجته ودفع الباب بقوَّة ليواجه داخل البيت بصمت وظلام مُطْبِقَيْن .

كان قد استنفد كل ما معه من أعواد ثِقاب عندما كان عند المقبرة، فراح يتحسَّس طريقه في الظلام بحثًا عن عُلْبة أعواد ثِقاب أخرى وهو يُصيح باسم زوجته صيحات متصاعدة في حِدَّتها . وعندما عثر آخر الأمر على بُغْيته أشعل مصباحًا ووقف يتطلَّع حوله لا يُصدِّق ما يراه!

كانت حجرة الجلوس الصغيرة في حالة من الفوضى الشاملة، كل ما بها تحطَّم وكأنها قد أُصِيبتْ إصابة مباشرة بقذيفة قوية، أما أرضية المكان الحجرية فقد تشقَّقت كما لو كانت قد تعرَّضتْ لضربات قوية للغاية.

كما ظهرت الشروخ في الحوائط . ومائدة الطعام الثقيلة رآها متفسِّخة وقد انقلبت رأسًا على عَقِب، وسط هذه الفوضى الشاملة والخراب المُطْبِق رأي «روبرت» جسد زوجته مُمدَّدًا على الأرض .

وفي أقواله التي أدْلَى بها والتي تضمنها تقرير الشرطة الشرعي عن الحادث قال

روبرت: إن وجه زوجته «ارتسم عليه تعبير متجمِّد للرعب القاتل» لقد كانت زوجته مقتولة خنْقًا ! كان السؤال الذي يتردد دون إجابة ...ما هي تلك القوة الخارقة التي استطاعت أن تُحدِث مثل هذا التخريب الشامل ؟!

وفي اليوم السابق للجنازة ..وللمرة الأخيرة أمسك بيد زوجته التي كانت أصابعها مغلقة بقوة، وبرِفْق شديد بدأ «روبرت» يبسط أصابع الكف واحدًا بعد الآخر، فسقطت قطعة حجَر أبيض من يدها إلى الأرض. التقط «روبرت» القطعة الحَجَرية فرآها على شكل أصبعين منحوتتيْن من الرخام![1]

1- نقلا -ببعض التصرف- عن مقال: (جريمة اليد الرخامية) المنشور على الموقع العربي: (ما وراء الطبيعة) بتاريخ: (٣/ ٦/ ٢٠١٠م.) ومقال: (جريمة اليد الرخامية.. ظواهر مخيفة) المنشور في مدونة (أدب الرعب) الكاتب: علاء محمود.

15

يقتل ضحاياه من أجل الحصول على العطور من أجسامهن!



عرف العالم كثيرًا من المجرمين، ولكن التاريخ لم ينْس أبدًا حكاية «جان باتيست جرينوي» والذي عاش في القرن الثامن عشر، وذلك لأنه فعْلًا على عكس جميع أشرار ومُجْرِمي التاريخ.

ينتمي«جان باتيست جرينوي» إلى عالم لم يعرفه أحد غيره، وتفسير ذلك أنه لم يقتل النساء من أجل المتعة، ولا بحْثًا عن اللذة، إنما كان يقتلهن من أجل فكرة مجنونة من بنات أفكار إبليس!

الدافع وراء القتل لدى «جان باتيست جرينوي» كان جمْع روائح أجسام النساء، لتجميع عِطْر بشَري لم يبلغه أحد من قبل، وبعد تلك المقدمة نتحدث قليلا عن «جان باتيست جرينوي».

في شارع «أوفيير» الفرنسي .. أحد أقذر الأحياء بباريس .. وبين روائح العَرَق المقزِّزة، ورَوَث الجرْذان الكريهة .. وفي حر الصيف اللاذع من عام 1738م ..

كانت هناك أُمٌّ تعاني آلام المخاض .. ما لبثت أن أُغْمِيَ عليها فوْر ولادة ابنها .. وعند استيقاظها .. رمَتْ بمولودها تحت أحشاء سمكة كانت تُنظِّفها ..

صرخات طفل تتعالَى .. تجمْهرٌ كثيف لأهل السوق أمام عرَبة السمك .. نحو السِّلال والقاذورات الأعين تتجِه .. ونظرات تضاربت بين حُزْن على الرضيع ولَوْم واتهام للأم ذات القلْب المتحجِّر ..

لا عجب من ذلك ..! هذه هي حال والدته فور كل ولادة .. ولكن هذه المرة رفض مولودها الغير شرعي الموت بصمت كإخوته الأربعة الذين سبقوه.. فأنقذه أهل السوق .. وتمَّ القبض على والدته ومحاكتها بتهمة الزنا .. وحُكِم عليها بالإعدام شنْقًا ..

أُرْسِل الطفل إلى الملجأ .. وأطلقوا عليه اسم «جان باتيست جرينوي».. في ليلة يومه الأول .. صُراخ أرَّق مضجع الأطفال من حوله .. لا توجد طريقة لإسكاته.. وضعوا الوسادة على وجهه فيواجه محاولة القتل الثانية في يومه الأول من حياته ..

لكنه نجا منها أيضًا ..

لم يكن جان كغيره من الأطفال .. فقد قُوبِل بالرفض من قِبَل المرضِعات والمُربِّيات.. طفل غريب .. بَشْرَتُه باردة .. لا يحمل من رائحة الأطفال ولو الشيء القليل .. لا أحب هذا الرضيع .. إنه نذير شُؤْم كان جان محبًّا للصمت .. هادئ .. ذكي .. مطيع ووحيد.. لا يلعب مع الأطفال ..

لقد كان مُدْركًا منذ الصغر بأنه منبوذ من المجتمع .. لكنه أيقن أيضًا أن لديه قدرة خارقة لتمييز الروائح .. فعمل على تطويرها متتبِّعًا الروائح الجيدة دون غيرها ..

ذات يوم .. قرَّرتْ صاحبة الملجأ بيْعَه إلى صاحب مدْبغة جلود، وهو في الثانية عشرة من عمره .. لكنها ماتت في حادثة فَور استلامها للنقود .. وبدأ «جان» عندها أُولَى خطواته خارج الملجأ ..

بدأ جان العمل لدَى بالديني .. يُبْهِر النساء بعطوره المتميزة ..

كان يسأل مُعلِّمه باستمرار عن سِرِّ رائحة الموت.. الذي بدوره أجابه بلا تردد: بأن الفراعنة هم أكثر من أبدع في مجال العطور، وأن عطورهم كانت تتكون من ثلاثة أقسام تكوِّنها اثنتا عشرة رائحة مختلفة، ولكنهم كانوا يستخدمون العنصر الثالث عشر، وهو الذي يخلق عِطْرًا أصليًّا يهيمن على الآخرين .. ولكن يظل السؤال ما هو العنصر الثالث عشر ؟!

لم يملك «ديني» الجواب .. لكنه أشار على «جان» بالذهاب إلى مدينة «جراس» فهناك سيكتشف السِّر بالتأكيد .. إذ أنها المدينة التي ستشهد لعنة خلْق عِطْر الموت .. ظل «جان» يصنع عِطْرًا تِلْو الآخر حتى صنع مزيجًا عجيبًا، إنه عِطْر من التفاح العَفِن وجسد قِطَّة ميتة، وزَهْر البنفسج ووَرَق النعناع، وورق الريحان فاقتْ شهرته جميع العطور ..

وأغدق على مُعلِّمه أموالًا طائلة .. وذاع صيت «بالديني» في أرجاء باريس.. ولكن بقِيَ هناك سؤال واحد ظل يجاور «جان» على الدوام .. كيف أستخلص عطور الجميع ولا أستطيع أن أجد رائحة نفسي ..!

هل هو منبوذ كَريه ؟! أم جسد متهالِك؟!

يريد أن يثبت نفسه .. أن يصنع لشخصه رائحة يحسده عليها من حوله .. رائحة خاصة لا مثيل لها .. ذلك كان حديث نفسه الدائم .. خُطَط دموية أيقظتْ هوَسَه النائم .. صور رسمها له الشيطان في أبَهَى صورة .. زَيَّنَها له برغم دموية الطريقة بأبْهَى حُلَّة ..

فأبَى إلا أن يستخلص من جثة كل فتاة عِطْرها الخاص .. ويجمعها في زجاجة .. لتكون عِطْره وحده ..

يتحف من حوله بروعة شَذَاه .. ويحقق ذاته .. ويصنع لنفسه وجودًا .. جسدًا وروحًا .. لا تهمُّ الطريقة .. طالما تُثْبِت وجوده ..

بعد أن أعاد جان مجْدَ «بالديني» الذي أوشك على التهاوي بسبب كِبَر سِنِّه .. قرَّر على الفور الاتجاه إلى مدينة «جراس» فغادر باريس مساء ذلك اليوم سالكًا ذلك الطريق المؤدِّي لرائحة الموت..

قيل: إن منزل «بالديني» انهار عند مغادرة جان إياه .. فمات هو وزوجته تحت الأنقاض..

رحلة اللاعودة بدأها جان لوحده .. تحوَّل إلى مهووس متطعش .. لا يُفكِّر سوى بطريقة صنع تلك الرائحة... كان يحدث نفسه قائلا: سأحصل على اثنيْ عشر عِطرًا .. وسأجد العنصر الذي يحول ذلك العِطر إلى أسطورة في طريقه إلى جراس.. عمل في عدة وظائف .. كلما لفتَتْه رائحة شابة أو فتاة .. تبعها بهدوء .. وقتلَها دون أن تشعر .. بل قبل أن تُدْرِك أنها ستُقْتَل .. بدون أيِّ اعتداء جسدي..

وعندما تنقطع أنفاس الضحية يبدأ في تقْطير جسدها ..يُغطِّيه بالشمْع الساخن ويلفُّه بقماش رقيق لمدة ساعتين .. وبعد ذلك يزيل الغطاء وينْقِع جثة الفتاة في ماء حار مع لفافات أعشاب طرية وأزهار البنفسج والريحان ..ليستخرج عطرها الفريد ويضعها في قِنِّينة .. حتى وصل العدد إلى اثنتي عشرة فتاة، لكل واحدة زجاجة خاصة يضع فيها عطرها، ويدفن جثتها في فناء الدار الذي يعمل أجيرًا لدى أصحابها .. بعد ذلك تابع مشواره لمدينة جراس .. قبيل وصوله .. لَمح شابة رائعـة الجمال .. مبتهجة وأكثر رَوْنقًا من باقي الفتيات .. إنها كملاك ليست كأيِّ ملاك .. تحفة نادرة تحتاج لصقْلِها .. إنها بلا شك العنصر الثالث عشر ..

استمر «جان» في ملاحقة هذه الشابة .. إنها ابنة أشهر تاجر عطور في جراس .. تُشبه إلى حدٍّ ما فتاة الخوخ التي قتلها دون قصد منه ..

في الليل كانت الشابة على موعد مع الموت .. أمام فراشها يقف جان بهدوء .. يتخيل أمه التي وهبتْه تلك اللعنة فجعلتْه منبوذًا كريهًا .. تلك المرأة التي أرادت قتله يتخيلها جميلة حتى ورأسها مُدَلًّى من على حبل المشنقة ..

سأكسر تلك اللعنة .. سأُمْحي ما وهبْتني إياه من عار .. بفأس صغير قام بضربها على أعلى رأسها .. لتموت على الفور .. وتكون هي العطر الثالث عشر .. وسيحقق هو الأسطورة ..

في صباح اليوم التالي تمَّ القبض على «جان باتيست جرينوي» ووُضِع في السجن إلى أن صدر الحُكْم عليه بالصلْب ..

في يوم تنفيذ الحكم .. ها هو «جان» يصعد سلالم منصة الصلب بثبات .. ينظر إلى الجماهير الغاضبة والتي تطالب بالقصاص منه ..

يخرج منديلًا من جيبه .. ويفتح تلك القِنِّينة التي تحوي سائلًا عجيبًا .. فيضع منه المنديل ويلوح به عاليًا لتتسرب الرائحة عبر النسمات العليلة ثم يلقيها على الجماهير ..

يتحول ذلك الغضب إلى رضا ونشْوة وتنقلب الموازين ... ها هم يستنكرون حُكْم الإعدام الظالم ..

كيف لصانع هذه الرائحة العطرة التي تُبْهج القلب .. أن يكون مجرمًا سفَّاحًا يسعى لقتْل الشابات اليافعات والجميلات ..

هناك من يقول إنه ألقى بنفسه على المحتشدين ومات على الفور .. وهناك من قال إنه وأمام استنكار الجماهير المحتشدة بعد استنشاق العبير العِطْر .. أبت العقول تصديق أن صانع تلك الرائحة العذْبة يكون سفَّاحًا .. فيتجه بعدها إلى سوق المدينة ويضع

من عِطْره على جسده ليتهافت من حوله عليه، ويموت وسط تضارب المزدحمين حوله .. يبقى التضارب حول كيفية وفاته .. بين ما سبق وبين أقاويل أخرى .. عُرِف أنه من أشهر السفَّاحين .. لكن سيرته تبقى محلَّ جدل واستفهام .. بين واقع وأسطورة[1]

1- نقلا-باختصار وتصرف- عن «أشهر وأغرب وأطرف المحاكمات في التاريخ» [ص/ ٢٦١-٢٧٠]، لأحمد المنياوي. ومقال: «الدفاع عن جان باتيست غرنوي بطل رواية باتريك زوسكيند» المنشور على «جريدة الجدار الإلكترونية» بتاريخ: (١٩/ ٤/ ٢٠٠٧م). للكاتب باسم سليمان. ومقال: «رائحة عطر الموت بين واقع وأسطورة» المنشور على الموقع الإلكتروني: «صدفة» بتاريخ: (١٠/ ٤/ ٢٠١١م).

16

جرائم دموية دافعُها النوم!



المشي أثناء النوم هو إحدى حالات اضطرابات النوم (باراسومنيا)، وهي حالة لا تتوقف عند ذلك الحد، بل تمتد إلى الأكل أثناء النوم، ومشاهدة التلفزيون وقيادة السيارة بل وارتكاب الجرائم أيضًا، لذلك استند العديد من محاميي الدفاع في عدة قضايا إلى ذلك التحليل المرضي لإنقاذ موكِّليهم، أحيانًا أثبتت هذه الحجة جدوها، وأحيانًا أخرى لم تُجْد نفعًا، وهو ما يظهر في الجرائم السبع التالية:

1- تيرل:

كانت هذه القضية في عام 1846م، وتمَّتْ تبرئة «ألبرت تيرل» في قتْل إحدى فتيات

الليل وإضرام النار في بيت الدعارة، حينها أثبت محامي «تيرل» أن موكِّله مصاب بمرض «الدفاع النائم»، وأنه فعل ما فعل تحت تأثير النوم، وافقت هيئة الدفاع على مرافعة الدفاع، وأقرَّتْ بأن المتهم غير مُذنب، وكانت هذه أول قضية من هذا النوع في تاريخ الولايات المتحدة الأميركية.

2- فيان:

كانت هذه القضية الكلاسيكية عام 1870م، حيث هبط أحد نُزَلاء فندق كنتاكي إلى البَهْو وقام بإطلاق النيران على أحد العاملين 3 مرات، ثم خرج مُسْرِعًا، تمَّ القبض على «فيان» واتُّهم بجريمة القتل غير العمد؛ لأنه كان نائمًا، لكن في مرحلة الاستئناف تمَّ إبطال الحكم، حيث جاء التقرير الطِّبِّي بأن المتهم لديه تاريخ مَرَضِي طويل مع السيْر أثناء النوم.

3- برادلي:

كان رجل من مدينة «تكساس» يُدْعَى «برادلي» يستعد للنوم الى جانب صديقته، ووضَع مسدَّسه أسفل الوِسادة لأنه كان يشعر بالخوف من أن يتعرَّض لهجوم ما، بعدها بساعات سمع أحد الجيران صوت طلقات الرصاص في منزل «برادلي» الذي أفاق من نومه ليجد صديقته غارقة في دمائها أسفل السرير، تم القبض على «برادلي» بتهمة قتل صديقته، لكن محاميه أثبت فيما بعد أنه فعل ما فعل بينما كان نائمًا.

4- كينيث باركس:

كانت هذه القضية عام 1987م، وتمَّتْ فيها تبرئة الشاب الكندي «كينيث باركس» من تهمة قتْل والدته بالتبنِّي، حيث قام هذا الفتى بقيادة سيارته لمسافة 14 ميلا أثناء نومه حتى وصل الى منزل عائلته بالتبنِّي، حيث قتل والدته بسكِّين المطبخ، وأصاب زوجها بجراح شديدة لكنه نجا، وقْتها قام محامي الدفاع بإرفاق تقارير طِبِّية تُفيد بأن المتهم مصاب بمرض «الباراسومنيا»، ولذلك تمَّتْ تبرأتُه.

5- ريكسيغرز:

قتَل «ريكسيغرز» زوجته عام 1994م، وقتَها حاول الدفاع أن يجد له مسوِّغًا لتتمَّ تبرئتُه، وحاول محاموه بشتَّى الطرق حتى إنهم قالوا بأنه كان نائمًا، وعندما استيقظ وجد زوجته قتيلاً والبندقية في يده، لكن الهيئة القضائية لم تُبالِ بهذه الدفوع، تمَّ الحُكْم على «ريكس» بالسجن مدَى الحياة، لكنه خرج بعد فترة عن طريق العفْو.

6- فالاتير:

في عام 1997م، قام «سكوت فالاتير» بطعن أحد متدَيِّني طائفة «المورمون» وزوجته 44 طعنة بسكين صيد، ثم جرَّهما إلى فناء المنزل الخلْفي، لكن أحد الجيران كان قد شاهد الجريمة واتصل بالشرطة للإبلاغ عنها، قامت المحكمة بتوجيه تهمة القتل العمد إلى «فالاتير» الذي قال إنه كان تحت تأثير النوم أثناء ارتكابه للجريمة، لكن عثور الشرطة على سكين الجريمة ومعه قفَّازات وملابس دموية مخبَّأة جيدًا، حالوا دون تصديق المحكمة له، تمَّ الحُكْم عليه بالسجن مدَى الحياة بتهمة القتل من الدرجة الأولى.

7- ستيفن ريتز:

في عام 2001م، قام «ستيفن ريتز» بقتْل صديقته «إيفا وينفرونتر» وهي سيدة في الأربعينيات من عمرها، حيث حطَّم رأسها وأخذ مَقْطَعًا من فرْوة الرأس، وخلَع ذراعها، وكَسَر مِعْصمها، وفكَّها، وعِظام الوجْه والجمجمة، لكنه أنكر أثناء التحقيقات أنه فعل هذا، ثم أكَّد أنه لا يتذكر شيئا من الحادث حيث أنه مصاب بمرَض السيْر أثناء النوم، لكن المحكمة لم تقتنع، وحُكِمتْ عليه عام 2004م. بالسجن مدَى الحياة[1] .

1- نقلا عن مقال: (أشخاص يتحولون لمجرمين وهم نائمون) المنشور على المدوَّنة الإلكترونية: (سيدة القصر) بتاريخ: (٢١/ ٢/ ٢٠١٢م.).

17

تستحم بدماء ضحاياها من أجل الحفاظ على شبابها!



قصة أغرب من الخيال .. لكنها حقيقية .. عن كونتيسة هنغارية التي حوَّلتْ قلعتها إلى مسْلَخ بشَرِي من أجل المحافظة على جمالها !!

قامت بقتْل وتقطيع أوصال 650 فتاة بريئة لتستحمَّ بدمائهن، ورغم وجود الوثائق التي تؤكِّد حدوث هذه الجرائم، ورغم العثور على أوراق المحاكمات التي أُجْرِيَتْ

للكونتيسة ومعاونيها في مطلع القرن السابع عشر، إلا أن هناك اليوم بعض المؤرخين ممن يقدحون في صحة تلك الوثائق التاريخية، ويعدونها جميعها ملفَّقة لغرض تصفية حسابات سياسية خاصة مع عائلة الكونتيسة ذات النفوذ الكبير في الدولة آنذاك ..

على كل حال .. إليك عزيزي القارئ القصة المخيفة والمثيرة لكونتيسة الدم الهنغارية.

عندما تتجمَّع قُوَى الشَّرِّ جميعها في قلب امرأة، وترْمي قذائفها الفتَّاكة على البَشرية، فتتناثر الدماء على مرايا التاريخ، لتفتح الأيادي من خلْف تلك المَرايا على قصة أشهر مصَّاصة دماء في التاريخ البشري حملت بجدارة لقب «دراكيولا النساء» إنها الكونتيسة المجرية «إليزابيث باثوري»، والتي أهداها التاريخ الدموي وسام «كونتيسة الدم».

فمن خلف جبال (قربيزيا) وبالذات في القرن السادس عشر تعالت صرخات فتيات أشبه بأشباح الظلام، فقد كانت تلك الجبال تُخبِّئ خلْفها أسطورة الشَّر، ومصاصة دماء حقيقية، أي أن ما ينسجه التاريخ عنها هنا ليس مقطوفًا من الخيال بل حقيقة مخيفة، إذ اهتز التاريخ وهو يُبْصر ملامح الشَّرِّ قد تجمعت كلها في قلب امرأة عاشت حياتها تقتات على لحوم الفتيات العذارَى، وتشرب دماءهن.

ففي عام 1561م. أسكبت قُوَى الشر في شمال غرب هنجاريا «المجر» وقد تناثرت جميعها داخل قلب طفلة آية في الجمال وُلِدتْ للتوِّ تُدْعَى «إليزابيث باثوري» من أب يُدْعَى «جورج» وأم تُدْعَى «آنـا».

ترعرعت الطفلة إليزابيث مع أختيْن أكبر منها: «أنسشيكا وساندرا»، وقد وُشِمَتْ على وجوه أفراد عائلتها جميعًا شامة العدوانية وسوء الخُلُق، وفي عام 1569م. أكملت إليزابيث عامها التاسع، وفي هذه الأثناء اشتعل فتيل ثورة «أزسيد» بقيادة المزارعين، ونتج عن هذه الثورة الجرائم البشعة والاعتداءات والتعذيب.

وبينما كانت الثورة في أَوْج اشتعالها أبصرت إليزابيث مشهدًا نُحِتَ بذاكرتها وهي مختبئة بذُعْر خلْف الأشجار، فلقد أبصرت المزارعين وهم يقتلون أختها، وبعد أن هدأت نيران الثورة تمَّ تعذيب المزارعين أمام عيون الصغيرة «إليزابيث».

وفي عام 1575م. أمسكت الكونتيسة «إليزابيث» بقبضة الأفراح بزواجها من الكونت «فرنسيس ناداستي»، ولكن زوجها للأسف قد نقَش في قلبه عتْمة القسوة، فقد كان يتلذَّذ بمشاركته في الحملات الجائرة ضد الأتراك بتعذيب أَسْراهم، وذلك بتقطيع رؤوسهم، وإقامة الحفلات الراقصة بجوار جثثهم، حتى إن التاريخ الدموي ليخبرنا بأنه تفنَّن في إعطاء زوجته الدروس المهمة في فنون التعذيب، وكان لها المعلِّم الماهر في ذلك!

وفي عام 1585م. انتشرت ألحان السعادة في قصر إليزابيث بعد إنجابها ابنتها الأولى (آنـا)، إلا أن الأمومة لم تجعلها تتشبَّث بثمار الرحمة، وفي هذه الأثناء كان زوجها الخبير العسكري بعيدًا عنها يزور عائلته لفترة قصيرة فقط، فبدأ عقلها يسْبَح في شُطْآن الكآبة والوحِدة، وبدأت تطرد الضجر بجوار خادماتها الصغيرات اللاتي لم يتجاوزن سن الأربعة عشرة عامًا حسب أوامرها.

وكانت إليزابيث تختارهن وفق مزاجها.

وفي عام 1594م. بدأت قُوَى الشر تتفاقم بطريقة غريبة عند إليزابيث بعد أن اختارت الخادم الأعرج «جانوس» والذي برع في مساعدتها في سلسلة تعذيب خادماتها، أيْ كان اليد اليُمنَى لها.

وفي عام 1598م. أنجبت إليزابيث الابن الوحيد لها (باول) والذي أبصر الدنيا بعد ولادة أخواته الثلاث «آنـا وأورسولا وكاترينا»، ويُعدُّ عام 1604م. العام الذي شهد العديد من الأحداث المرعبة التي خلقت الغيوم السوداء، فلقد رحل زوجها الدوق «فرنسيس»، لتقرر إليزابيث بعد مرور أربعة أسابيع من رحِيله ترك القصر إلى فيينا، ولتعْتني بممتلكاتها الواسعة الممتدة في صربيا وسلوفاكيا.

وفي ظل هذه التغيرات ظهرت من بين أشباح الظلام امرأة شريرة في حياة إليزابيث تُدْعَى: «آنا دارفوليا» ومع طلَّتها المقيتة بدأ القتل يسلك الطرق الأكثر وحشية، ولكي

تحقق إليزابيث مرادها في حلقات التعذيب هذه طردت أم زوجها مع أبنائها الأربعة من القصر الملكي.

وبدأت هنا رحلة التعذيب المتوحِّشة للخادمات الصغيرات والتي اتخذت فيها أبشع الطرق، حيث كانت إليزابيث تتبع أسلوب غرْس الدبابيس على الشفتيْن العُلْيا والسُّفْلَى للخادمات، وغرْسها كذلك بأماكن متفرقة على لحم أجسادهن، كما كانت تجبرهن على البقاء طويلًا داخل مياه النهر الشديد البرودة في فصْل الشتاء القارِس.

ومن أساليبها البشعة التي تفنَّنتْ بها أنها كانت تصبُّ الماء المَغْلِي على الخادمات، وتحْرِق شعورهن بالنيران الظامئة للمزيد من الضحايا، وإذا ما أخطأت خادمة في رَبْط ياقتها بدقة وإتقان يكون عقابها بطعْن وجهها الناعم بالحديد الساخن.

ووصلتْ بالفعل إلى قِمَم الوحشية، حيث كانت تُجْبِر -قَسْرًا- الفتيات على الإمساك بنقود ومفاتيح تُضِيء باللون الأحمر المُكتَسِب لونه من عملية تحْمِيرها بالنيران وشدة سخونتها.

ومن غرائب المشاهد الجريئة حقًّا أنها كانت تَطْلي الفتيات بالعَسل وتُخرجهن لمدة يوم كامل ليصبحن تحت غزْو الحشرات، وكانت تُجْبر خادماتها على الصوم عن الطعام والشراب لعدة أيام، وعندما يشتعل غضبها تضع أصابعها المتصلة بمخالبها الحادَّة في زوايا فَمِ إحدى الفتيات، ثم تجرُّ أطراف فم الفتاة حتى تتقطع زوايا الفم، وكانت كذلك وبدون رحمة تقطع أصابع خادماتها بالمِقَص.

قتلت الكونتيسة الدموية المزيد من الفتيات الشابات اللواتي كان خدمها يأتون بهن من قرية الفلاحين الفقيرة الواقعة على سَفْح الجبل، كانوا يخدعون الفتيات المُعْدَمات زاعمين بأنهن سيحصلْن على عمل مريح كخادمات في قلعة الكونتيسة وبرواتب مرتفعة، وما أن تنْطَلي الحيلة على الفتاة وتخْطو إلى داخل قلعة الموت حتى تصبح خطواتها تلك هي الأخيرة في حياتها، كان مساعدو الكونتيسة يقتلونها ببشاعة لكي تتمكن سيدتهم من أخْذِ حمَّامها الدَّمَوي اليومي!.

ورغم الجمال الساحر للكونتيسة إليزابيث التي وُصِفَت به لكونها أجمل نساء بريطانيا آنذاك إلا أنها كانت لا تحمل في داخلها ذرَّة جمال رُوحي، وعندما بلغت سن الثالثة والأربعين بدأت تجاعيد الزمن تسْطُو على ملامحها الجميلة، حتى لجأتْ للأطباء للتخلص منها دون أن تجد حَلًّا لذلك!

وأخيرًا طرقتْ يومًا باب ساحرة نصحتْها بشرْب دماء فتاة عذراء لتُعيد شبابها المفقود، فقام حُرَّاسها بتلْبية الأوامر يتنقلون بحَذَر بين الأرياف الفقيرة، وذلك لخطْف الفتيات العذارى يوميًّا، وتعليقهن بسلاسل لإحضارهن للقلعة، ومِنْ ثَمَّ تأخذ دماءهن لتشربها الكونتيسة إليزابيث، وبعض الروايات التاريخية تُخبرنا بأنها كانت تأكل لحوم الفتيات الشابات بالإضافة إلى شُرْب دمائهن لتستعيد نَضارة الشباب!

لكنها أحسَّتْ بأن دماء الفلاحات القادمات من القرية له مفعول قليل الأثر على بشْرتها، لذلك تطلَّعتْ للحصول على نوعية أفضل من الدماء، وقد وجدت ضالتها في فتيات الطبقة النبيلة اللواتي كانت عائلاتهن ترسلهن إلى قلعة الكونتيسة لكي يتعلَّمْن منها أصول التصرف والتحدث بلباقة (الإتيكيت) في حفلات وتجمُّعات طبقة المجتمع الراقي، وقد لاقَى عدد كبير من أولئك الفتيات النبيلات نفْس المصير الأسود الذي تجرَّعتْه قبلهن بناتُ الفلاحين الفقراء.

لكن مع اختفاء فتيات العائلات النبيلة، ولأن الكونتيسة أصبحت أكثر تهورًا في اقتراف جرائمها. بدأتْ بالتدريج تنتشر شائعات كثيرة هنا وهناك حول مصير فتيات قلعة «كسيتز» المفقودات اللواتي أخذت أعدادهن تزداد يومًا بعد آخَر.

وأصبحت شكوى النبلاء الذين فَقدوا بناتهم تصل تِباعًا إلى أسماع إمبراطور «هنغاريا» الذي أصدر في النهاية أوامره لرئيس الحكومة بإرسال قُوَّاته إلى قلعة الكونتيسة لِتَحرِّي ما يجري هناك.

وفي 30 ديسمبر 1610م. دخلت مجموعة من الجنود إلى قلعة الكونتيسة ليلًا .. في

الداخل كانت تنتظرهم مشاهد مرعبة بكل معنَى الكلمة، ففي وسط البَهْو الكبير كانت هناك فتاة ميتة لا توجد قطرة دم في جسدها ؛ فتاة أخرى كان جسدها ينزف لكنها كانت لا تزال على قيد الحياة، وفي قَبْو القلعة اكتشفوا مجموعة من الفتيات اللائي كُنَّ ينتظرن مصيرهن الأسود في زنزانات صغيرة وقذرة حالكة الظلام، وبالقُرْب من سُور القلعة على سفْح الجبل اكتشف الجنود بقايا بَشَرية لأكثر من 50 فتاة.

في أثناء محاكمة الكونتيسة عام 1611م. اكتشف المحققون أسماء 650 ضحية في دفتر ملاحظاتها ؛ لقد كانت محاكمتها من أكبر المحاكمات في تاريخ هنغاريا، ولا تزال وقائعها محفوظة حتى اليوم.

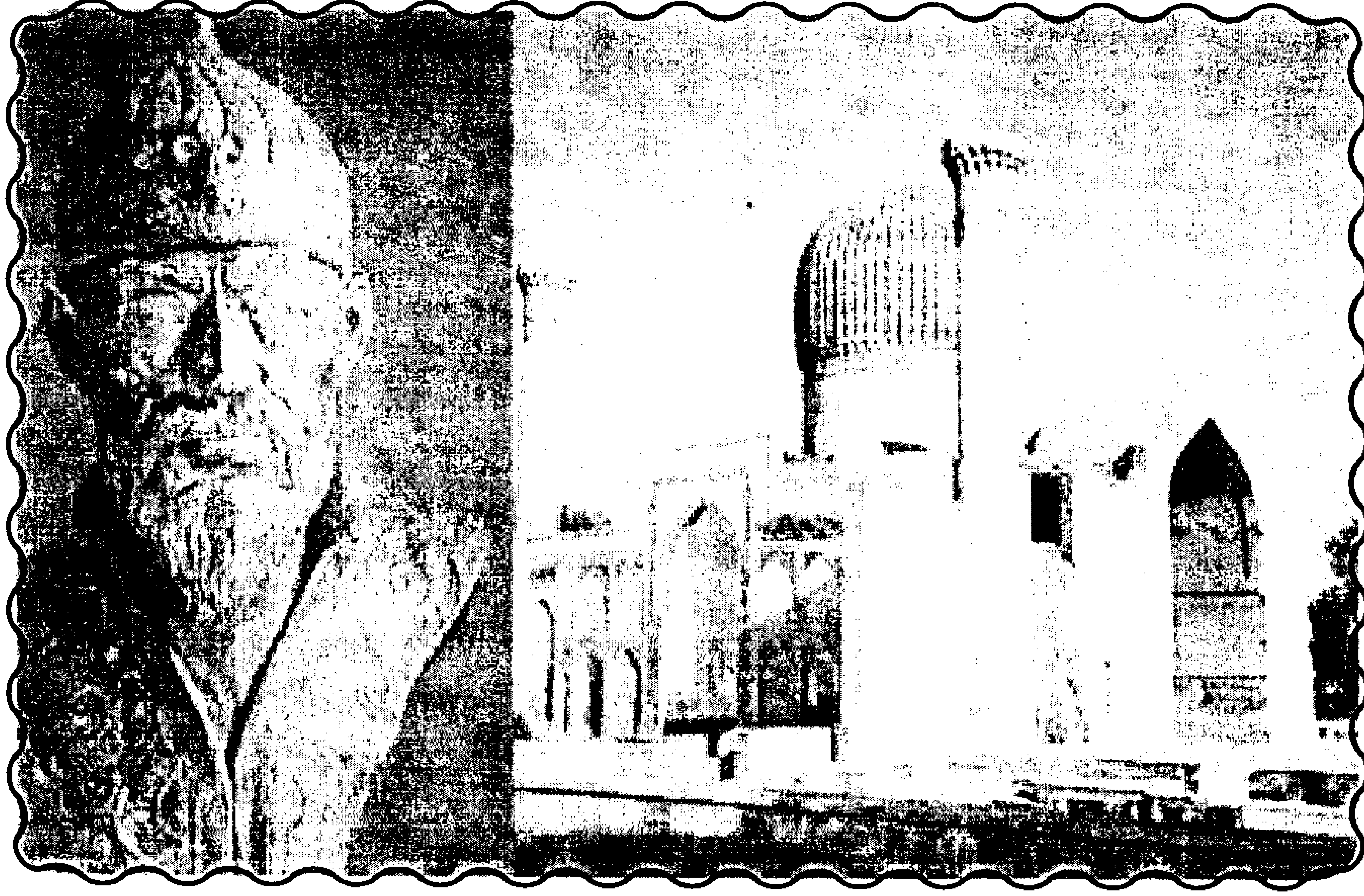
جميع مُعاوني الكونتيسة حُكِم عليهم بالإعدام، تمَّ شنقهم ثم أُحْرِقتْ جُثثهم ؛ لكن الكونتيسة، وبسبب مركزها الاجتماعي لم تُحاكَم .. بل وحتى لم تحضر إلى المحكمة، لكن الإمبراطور أمر بحبسها في قلعتها، حبسوها في غرفة نومها ثم أغلقوا عليها جميع النوافذ والأبواب بالحجارة، وكانوا يوصلون الطعام والماء إليها عبْر فتحة صغيرة في الجدار.

وفي عام 1614م، أي بعد أربعة أعوام على سجن الكونتيسة في قلعتها، عثر حُراسها عليها منكفئة على وجهها في وسط زنزانتها المنزلية وقد فارقت الحياة؛ إليزابيث باثوري أو الكونتيسة الدموية كانت في الرابعة والخمسين حين فارقت الحياة[1]

1- نقلا -ببعض التصرف- عن «أسوأ النساء في التاريخ» [ص/ ٥٥-٦٠] لسلمى مجدي. ومقال: «كونتيسة الدم» المنشور في «مجلة الحطة الإماراتية» العدد ٧٢ - السنة الخامسة عشر - بتاريخ (٢/ ٤/ ٢٠١١م). ومقال: (الكونتيسة مصاصة الدماء) المنشور في الموقع العربي: (Nightmare/ كابوس)، و«أشهر وأغرب وأطرف المحاكمات في التاريخ» [ص/ ٢١٩-٢٢٥]، لأحمد المنياوي.

18

من عجائب جرائم تيمور لنك



تمثال لتيمورلنك، وإلى اليمين صورة للمقبرة التي دُفِن فيها تيمور في سمرقند

تيمورلنك أو تيمور الأعرج هو سلطان التتار الذي كان نِقْمة على العالم الإسلامي، وقام بمجازر وحشية ينْدَى لها جبين الإنسانية رغم ادِّعائه الإسلام والتديُّن.

كان يتلذَّذ ببناء أبراج مُشيَّدة من جماجم ضحاياه:

هو تيمور بن ترغاي السفَّاح المشهور، وُلِد في مدينة «كش» في جنوب سمرقند في يوم 25 شعبان عام 736 للهجرة. وكلمة «تيمور» تعني في اللغة التركية «الحديد» أما «لنك» فتعني «الأعرج»، لذلك يُسمَّى «تيمورلنك» أي تيمور الأعرج.

وهو من القبائل البدوية التركية في بلاد ما وراء النهر أي سمرقند وبُخارَى، ويوم مولده هو بحق يوم شُؤْم في تاريخ العالم الإسلامي، فقد كان نِقْمة على البلدان الإسلامية، ومجازره تشيب لها رؤوس الولدان.

بداية السفّاح:

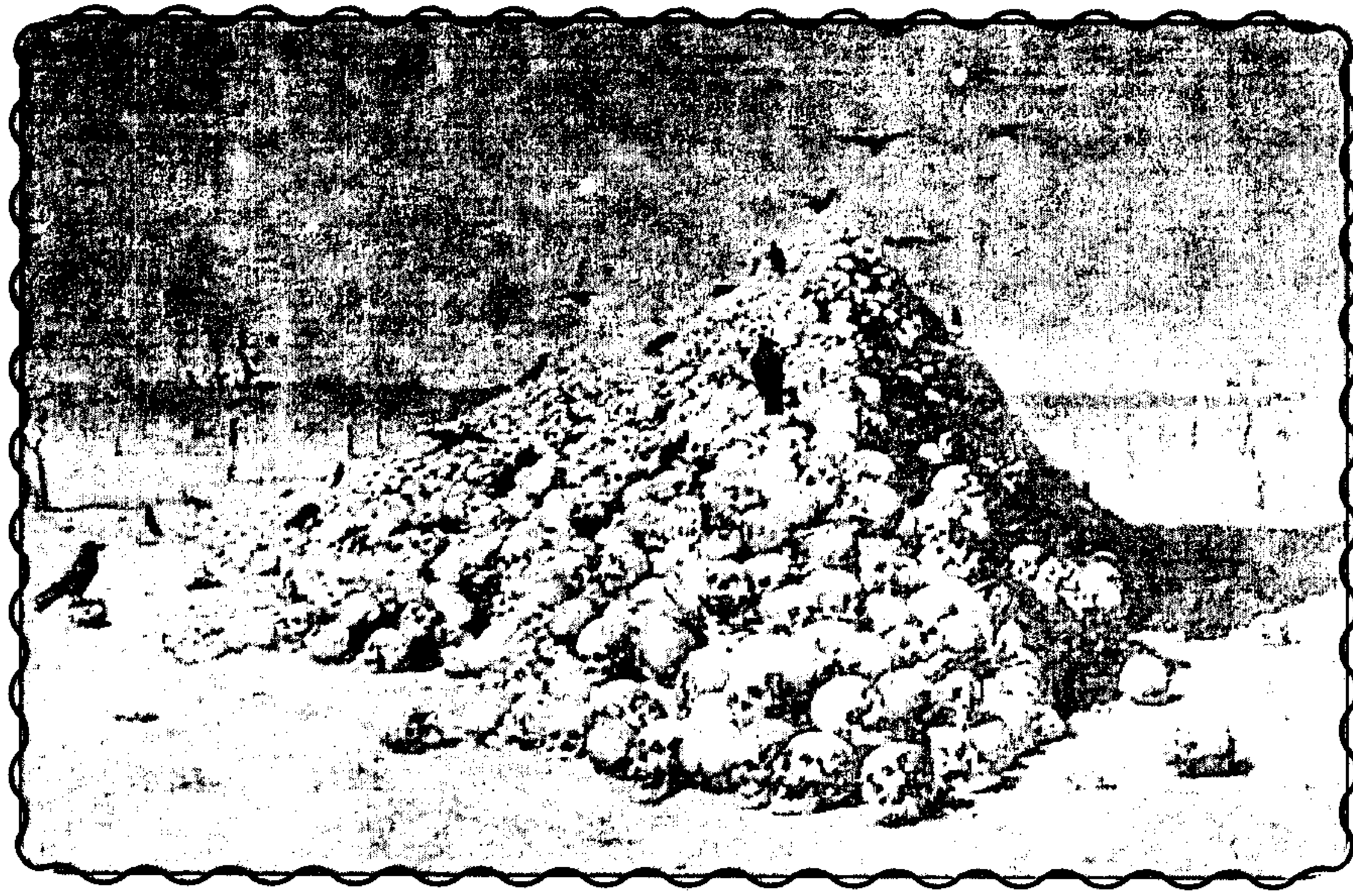
في بداية أمره تمكّن بمساعدة مجموعة من الرعاع والأنذال من السيطرة على سمرقند، ومنها انطلقت فتوحاته الدموية، فسيطر على إيران والعراق وهاجم العثمانيين في الأناضول، وقتل السلطان «بايزيد» كذلك هاجم الهند وروسيا، ووصل إلى موسكو ونهَبَها.

وفي الحقيقة أن حروب تيمورلنك البربرية تحتاج الى كتاب لشرحها، ولكن نكتفي هنا بذكر بعض المجازر والوحشية التي عامل بها البلدان المقهورة، والتي جعلت منه أسطورة مرعبة لا زالت ذِكْراها المريرة في ذاكرة الشعوب إلى اليوم.

أبشع جرائمه

في عام 785 للهجرة هاجم تيمور مدينة «سبزوار» في خراسان، وقد استماتت أهل «سبزوار» في الدفاع عن مدينتهم، ولكن في نهاية الأمر استولى تيمور على المدينة وأمر برفْع الراية السوداء، ومعناها الأمر بالقتل العام الذي استمر حتى الغروب.

ثم أمر بإحصاء القتْلَى من أهل المدينة فكانوا 90 ألف قتيل! عندئذ أجبر تيمور الباقين على قيْد الحياة من أهالي المدينة بفصْل رؤوس القتلى عن أجسادهم، وأمر المعْماريِّين والمهندسين في جيشه بأن يبنوا بُرْجَيْن من هذه الرؤوس، وقد قام هؤلاء بتنفيذ أمره بحيث كانوا يستعملون الرووس كالآجُرِّ (الطوب الأحمر) مستعملين المِلاط (الأسمنت المخلوط بالماء) في ذلك، وتكون سِيماء كل وجْه من وجوه القتلَى إلى الخارج، بحيث أن الناظر يرى بُرجيْن من الوجوه.



وقد جعل الجنود في كل برج دَرَجًا لكي يضيئوا مصباحًا عليه ليلًا، وعندما أكملوا البناء وضع تيمور لوحة أمام كل برج كتب عليها: «بأمر تيمور بُنِيَ هذا البرج من رؤوس أهالي سبزوار».

ولم يكتف تيمور بهذا فأمر بدفْن 2000 رجل من الأسرى وهم أحياء، ثم أمر بتسوية المدينة بالأرض لكي لا تتجرَّأ المُدن الأخرى على مقاومته، وقد توغَّل تيمور بعد ذلك في إيران حتى وصل إلى أصفهان، وقد قام أهلها بمقاومته ببسالة ذكرها المؤرخون في كتبهم، واستعصت المدينة عليه لعدة أشهر لضخامة أسوارها.

ولكنه تمكَّن في النهاية من الدخول إليها، وقد قاومه أهلها من شارع إلى شارع، ومن منزل الى منزل، وقتلوا عددًا كبيرًا من جنوده، فأمر تيمور بتهديم المنازل، وأن يقتلوا كل موجود حيٍّ في المدينة، وأن لا يرحموا امرأة أو طفلا أو عجوزًا، وقد نفَّذ جنوده أوامره بحذافيرها فكانت مجزرة ينْدَى لها جبين الإنسانية.



ويروي المورِّخون أن جنوده كانوا يُبْقِرون بطون الناس ويستخرجون أحشاءهم فلا يجدون فيها إلا القليل من الأعشاب وورق الأشجار الذي أصبح قوت الناس بعد أن أكلوا كل شيء من الخيول والبغال والقِطط والفئران، وقام تيمور بهدْم مسجد المدينة وقتْل مَن فيه.

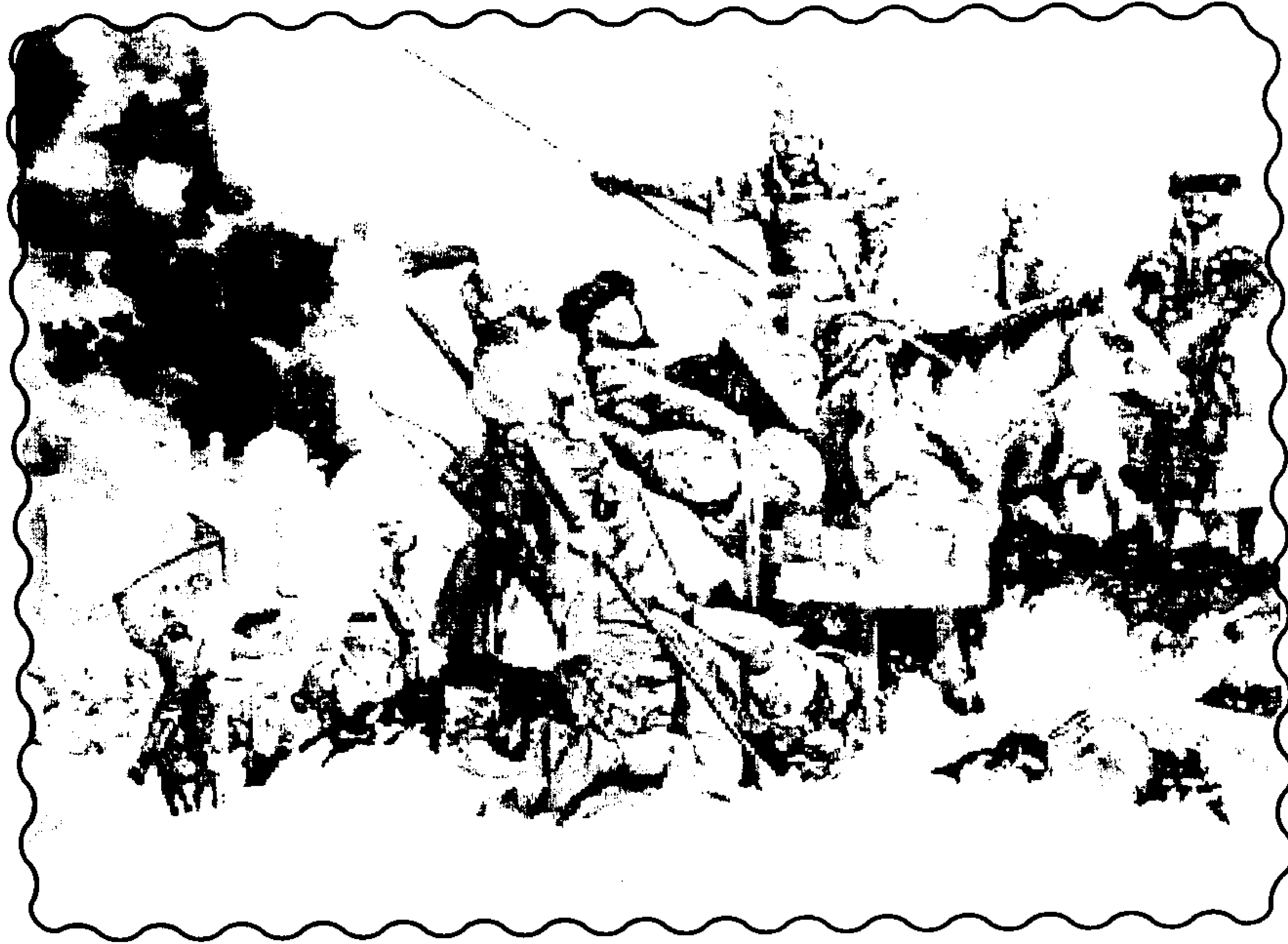
ويُرْوَى أن أحد الشيوخ قام بجمْع الأطفال وجعلهم على طريق تيمور لكي يستميل قلبه ويرحم بالبقية الباقية من أهالي المدينة، ولكن المجرم بدلًا من أن يفعل ذلك قام هو وجنوده بدهْس هؤلاء الأطفال الأبرياء تحت حوافِر خيولهم وقتلَهم جميعًا، ثم أمر تيمور جنوده بأن لا يتوقفوا عن القتل حتى يجمعوا 70000 رأس!

فأخذ الجنود يقطعون رؤوس الرجال حتى لم يبق رجل في المدينة ليقطعوا رأسه فأخذوا يقطعون رؤوس النساء والأطفال حتى جمعوا العدد المطلوب، فأمر تيمور ببناء 24 منارة من هذه الرؤوس تركها خلْفه لكي تكون عبرة لكل من يجرؤ على مقاومته.

وفي طريقه إلى الهند قام تيمور بأسْر 100000 هندي، ويقال: إن معسكره امتلأ بالأسرى حتى أصبح أمْرُ إطعامهم مشكلة كبيرة، وقد قام تيمور بحلِّ هذه المشكلة بسهولة، فقد أمر بقطْع أعناق هؤلاء الهنود جميعًا، حتى إن المؤرخين يرون بأن أنهارًا من الدم قد سالت تحت أقدام تيمور وجُنْده!

وقد وصل تيمور إلى مدينة دِهلي ودمَّرها، وقد ترك وراءه حين غادر الهند عشرات الأبراج المبنية برؤوس قتَلاه المساكين؛ ثم توجَّه تيمور بعد ذلك إلى العراق والشام وقد قام بقتْل عشرات الألوف، ودمَّر حلب وحماه ودمشق وبعلبك.

ثم جاء دَوْر بغداد حيث إن حاكِمَها الجبان السلطان «أحمد الجلائري» فرَّ عنها وترك الناس وحدهم ليدافعوا عن مدينتهم، وقد أبْلَى أهل بغداد فى الدفاع عن المدينة وقتلوا عددًا كبيرًا من جُنْد تيمور، واستمر حِصار بغداد 40 يومًا حتى جُنَّ جنون تيمور من الغضب فأمر جيشه بالهجوم العام، فهاجموا المدينة من كل جهة، واستبسل الأهالي في المقاومة.



ولكن في نهاية الأمر تمكَّن تيمور من الدخول إلى المدينة، وقد أمر جنده أن لا يُبْقوا أحدًا حيًّا فيها، وطلب من كل جندي بأن يأتي برأسيْن ويضعهما أمامه حتى امتلأتْ المدينة بالجثث، وأصبح ماء دِجْلة أحمر من كثرة الدم، ولم يغادر المجرم تيمور المدينة حتى ترك وراءه 120 منارة من رؤوس أهالي بغداد.

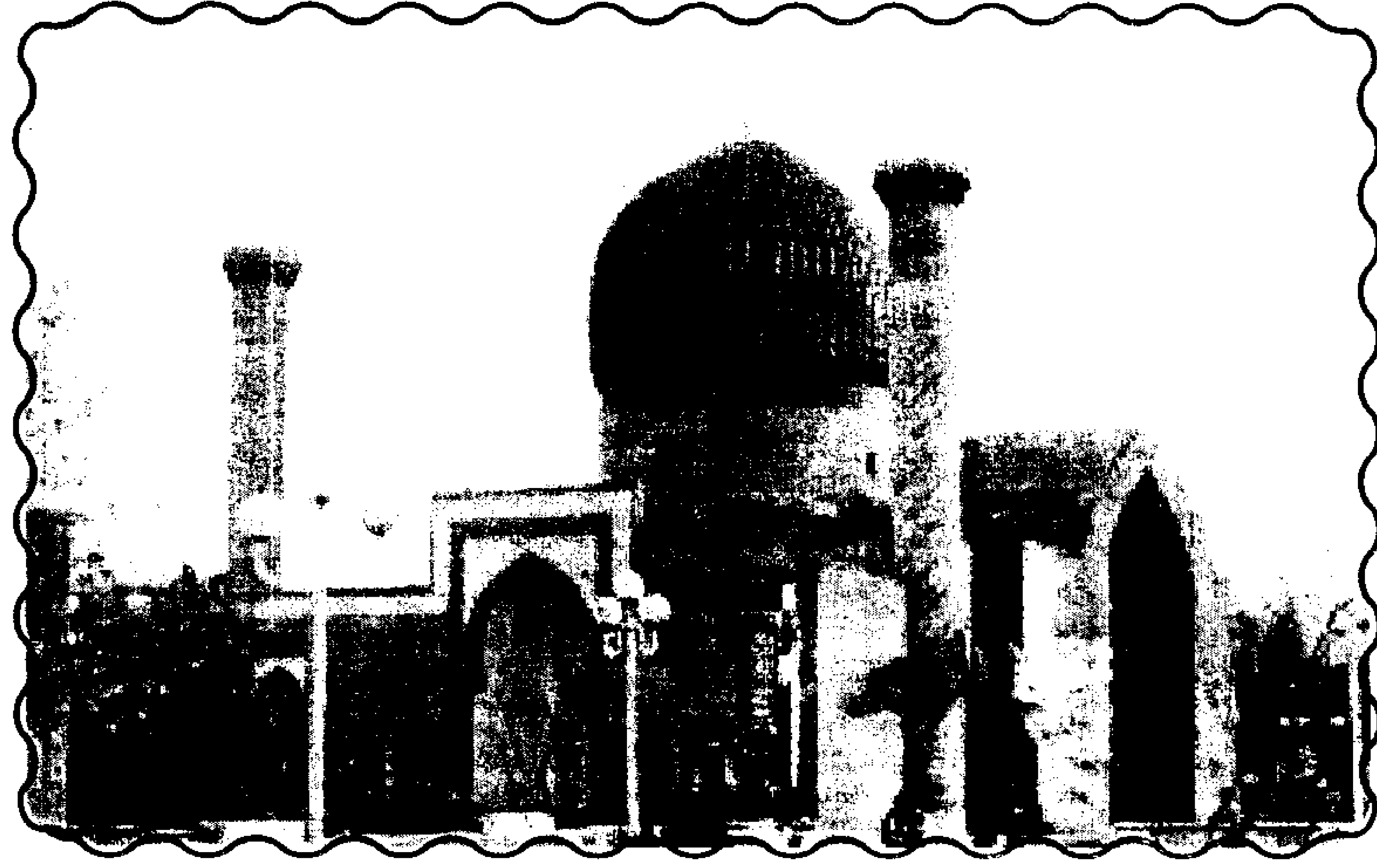
هلاك الطاغية:

ثم توجه تيمور بعد ذلك إلى تركيا وحارب العثمانيين وهزمهم، وأَسَر السلطان «بايزيد» في معركة أنقره، ومن ثَمَّ عاد إلى سمرقند حيث كان يريد أن يهاجم الصين، ولكن الموت لم يمهله كما لم يُمْهِل الكثير من القَتلَة والمجرمين من قبْله، فلنقرأ في هذه الأسطر وصْفَ أحد المؤرخين المرافقين له وهو ابن عربشاه[1] فيقول ما معناه: إن تيمور كان في مأْمَن من البرْد، ولكنه أحسَّ ببرودة كالصَّقيع داخل جسمه، فأمر بأن يمزجوا له الأشربة المُدفِّئة، والأدوية المُنشِّطة، ولكنها لم تنفعه بشيء، وقَبَع في فراشه لا يسأل ولا يعلم بأمور جيشه ودولته، ثم جَمَع الأطباء وأخبرهم بعِلَّته، فقام هؤلاء وفي أشد أيام الشتاء بُرودة بوضْع الثلج على بطنه وخاصرته.

وعلى هذه الحال ولثلاثة أيام كان يتقيَّأ دمًا من فمه، وكان يتلوَّى من الألم ويطلب المساعدة من جميع من حوله، ولكن هيهات أن ينقذه أحد من مصيره الأسود، وجاء النداء: أيتها النفس الخبيثة هيَّا إلى نار جهنم، لتُحْشَري مع بقية الأرواح المجرمة والقذرة، ويااليتكَ كنتَ معي حينها لتراه كالبعير المعقور (المذبوح) يتلوَّى ويداه تُمْسِك برقبته، ووجهه ينْضَح دمًا، ولعناته تضجُّ إلى السماء.

1- هو مؤرخ أديب، وقد دوَّن وقائع تيمور في كتاب مهم بعنوان: (عجائب المقدور في أخبار تيمور) وقد فرغ من كتابة الكتاب في القاهرة نهار الثلاثاء ١/ ربيع الأول/ ٨٤١هـ. وأودع فيه سيرة تيمور لنك الغدار الجبار (كما يَنْعَتُه) مفصلاً وقائعه وفظائعه التي امتدت (٣٦) سنة، منذ انقلب على السلطان حسين سنة (٧٧١هـ) وحتى وفاته سنة (٨٠٧هـ)

قال الباحث الفاضل الأستاذ زهير ظاظا يصف هذا الكتاب: «كتاب نفيس، رصين العبارة، في أسلوبه ما لا نجده في أساليب معاصريه، من التألُّم للمسلمين وأحوالهم، وبعْث الحماس فيهم للخروج على طغاتهم، والاعتدال في ذم من يستحق الذم من طوائف المغول وجيوشها، ومدْح من يستحق المدح من فضلائهم وعلمائهم، وكأنه واحد من رجال النهضة الإصلاحية في أواخر القرن التاسع عشر». وقد طُبع هذا الكتاب عدة طبعات قديماً وحديثًا. ولا غِنَى عنه لمن يريد المزيد من التعرُّف على أحوال «تيمور لنك» ذلك المجرم الخطير!



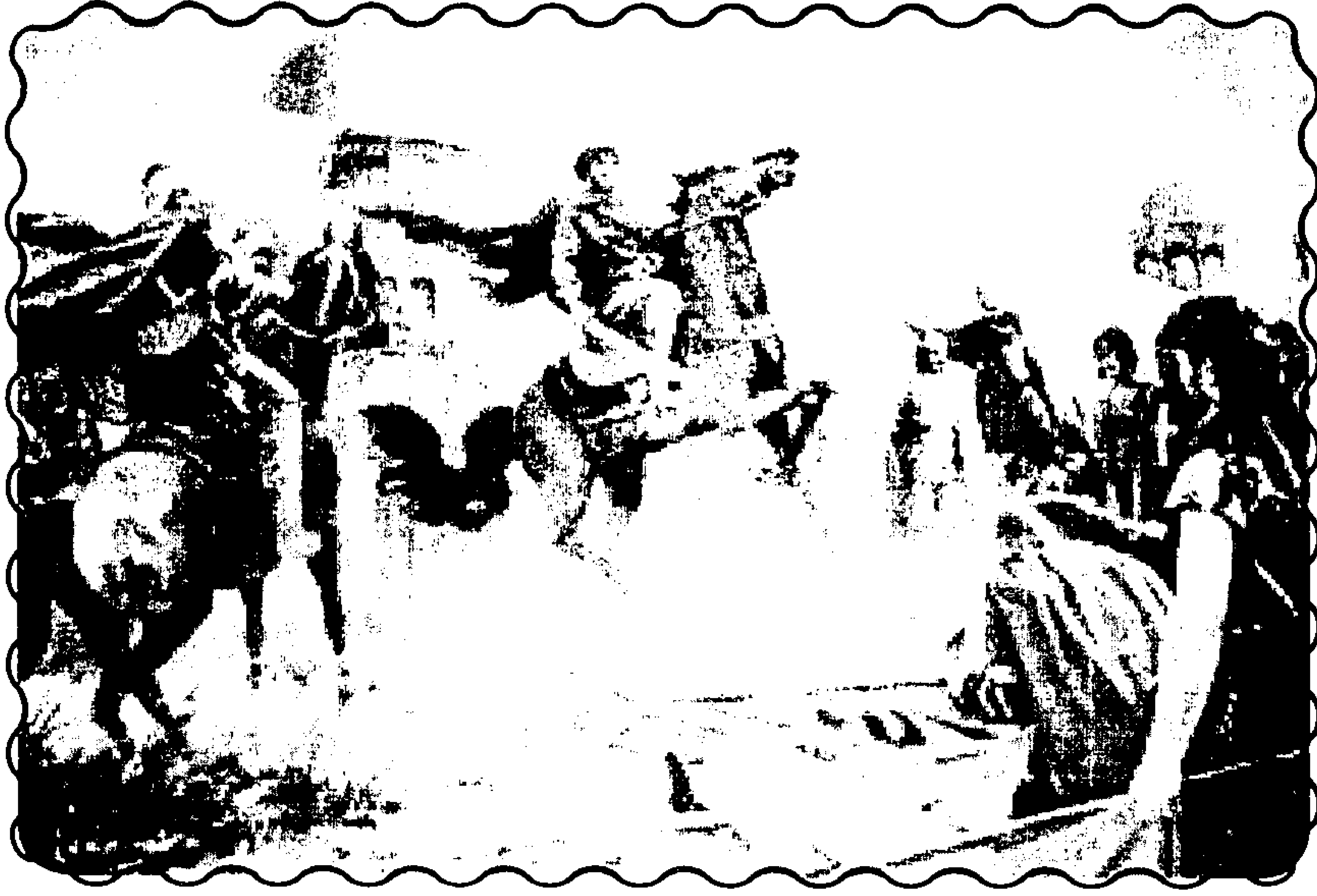
ضريح تيمور لنك بسمرقند

هذا الذي ذكرناه قطرة في بحر من جرائم تيمور، ولمن يريد المزيد من التفاصيل عليه بالرجوع الى كتب المؤرخين ليعلم حجْم الإجْرام الذي قام به، وكم قتل من الناس، وكم من المدن حاصرها حتى أصبح من بداخلها يأكلون أطفالهم، ويأكل الزوج زوجته، وتأكل الزوجة زوجها، ثم دمَّر البيوت والمدن على رؤوس أصحابها وترك خلفه أبراج الموت المبنية من رؤوس ضحاياه، ولوحة كتب عليها: «هذا جزاء من يعصي تيمور»

والمضحك في الأمر أن تيمور كان مُتدَينًا كما يذكر المؤرخون، وأنه كان يحترم العلماء والحِرفيِّين وكان لا يقتلهم، وأنه كان يحمل مع جيشه مسجدًا متحرِّكًا ليؤدِّي فيه الصلاة، وأنه كان حافظًا للقرآن، ويدخل في مناقشات دينية مع العلماء.

أما جيشه فكان من رعاع الناس ومن طُلَّاب الغنائم ممن لا يتورَّعون عن اقتراف أيَّة جريمة، ويُرْوَى أنه كان هناك الكثير من النساء في جيشه حيث كُنَّ يُحرِّضْن الرجال على الحرب، وكُن يقاتلن مع الجيش ويَقُمْن بأعمال القتل بأيديهن، وكانت إحداهن إذا أتاها المخاض (آلام الولادة) تبتعد عن الجيش وتضع طفلها ثم تلفُّه بالقُماش وتضعه على ظهرها وتلتحق بالركب [1] .

1- ذكر ذلك ابن عربشاه في كتابه «عجائب المقدور في أخبار تيمور» [ص/ ٤٨٦/ طبعة مدينة كلكتا=



أوصاف تيمورلنك

أما تيمور فيصفه المؤرخون بأنه كان ضخم الجُثَّة جميل السِّيماء، وكانت يده اليسرى مشلولة من نتيجة ضربة سيف، وكذلك كان جسده مُعوَجًّا نتيجة للعَرَج الذي كانت تُعانِي منه إحدى رجليه، وقد أثبت علماء التاريخ الرُّوس هذه الحقيقة عندما قاموا بفتْح قبْره الموجود في سمرقند، حيث وجدوا هيكله العظْمي في التابوت، وقد كان شَعْره طويلًا، وسِيماته تجمع سِمات الجِنس المَغُولي والتركي.

= سنة ١٨١٧ م.] فقال: «وكان في عسكره كثير من النساء يَلِجْنَ معامع الهيْجاء، ووقائع البأساء، ويقابلْن الرجال، ويقاتلن أشد القتال، ويصنعن أبلغ ما يصنع الفحول من الرجال في النِّزال، من طعْن بالرُّمح وضرْب بالسيف ورشْق بالنِّبال، وإذا كانت إحداهن حاملاً وأخذَها وهم سائرون الطَّلْق، تنحَّتْ عن الطريقَ واعتزلت الخَلْق، ونزلت عن دابتها ووضعتْ حمْلها، ولفَّتْه وركبت دابتها وأخذتْه ولَحقتْ أهلها».



«تيمور لنك على عرشه»
لوحة منغولية تعود للقرن الثامن عشر
(المكتبة الوطنية- باريس)

نعم كان هذا الوحش الذي ترتعش لِذِكْر اسمه القلوب هيكلًا عظْميًّا مُمَدَّدًا في تابوت من الخشب يُقلِّب العلماء جُمْجمته وعظامه كما يشاؤون، وهو الذي لم يكن أحد يجرؤ على النظر الى وجهه! فسبحان قاهر الجبابرة[1] .

1- نقلا -ببعض التصرف- عن مقال: (تيمورلنك سلطان التتار) المنشور في الموقع العربي: (Nightmare/ كابوس)، ومقال: (تيمور لنك) المنشور في الموقع العربي: (مكتبة التاريخ) بتاريخ(٢٥/ ٢٠١٢م). و«عجائب المقدور في أخبار تيمور» لابن عربشاه.

19

مزرعة الأطفال...
من أبشع جرائم العصر الفيكتوري [1]



إيميليا داير .. حاشا أن تكون من النساء !

1- العصر الفيكتوري: هو حِقْبة تاريخية في المملكة المتحدة البريطانية تميَّز بكونه كان قمة الثورة الصناعية في بريطانيا، وأعلى نقطة في الإمبراطورية البريطانية، وهو يشير إلى فترة حُكْم الملكة فكتوريا التي كانت حاكمة بريطانيا بين ١٨٣٧م-١٩٠١م.
وقد امتلأ هذا العصر بالألغاز والجرائم والحكايات التي يختلط فيها القديم بالحديث، كأنها بوابة تفصل ما بين عالَمَيْن .. القرون الوسطَى من جهة، وعصر النهضة الصناعية والعالم الحديث من جهة أخرى. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» مادة: «الأدب الفيكتوري». ومادة: «الممكلة المتحدة ... سنوات التقدُّم (١٨٣٧ - ١٩٠٦م) ..».

لعل أكثر الجرائم التي يستبشعها الناس هي تلك التي تطال الأطفال، حتى في المعتقلات والسجون حيث يعيش أعتَى المجرمون، فهناك يُنْظَر لقتَلَة ومغتَصِبي الأطفال باحتقار كبير.

فالطفل مخلوق بريئ وطاهر لم تُلوِّثْه الشهوة بعد، وهو فوق ذلك عاجز عن دفْع الأذى عن نفسه والذَّبِّ عن كيانه، وهو لذلك يكون موضع عطْف وعناية معْظَم الناس، باستثناء فئة قليلة مريضة جعلت منه هدفًا وغرضًا لنزواتها وجشعها.

كتلك «الحَيْزَبُون» الشريرة التي سنحدثكم عنها اليوم، والتي وجدت ضالتها في الظروف الصعبة التي فرضها المجتمع على بعض النسوة فاستغلَّتْ ذلك أبشع استغلال؛ لكن الغرض من قصتنا هذه لا ينحصر في وصف دناءة وسفالة تلك المجرمة المأفونة، بقدر ما يسعى إلى تصوير قسوة المجتمع وعدم تسامحه، خصوصا مع المرأة، فضحايا قصتنا هذه لم يكونوا ضحايا الطمع والجشع فقط، بل هم أيضا ضحايا انعدام الرحمة والنفاق الاجتماعي.

كانت ليلة ماطرة حالكة الظلام حين جلست «إيفيلينا مورمون» قُرْب مهْد طفلتها الرضيعة ذات الشهرين، أخذت تحْدِق إلى ذلك الوجه الملائكي الصغير بوجه يَقْطُر أسًى وحُزْن، تزاحمت في رأسها المخاوف والآمال، وتنازعت نفسها المضطربة مشاعر متناقضة ما بين اليأس والرجاء.

ثم سرعان ما تداعتْ تحت وطأة ذلك البحر المتلاطم من الأفكار ففاضت عينها بالدمع وضجَّتْ روحها بالآهات، وامتدت يدها المرتَجِفة بلهَفة تحْمِل الصغيرة النائمة وتضمُّها إلى صدرها بقوة كأنها تخشى أن ينتزعها منها أحد.

احتضنتْها واستغرقتْ في نحِيب طويل، وراحت تتأمل الأقدار التي حملتْها من مزرعة والدها الفلاح البسيط إلى المدينة الكبيرة التي تعجُّ شوارعها بالناس وتزدحم أرصفتها بالحوانيت والبضائع ..

المدينة الصاخبة التي تلقَّفتْها وحوَّلتْها من فتاة قرَوية مغمورة إلى ساقية للخمر في إحدى حاناتها الفاجرة، وما لبث شعرُها الأشقر وقوامُها المَمْشُوق، وحُسْنها الفائق أن جذب إليها أعين وأفئدة الرجال، فراحوا يخطبون ودَّها بالهدايا والأموال، ولم تُبْد هي كبير مقاومة، بل استسلمت سريعًا لبريق المال والكلمات المعسولة والوعود الكاذبة، وسرعان ما تمخَّضت علاقاتها العابرة عن طفلة جميلة أسْمتْها «دوريس».

إيفيلينا أحبَّتْ طفلتها حُبًّا جمًّا، لكن الاحتفاظ بطفلة غير شرعية في إنجلترا القرن التاسع عشر لم يكن بالأمر الهيِّن، فالمجتمع المحافظ آنذاك كان ينظر للأمهات العازبات بعين الرِّيبة والاحتقار.

والكثير منهن وجدْن أنفسهن مُجْبَرات على التخلُّص من أطفالهن درْءًا للفضيحة والعار، فعَلْن ذلك بطرق وأساليب شتى، حسب إمكاناتهن المادية وحالتهن الاجتماعية، أسهل تلك الطرق كانت تتمثَّل في نبْذ الطفل خِلْسة عند ناصية رصيف، أو على باب كنيسة أو مؤسسة خيرية، كانت الأم تترك طفلها للحظ والقَدَر، فقد يجده شخص ما ويعتني به، أو قد يُصبح طعامًا للكلاب والقِطَط المُشرَّدة!.

أمهات أُخْرَيات، يمتلكن العزْم والمال، اخترْن مصيرًا مغايرًا لأطفالهن، عن طريق عرضهم للتبنِّي، وقد جرتْ العادة في ذلك الزمان على أن يُقدِّم الأب أو الأم مبلغًا من المال لمن يتبنَّى طفلهما، وأدَّى هذا الأمر بالتدريج إلى نُشوء تجارة ومهنة ارتبطت مباشرة بتربية الأطفال غير المرغوب فيهم، مهنة ظاهرها رحمة وباطنها شَرٌّ ونِقْمة..

مزارع الأطفال:

كان هناك عدد كبير من الأمهات العازبات في إنجلترا العصر الفيكتوري، من فئات وطبقات شتى .. بنات ليْل .. عاملات مصانع .. فلاحات .. أرامل .. وحتى بعض سيدات المجتمع الراقي اللواتي تمخضت نزواتهن الغرامية عن الحمْل والولادة.

لكن الشريحة الأوسع شكَّلتْها الخادمات، كان هناك الكثير منهن يعملن ويعشْن في

منازل الطبقة الوسطى والنبيلة، والعديد منهن أقمن علاقات جنسية مع أسيادهن برغبتهن أو مجبرات، وأدَّتْ نسبة كبيرة من تلك العلاقات إلى الحمْل، فنحن هنا نتكلم عن القرن التاسع عشر، حيث لم تكن وسائل منْع الحَمْل متنوِّعة وفعَّالة كما هي عليه في أيامنا هذه.

وحتما ما كان أغلب الأسياد ليعترفوا بأطفالهم غيْر الشرْعيين الذين وُلِدُوا خارج إطار الزواج نتيجة علاقة آثمة أقاموها مع خادمة، لم يكن الأمر بالنسبة لهم سوى فضيحة يجب إخفاؤها بأي وسيلة، ولأن الحاجة هي أُمُّ الاختراع، لذا لا عجب أن تُؤدِّي حاجة الأسياد الملحَّة في طمْس آثار نزواتهم الطائشة إلى ظهور مهنة رائجة تقوم على الاعتناء بالفتيات والنساء الحوامل في منازل بعيدة عن أعين المتطفِّلين حتى يفْرَغْن من حملهن.

ثم كانت الأم تغادر مباشرة بعد الولادة لتواصل حياتها كأن شيئًا لم يكن، أما وليدها غير الشرعي فكان غالبًا ما يُتْرَكُ في تلك المنازل والملاجئ للاعتناء به مقابل المال، ونادرا ما كانت الأم تعود لتفقُّد طفلها .. فقد كانوا أطفالًا للنسيان لا يتذكرهم أحد.

وقد تهكَّم الناس على تلك الأماكن التي يُربَّى فيها الأطفال غير المرغوب فيهم فأطلقوا عليها اسم: «مزارع الأطفال» (baby farm)، لأنها كانت فعلا أشبه بمزارع الدواجن والأبقار، مع فارق أنها لم تكن تضم بهائم ولا حيوانات، وإنما أطفالا من البشر نبذهم آباؤهم وأمهاتهم.

لذا لا عجب أن تُساء معاملتهم ويتعرَّضون لصنوف الإهمال والعذاب، وقد تكون الصورة التي رسمها لنا الكاتب الانجليزي الكبير «تشارلز ديكنز» في روايته الشهيرة «أوليفر تويست» هي خير توصيف حيٍّ ودقيق لحالة البُؤْس التي عاشها أولئك الأطفال المساكين.

لكن بالطبع لم تكن جميع المزارع على حدٍّ سواء، ففيها الغثُّ والسمين، فقد كانت هناك مزارع وملاجئ جيدة تُدار بإشراف وتمويل من الكنيسة والجمعيَّات الخيرية في عموم أوربا، وفي المقابل كانت هناك أيضا مزارع خاصة أسوأ بكثير من مزرعة السيدة «مان» في رواية أوليفر تويست، ففي عام 1970م. مثلا، حُوكِمَتْ امرأة تُدْعَى «مارغريت وترز» بتهمة قتْل أكثر من 19 طفلا في مزرعتها، ثم أُدِينَتْ وأُعْدِمتْ.



أوليفر تويست .. يطْرُدُ طفلا لأنه طلب مزيدًا من الطعام

مهْنة إنسانية أم تجارة ؟

لا يخْفَى على أيِّ إنسان حصيف عرَك الحياة وعَركتْه، بأن صفة الخيْرية والإنسانية تنتفِي تلقائيًّا عن أيِّ عمل تخالطه وتَشُوبه غاية الرِّبْح والتكسُّب، فلا يمكنك أن تُشَيِّد مستشفى أو ملجأ أو روضة للأطفال ثم تضع كلمة «خيري» على واجِهة ذلك البناء، بينما هدفك الأصلي منه هو جَنْيُ الأرباح الطائلة، إذ لا يمكنك أن تكون أنانيًّا ومضِّحيًا في آن واحد.

وعليه فإن مزارع الأطفال التي أُنْشِئتْ لغاية التكسُّب كانت بالطبع الأسوأ والأشنع في مجال عملها، وكانت هذه المزارع تجْني المال من عدة مصادر، فبالإضافة إلى التبرُّعات والهبات من الأثرياء والمُحسنين، كان أهل الطفل يدفعون أيضا، إما بشكل دوْري، أيْ في كل موسم أو سنة، وإما على شكل مبلغ مقطوع، أي مرة واحدة عند استلام الطفل، وهذه الأخيرة كانت هي الطريقة الفُضْلَى.

وهذا المبلغ المقطوع كان يتراوح ما بين 10 – 80 جنيهًا إسترلينيًّا، وهو مبلغ كبير في حساب تلك الأيام، لكنه لم يكن ليَسُد تكاليف العناية بالطفل لفترة طويلة، لذا كانت صاحبة المزرعة تحاول الادِّخار عن طريق تقليل كمِّية الطعام المقدمة للأطفال.

وهكذا فإن موت الكثير منهم جُوعًا لم يكن بالأمر المفاجئ. كما أن مسألة العناية بعدد كبير من الأطفال معا في منزل واحد لم تكن بالمهمة السهلة، فكان إهمال الأطفال أمرًا شائعا في تلك المزارع سيِّئة الصِّيت.

وغالبًا ما كانت صاحبة المزرعة تتخلَّص من عناء مراقبة الأطفال والعناية بهم عن طريق سقْيهم بكمِّيات كبيرة من المُسكِّنات الرخيصة المصنوعة من الأفيون، وهي مُسكِّنات قوية كانت رائجة الاستعمال في ذلك الزمان، كانت تجعل الأطفال ينامون كالملائكة لساعات طويلة، وما كان الطفل يصحو قليلا من تأثير المخدر حتى يُسْقَى به مرة أخرى، وهكذا فإن الموت نتيجة التسمُّم بجرْعات زائدة كانت هي النهاية الحتمية لحياته.

نسبة موت الأطفال جرَّاء سوء التغْذية والمرَض والإهمال كانت كبيرة كما أسلفنا، لكن بعضهم كانوا يموتون لأسباب أخرى، فبعض صاحبات المزارع قرَّرْن اختصار الطريق مرة واحدة، فبدلًا من انتظار الموت البطيء للطفل جرَّاء الجوع والمُخدِّر، كانت صاحبة المزرعة تقوم بقتْل الطفل مباشرة بعد استلامه من أُمه، عن طريق خنْقِه أو إغراقه أو تسْمِيمه، وبهذا كانت تحتفظ بكل المبلغ الذي أخذتْه من دون أن تصرف منه أي شيء على الطفل.

المصيدة:

بالعودة إلى المسكينة «إيفيلينا»، فقد احتضنت طفلتها وبكَتْ طويلا في تلك الليلة المشؤومة، كأنما أرادت أن تُهيِّئ نفْسها لفراق مُؤْلم وطويل، فهي مثل العديد من الأمهات العازبات، توصَّلت بعد صراع نفسي مرير إلى قرار عرْض طفلتها للتبنِّي، لم يكن أمامها خيار آخر، كان عليها أن تعمل لتعيش، وما كانت لتستطيع العمل بوجود طفلة، وقد منَّتْ نفسها باسترداد الطفلة بعد شهور عدة حين تتحسَّن أمورها المادية.

«إيفيلينا» نشرت إعلانا مقْتَضبًا في إحدى الجرائد المحلية تقول فيه: «مطلوب .. امرأة محترمة للاعتناء بطفل رضيع».

وتشاء أقدار الله أن تتضمَّن نفْس تلك الجريدة، وفي نفْس الصفحة، تحت إعلان «إيفيلينا» مباشرة، إعلانا آخر يقول: «زوجان من دون عائلة يسكنان في منزل رِيفي جميل يرغبان بتبنِّي طفل بصحة جيدة. المبلغ المطلوب، 10 جنيهات».

وكان ذلك الإعلان مُذيَّلًا باسم «السيدة هاردنك». وفوْر قراءتها لهذا الإعلان شعرت المسكينة «إيفيلينا» بأن السماء قد استجابت لرجائها سريعًا، فكتبت للسيدة «هاردنك» تعرض عليها تبنِّي طفلتها «دوريس».

ولم تمض سوى أيام قلائل حتى استلمت برقيَّة جوابِيَّة من السيدة «هاردنك» تقول فيها: «سأكون سعيدة جدا لتبنِّي طفلة صغيرة محبوبة، طفلة أُربِّيها وتكون بمثابة ابنتي .. نحن أُناس بسطاء وحالتنا جيدة، أنا لا أريد الطفلة من أجل المال، ولكن من أجل الرفْقة والسعادة المنزلية .. أنا وزوجي مُولَعان بالأطفال، ليس لدينا طفل من صُلْبنا، لهذا ستنعم الطفلة معنا بحَنان العائلة ودِفْء المنزل».

هذا الرد بعث الطمأنينة في نفس «إيفيلينا»، شعرت بالسعادة لأن كل شيء أتى مطابقًا لما تمَنَّته، باستثناء مسألة المال، فإيفيلينا أرادت أن تدفع مبلغًا شهريًّا للعناية بابنتها، وكان غرضها من ذلك هو البقاء على اتصال مستمر معها، فمن يدري .. ربما تتحسَّن أحوالها فتتمكن من استعادتها قريبا.

لكن سرعان ما خاب ظنها، فالسيدة «هاردنك» أصرَّت على تسلُّم مبلغ العشرة الجنيهات مرة واحدة ومدفوعة بالكامل، وقد رضخت «إيفيلينا»، في النهاية أقنعتْ نفسها بأنه لا ضيْر من ذلك مادامت تملك عنوان السيدة «هاردنك».

وخلال أسبوع واحد فقط على تبادلهما للرسائل، وصلت السيدة «هاردنك» إلى بلدة شلتنهام حيث تعيش «إيفيلينا»،، أتتْ لاستلام الطفلة والمال، وقد شكَّلتْ رؤيتها مفاجأة

وصدمة حقيقية، فقد كانت سيدة متقدِّمة في السِّنِّ، قاسية الملامح، لم تكن بالصورة التي رسمتْها «إيفيلينا»، في مُخيِّلَتها، لكن تلك الهواجس التي دارت في نفسها سرعان ما تبدَّدتْ حينما شاهدت طريقة تعاملها مع الطفلة، فقد بدتْ في غاية الرقة والحنان. وهكذا تمَّ كل شيء بسرعة، فبعد أن استلمت الطفلة ومبلغ العشرة الجنيهات مع حقيبة كاملة من الثياب للطفلة، أرادت السيدة «هاردنك» المغادرة سريعًا للّحاق بالقطار، لكن «إيفيلينا»، المسكينة لم تُطِق مفارقة طفلتها بسهولة، بدا كأن جزءًا من روحها يغادر مع دوريس، لذا أصرَّتْ على مرافقة السيدة هادرنك إلى المحطة، بل وركبت معها القطار حتى المحطة التالية.

هناك ودَّعتْ ابنتها بالدموع والحسرات ثم قفَلتْ عائدة إلى مسكنها وهي امرأة محطَّمة بالكامل. وبعد أسبوع استلمت رسالة من السيدة «هاردنك» تخبرها بأن كل شيء على ما يرام، وبأن «دوريس» تنْعَم معها بالسعادة والأمان.

لندن .. فندق الموت:

على العكس من ادعائها، فالسيدة «هاردنك» لم تتوجه إلى منزلها الريفي المزعوم، بل ذهبت بالطفلة إلى العاصمة لندن، مضتْ خلال الشوارع المبلَّلة بالمطر حتى وصلت إلى فندق قديم عند أطراف المدينة.

هناك في إحدى الغُرَف كانت تنتظرها فتاة شابة في العشرينيات من عمرها تناولت الطفلة منها ومدَّدتْها على طاوِلة خشبية قذرة كانت تتوسط الغُرفة، أما السيدة «هاردنك» فقد انحنتْ والتقطت حقيبة صغيرة من تحت السرير، قلبتْ محتوياتها بيدها قليلا ثم أخرجت منها شريطًا لاصقًا أبيض اللون استلَّتْ جزءًا منه بيدها.

ثم تقدمت نحو الطفلة وطوَّقت عنقها النحيل بذلك اللاصق، أحْكَمَتْ لفَّه مرتين ثم عقدتْه بقوة، وحين انتهتْ من ذلك ارتمَتْ على الكرسي الوحيد الموجود في الغرفة

ترتاح من وَعْثَاء السفَر وراحت تتبادل أطراف الحديث مع الفتاة الشابة التي لم تكن في الحقيقة سوى ابنتها الوحيدة «بولي».

أما الطفلة المسكينة، فقد ظلَّتْ تتخبط وتنتفض على الطاوِلة بينها، تغيَّر وجهها الرقيق الجميل بالتدريج ثم شابتْه زُرْقَة، لم تتمكن حتى من الصراخ، ماتتْ بِبُطْء وصمت وسط ثرثرة السيدة «هاردنك» وابنتها، ثرثرة لم تخل من قهقهة هنا وضحكة هناك، فبالنسبة للأم القاتلة وابنتها كان منظر موت الطفلة شيئا روتينيًّا وعاديًّا. فتلك لم تكن المرة الأولى التي تقدمان فيها على هذا العمل الدنيء .. ولن تكون الأخيرة طبعا.

وما أن توقفتْ «دوريس» عن التنفُّس وغادرتْها الحياة حتى نزعوا ملابسها عنها ثم قامت «بولي» بِلفِّ جثتها بِخِرَق الحفَّاضات ودسَّتْها داخل حقيبة أخفَتْها لاحقًا تحت السرير.



وفي صباح اليوم التالي غادرت السيدة هاردنك مُجدَّدًا، ألقت التحية على صاحبة الفندق الشابة وقدمت لابنتها الصغيرة ثوبين من أثواب دوريس

كهدية، أما باقي الثياب فقد وجدت طريقها لاحقًا إلى مَتْجَر الثياب المستعملة. ولم تغب السيدة «هاردنك» عن الفندق طويلا، عادت عصر ذلك اليوم وهي تحمل صيدًا جديدًا، هذه المرة طفلاً عمره 13 شهرًا سرعان ما أجهَزَتْ عليه بنفس الطريقة التي قتلت بها «دوريس» في اليوم السابق.

ومرة أخرى قامت بولي بِلفِّ جثة الطفل بالحفَّاضات ثم دسَّتْها إلى جانب جثة «دوريس» داخل الحقيبة القماشية التي حملتْها معها مساء ذلك اليوم حينما غادرت الفندق برفقة أمها، فالسيدة «هاردنك» لم تكن تُطيل المُكوث في مكان واحد لفترة طويلة لئلا يفتضح أمرها، وكالعادة أجزلت الأُجْرة والبقْشيش لصاحبة الفندق الغافلة عن حقيقة ما جرى في فندقها من جرائم فظيعة، ثم مضتْ مع ابنتها إلى المحطة، ركبتا القطار إلى بلدة «ريدنج» القريبة من لندن، هناك حثَّتا السيْر بخُطًى مَسْرعة ومُحْترسة حتى وصلَتا إلى بقعة خالية ومظلمة على ضفاف التايمز، لبَثَتا لفترة حتى تأكَّدتا من خُلُوِّ المكان، ثم قامت «بولي» بربْط الحقيبة إلى حَجَر وتعاونت مع أمها في إلقائها إلى مياه النهر الباردة.

وفيما كانت «ايفيلينا» الحزينة تُروِّح عن نفْسها بتخيُّل الحياة الهانئة السعيدة التي تنعم بها طفلتها في منزل السيدة «هاردنك» الرِّيفِي الجميل، كانت جثة «دوريس» تغوص إلى قاع نهر «التايمز» في حقيبة رخيصة من القُماش!

من هي السيدة هاردنك ؟

اسمها الحقيقي هو «إيميليا داير» (Amelia Dyer)، ولدت عام 1838م. في بلدة صغيرة بالقرب من مدينة «بريستول» الإنجليزية، كانت الأصغر من بين خمسة أشِقَّاء، وعلى العكس من معظم المجرمات والقاتلات المحترفات، فإن «إيميليا» لم تُعانِ من الفقر والتفكُّك الأُسَري في طفولتها، بل وُلِدتْ في عائلة ميسورة الحال، حيث كان والدها يمتلك مصنعًا للأحذية.

وقد حَظِيَتْ بتعليم جيد في صغرها وعُرِف عنها وَلَعُها بالأدب والشعر، لكن الشيء

الوحيد الذي نغَّص طفولتها وترك أثرًا كبيرًا في نفسها هو مرض أمها بالتيفوس الذي أفقدها صوابها قبل أن يقضي عليها تمامًا عام 1848م.

«إيميليا» غادرت منزل العائلة بعد موت والدها عام 1861م. إثْر خلاف نشَب بينها وبين أشقائها حول الميراث، وسرعان ما تزوجت برجل يكبرها بثلاثين عامًا، ثم بدأت العمل في مجال التمريض، وهي مهنة كانت تحظَى بالاحترام في ذلك الزمان، لكنها لم تكن تدر الكثير من المال.

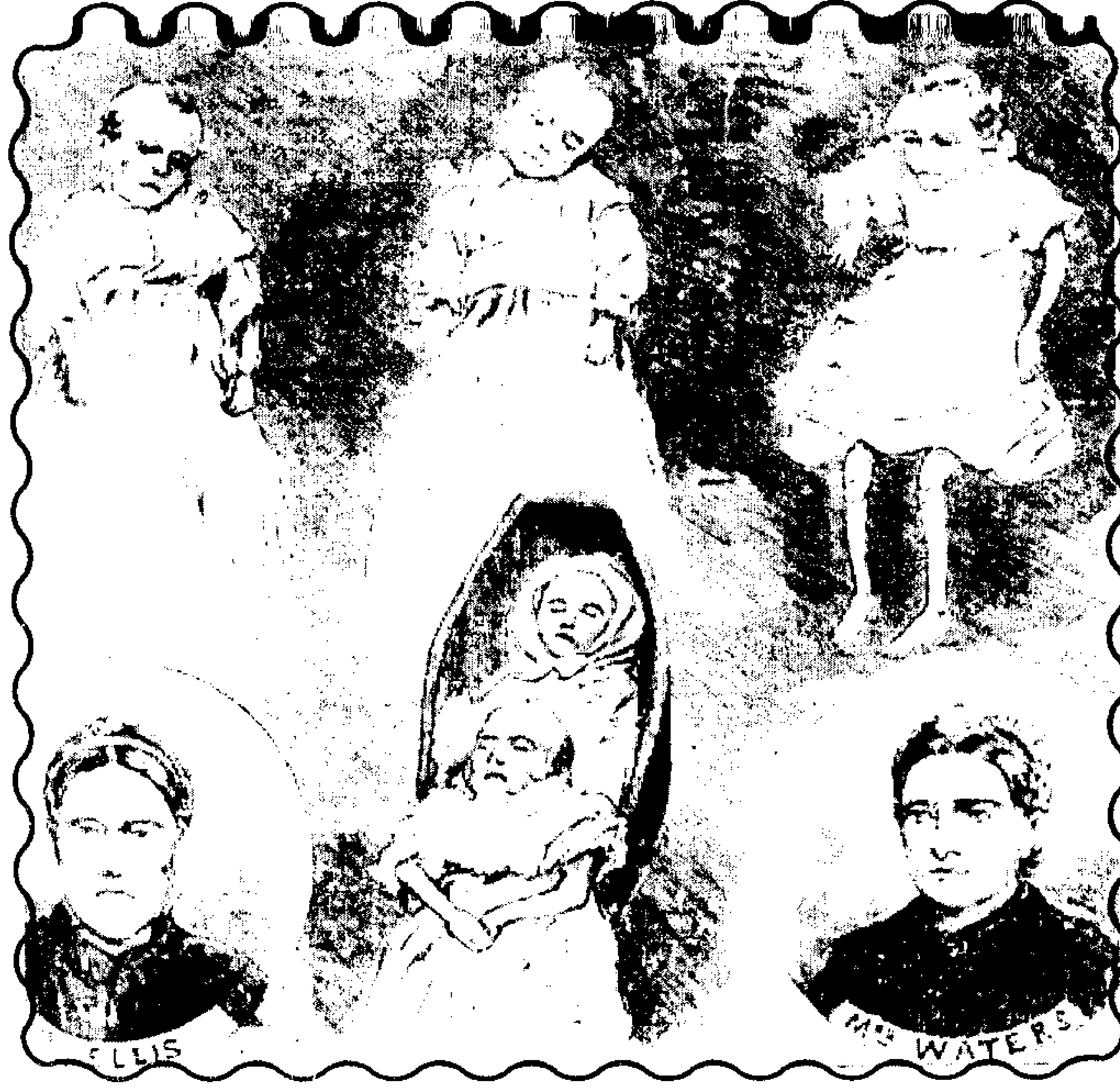
إلا أن «إيميليا» وجدت الوسيلة لكسب المزيد بعد تعرفها على سيدة تُدْعَى «إيلين دان»، وهي صاحبة مزرعة أطفال جنَتْ ثروة صغيرة عن طريق توفير المأوى للنساء الحوامل خارج أطار الزواج، وكذلك عن طريق رعاية وتربية الأطفال غير الشرعيين الذين كانوا يُولَدون في منزلها، أو يُرْسَلون إليها لكي تتبنَّاهم.

«إيلين» التي هاجرت إلى الولايات المتحدة فيما بعد هربًا من ملاحقة الشرطة، لم تعلم «إيميليا» كيفية إدارة المزرعة والاعتناء بالأطفال فقط، وإنما علَّمتْها كيف تتخلص منهم أيضا!.

ولم يمض وقت طويل حتى تفوَّقتْ «إيميليا» على مُعلِّمتها في دناءة النفس وخبث المسلك، فافتتحت مزرعة أطفال خاصة بها في منزلها، ولم تَأْلُ جهْدًا أو وسيلة للتخلُّص السريع من الأطفال تحت رعايتها، فكانوا يتساقطون واحدًا بعد الآخر.

نُقْطة الضعف الوحيدة في نشاط «إيميليا» الإجرامي انحصرت في حاجتها إلى شهادة وفاة قانونية للطفل الميت حتى تستطيع دفْنه من دون جلْب الشبهات لعملها المُرْبِح.

ولهذا الغرض كان عليها عرْض جثة الطفل على طبيب متمرِّس ليؤكِّد بأن الوفاة حدثت لأسباب طبيعية، وطبعًا أغلب أطباء ذلك الزمان ما كانوا يُكلِّفون أنفسهم عناء التحري عن سبب الوفاة الحقيقي، خصوصًا عندما يتعلق الأمر بطفل غير شرعي نبَذَه أهله، فكانوا يعزون الوفاة ببساطة للمرض وسوء التغذية نتيجة فُقْدان حليب الأم.



لكن حدث في عام 1878م. أنِ ارتاب أحد الأطباء في سبب موت طفل من مزرعة «إيميليا» وتقدَّم بشكوى أدَّتْ إلى إلقاء القبض على «إيميليا» وتقديمها للمحاكمة، لكنها لسوء الحظ لم تُحاكَمْ بتهمة القتل وإنما بتهمة الإهمال.

وهكذا حصلت على حكم مخفَّف بالأشغال الشاقة لمدة ستة أشهر فقط، وبالرغم من كونها عقوبة مخففة جدا قياسًا بعقوبات ذلك الزمان، إلا إنها تركت أثرًا مُدمِّرًا في نفْس «إيميليا»، حتى إنها قضتْ ردْحًا من الزمن في مستشفى للأمراض العقلية. وبعد تلك التجربة المريرة قررت «إيميليا» أنْ لا تلجأ إلى الأطباء مرة أخرى، وبدأت تتخلص من جثث الأطفال بطريقتها الخاصة، غالبًا عن طريق رمْيهم في النهر القريب من منزلها. لكن «إيميليا» تعرضت للمشاكل مجدَّدًا بسبب عودة بعض الأمهات ومطالبتهن برؤية أطفالهن.

فراحت تتبع سياسة جديدة قائمة على استعمال الأسماء المستعارة وتبديل محلِّ سُكْناها من حين لآخر بحيث يصعب على الشرطة وعلى أمهات الأطفال تتبُّعها وملاحقتها.

وهكذا ظهرت إلى الوجود شخصية السيدة «هاردنك» التي أوقعت «إيفيلينا» في شِرْك حبائلها، إلى جانب أسماء وشخصيات أخرى استعملتْها «إيميليا» عبْر السنين للتمويه عن حقيقة شخصيتها.

أخيرًا .. التايمز يتكلم ..

في الثلاثين من آذار / مارس 1896م. عثر رُبَّان أحد قوارب الشحْن التي تمْخُر عُباب «التايمز» على حقيبة صغيرة كانت طافية فوق مياه النهر بالقرب من بلدة «ريدنج» الإنجليزية، داخل الحقيبة كانت هناك رُزْمة ورَقِية تحتوي على جثة متحلِّلة لطفلة رضيعة.

الرُّبَّان أخطر الشرطة حول الحقيبة، وبدأت في الحال تحقيقات مكثَّفة للوصول إلى رأس خيْط يمكن أن يقود إلى كشْف لُغْز الرضيعة الميتة، وبتفحَّص الأدلة، لاحظ المحققون وجود كتابة دقيقة جدًّا على حاشية الرُّزْمة الورَقِية التي كانت داخل الحقيبة، وباستخدام العدسات المكبِّرة استطاع المحققون قراءة تلك الكتابة التي تضمَّنتْ اسم امرأة تُدْعَى «السيدة سميث» إلى جانب عنوان منزل في ريدنج.

وقد قادهم ذلك العنوان إلى منزل «إيميليا داير» مباشرة، لكن الشرطة لم تطْرُق الباب على الفور وإنما راحتْ تراقب المنزل لعدة أيام، فالمحققون كانوا يرتابون في طبيعة عمل داير منذ فترة طويلة، لكنهم لم يكونوا يملكون دليلا قويًّا يقودهم إلى إدانتها في حال إلقاء القبض عليها، لذا قرروا نصْب كمين مُحْكَم لها.

فأرسلوا لها خطابا مُزَيَّفًا من امرأة وهْمية تزعم بأنها أُمٌّ عازبة تبحث عمن يتبنَّى ابنتها الرضيعة مقابل مبلغ مُجْزٍ من المال، وبالطبع ما كانت داير لتفوِّت صيدًا سهلًا ومغْريًا كهذا، لذا سارعت إلى الرد برسالة تعرض خدماتها على تلك الأم الوهمية، وقد ذيَّلتْ تلك الرسالة باسم السيدة «سميث»، وكان ذلك كافيًا لإثبات الجُرْم عليها في قضية الطفلة الرضيعة التي عُثِر عليها في مياه التايمز.

الشرطة قامت بمداهمة منزل «إيميليا داير»، في الداخل كانت هناك رائحة تَحَلُّل بَشَرِيَّة تُزْكِم الأنوف، لكنهم لم يعثروا على أيَّة جثة، وبدلًا عن ذلك عثروا على الكثير من الأدلة

التي تُدِين داير، كالخطابات التي تبادلتْها مع الأمهات المخدوعات، وملابس الأطفال المغدور بهم، والأشرطة اللاصقة التي استعملت في قتْلهم، والإعلانات التي كانت تعْمَد إلى نشْرها في الجرائد من حينٍ لآخر للإيقاع بضحاياها، إضافة إلى وصولات استلام الأطفال.

الشرطة فتَّشتْ أيضا مياه نهر «التايمز» في محيط البقعة التي عثرت فيها على جثمان الطفلة الرضيعة، وسرعان ما انتشل الغوَّاصون ست جثث أخرى لأطفال، من ضمنها دوريس ابنة «ايفيلينا»، وجميعهم كانوا مقتولين بنفس الطريقة، أيْ بالشريط اللاصق حول أعناقهم، وهي الطريقة التي أصبحت علامة فارقة ومميزة لجرائم داير، حتى إنها أخبرت الشرطة لاحقًا في اعترافاتها بأن: «الشريط اللاصق هو العلامة التي يمكنك من خلالها معرفة فيما إذا كانت الجثة تعود لي أم لا».



صورة نادرة لإميليا داير قُبَيْل إعدامها

المحاكمة:

ومن خلال الرسائل التي عُثِر عليها في منزلها، توصل المحققون إلى قيام «إيميليا» بقتْل ما لا يقل عن 20 طفلًا خلال الأسابيع القليلة التي سبقت إلقاء القبض عليها، وبعملية حسابية بسيطة توصلوا إلى أن مجموع ضحاياها خلال السنوات الطويلة التي أمضتْها في ممارسة مهنة التمريض والاعتناء بالأطفال في منزلها لا يقل عن 400 طفل، وهو رقم قياسي لا ينافسها عليه أيٌّ من القتلة والسفَّاحين في تاريخ أوربا الحديث.

«إيميليا» اعترفت بجرائمها بالتفصيل، لكنها أنكرت أن تكون ابنتها «بولي» شريكة معها في تنفيذ تلك الجرائم، وشعرت براحة كبيرة حين علمت بإسقاط التهم عن ابنتها وزوجها لاحقًا وإطلاق سراحهما، بالرغم من أن «بولي» شهدت ضدها خلال محاكمتها.

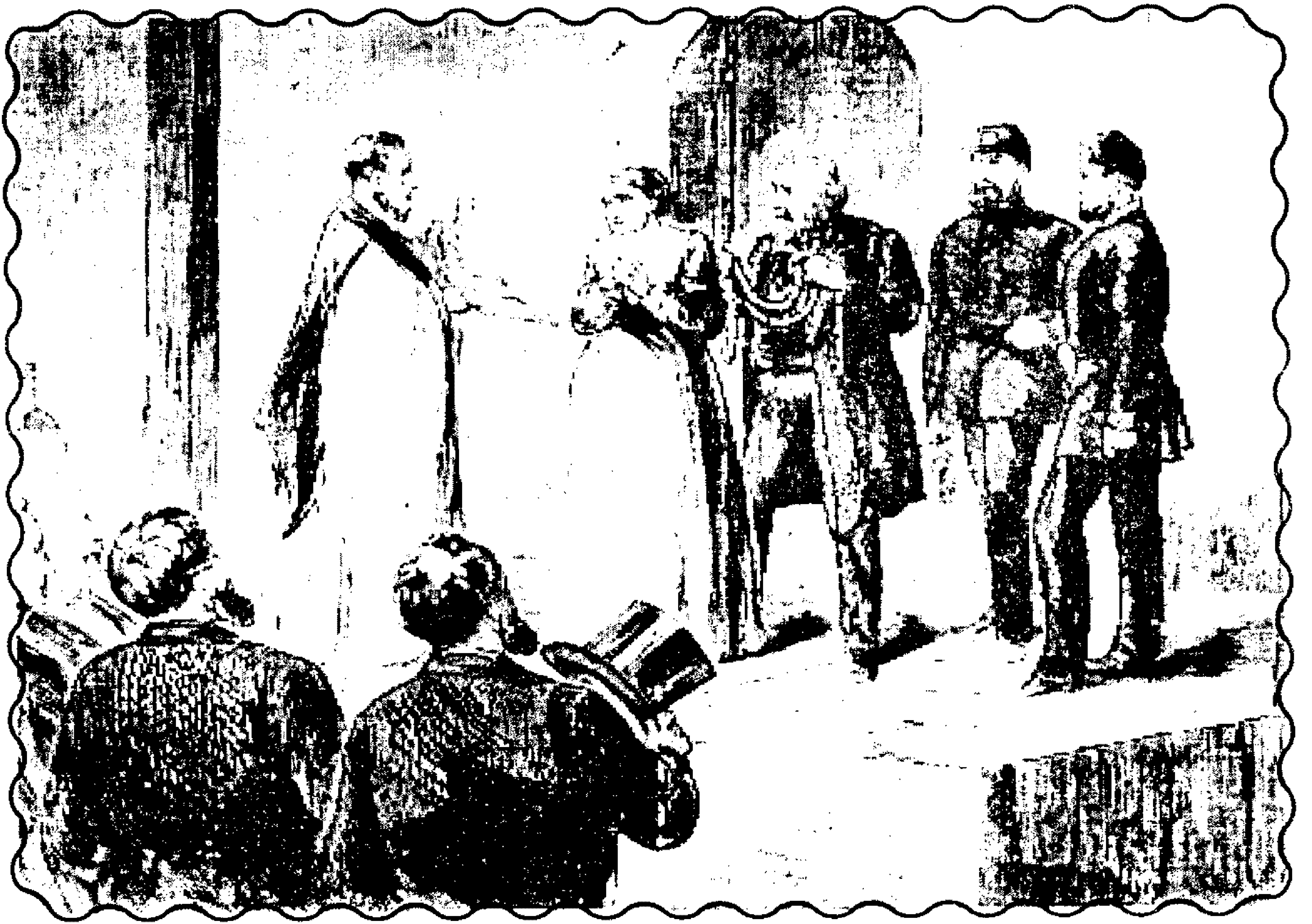
وخلال المحاكمة حاولت «إيميليا» الدفاع عن نفسها بادِّعاء الجنون، فهي فعْلًا دخلت مصحَّة الأمراض العقْلية مرتين في السابق، لكن المحكمة رفضتْ ذلك الادعاء واعتبرت دخولها المصحة مجرد طريقة لجأتْ إليها للفرار، حين كان أمرها يوشك على الافتضاح بسبب عودة بعض الأمهات ومطالبتهن بأطفالهن.

المُحلِّفون لم يستغرقوا سوى أربعة دقائق ونصف لإدانة «إيميليا داير» بالتُّهَم الموجَّهة إليها، وفي العاشر من حزيران / يونيو 1896م. اُقْتِيدَتْ «إيميليا» إلى المشنقة، تمَّ سؤالها للمرة الأخيرة وهي تقف على منصة الإعدام فيما إذا كان لديها شيء لتقوله لهذا العالم قبل رحيلها عنه، فهزتْ رأسها بالنفْي وأجابت: «ليس لديَّ شيء لأقوله»، فتقدَّم إليها الجلَّاد وطوَّق عنقَها بالحبْل بعدما كان تطويق الرقاب عملَها الذي أتقنَتْه لسنوات طويلة.

وساد صمت رهيب لم يقطعْه سوى صوت سقوطها المُدوِّي عن المنصَّة، هوتْ

بالحبْل ثم تخبَّطتْ واختنقت لعدة دقائق .. لم تتمكن حتى من الصراخ .. شربتْ أخيرًا من نفس الكأس المُرَّة التي سقَتْها لمئات الأطفال الأبرياء، وتجرَّعت مثلهم طعْم الموت البطيء والصامت قبل أن تغادر روحها البليدة إلى الجحيم مباشرة.

ونظرا لبشاعة وفظاعة جرائم «إيميليا داير» فقد أصدر البرلمان البريطاني قانونًا يشدِّد الرقابة على مزارع الأطفال، لكن بالرغم من ذلك استمرت الجرائم بحق الأطفال، واستمرت الصحف تحمل بين الحين والآخر نبأ القبض على بعض النساء ممن هن على شاكلة «إيميليا داير».



صورة تخيُّليَّة لــ إيميليا أمام المحاكمة

ففي عام 1898م. تم العثور على رُزْمة داخل أحد القطارات وفي داخلها كانت هناك طفلة رضيعة عمرها ثلاثة أسابيع في حالة يُرْثَى لها، كانت مبلَّلة وباردة، لكنها لا تزال على قيْد الحياة، وقد توصَّل المحققون لاحقًا إلى أنها ابنة غير شرعية لأرملة تُدْعَى «جين هيل»، هذه الأرملة كانت قد سلَّمتْ طفلتها الرضيعة إلى امرأة تُدْعَى السيدة «ستيوارت»

لكي تتبنَّاها مقابل مبلغ 12 جنيهًا، لكن على ما يبدو فإن السيدة «ستيوارت» تركت الطفلة في القطار وفرَّت بالمبلغ، ويقال بأن السيدة «ستيوارت» تلك لم تكن في الحقيقة سوى «بولي» ابنة «إميليا داير»[1] .

1- نقلا -ببعض التصرف- عن مقال: (مزرعة الأطفال) المنشور في الموقع العربي: (Nightmare/ كابوس)، بتاريخ (٢٤ / ٤ / ٢٠١٢م). والموقع العالمي: (FromWikipedia، the free encyclopedia) تحت عنوان: (melia Dyer). وتحت عنوان: (Oliver Twist) والموقع الأجنبي: (The baby butcher -) تحت عنوان: (The baby butcher: One of Victorian Britain's most evil).

20

جنونٌ أم تجرُّد من الرحمة ؟



اليمين صورة عائلة «ياتز» وإلى اليسار مُلْصَق فلم مستوحًى من قصتهم

حنانها معين رحمة لا ينْضَب، إذا جُعْتَ تُطعمك، وإذا مرضتَ ترْعاك، وإذا تعبتَ تحمِلُك، وإذا خلت جيوبك لا تبخل عليك بالغالي والرخيص.

إنها ملاكك الحارس إذا نامت العيون، وحِصْنُك الحصين إذا اشتدت المِحَن وتقطَّعت السُّبُل، وأول كلمة ينطقها لسانك إذا أحاطتْك الرزايا وتربَّصتْ بك المنايا .. فكيف بعد هذا كله لا تُولِيها ثقتك العمياء فتضع رقبتك بين يديها صاغرًا مطمئنًّا طائعًا؟

وهذا بالضبط ما فعله أطفال قصتنا عن طِيب خاطر، لكنَّ كفَّ الوالدة الحانية لم يكن كعدهم به في ذلك اليوم المشئوم، لقد تحول إلى آلة الموت التي سفكت دماءهم واستباحت أرواحهم بلا رحمة.

يا ترى أيهما كان أكثر إيلامًا في تلك اللحظة ؟ نَصْلُ السكين الحادُّ وهو يمزِّق أجسادهم البضَّة؟ أم غَدْر مَن كانوا يحسبون غدْرَه مُحالًا.

قَتلَتْهم لتنقذهم من جهنم!!

«يجب أن تحضر الى المنزل» - كلمات مقتضبة قالتها «أندريا» (Andrea Yates) عبْر الهاتف لزوجها «روسيل ياتز» الموظف في وكالة ناسا الأمريكية لأبحاث الفضاء.

«ماذا حدث ؟» - تساءل الرجل بحيرة.

صمتت «أندريا» لبُرْهة ثم قالت - «لقد حان الوقت .. لقد فعلْتُها».

تسلَّل الخوف تدريجيًّا إلى قلب «روسيل»، فهو يعلم جيدا بأن زوجته تُعانِي من مشاكل نفْسية عديدة، لذلك ألحَّ عليها لمعرفة ما حدث.

«إنهم الأطفال»- أجابت «أندريا» بصوت مُتَهدِّج.

«أيُّ واحد منهم ؟» - قال روسيل بصوت مُرْتَجِف كأنه يتأهَّب لسماع الكارثة.

«كلهم» - أجابت «أندريا».

في الحال رمَى روسيل سمَّاعة الهاتف من يده وهرول مُسْرِعًا إلى خارج المكتب مُبَعْثِرًا كل شيء في طريقه. انطلق بسيارته كالصاروخ وخلال أقل من عشرين دقيقة توقف أمام منزله في مدينة «هيوستن» الأمريكية.

سيارات الشرطة كانت متناثرة حول المنزل والمحققون يملأون المكان. روسيل المفزوع هرول نحو باب المنزل محاولًا الدخول لكن رجال الشرطة أمسكوه وسحبوه بعيدا وهو يبكي ويصرخ مناديًا زوجته - «كيف طاوعك قلبُك على فعْل ذلك؟!».

ثم سقط مغشيًّا عليه حين شاهد الشرطة تقود زوجته «أندريا» وهي مُكبَّلة بالأصفاد.

خلال ساعات قليلة تجمَّع عدد كبير من الصحفيين ومنْدُوبي القنوات الإخبارية حول المنزل. المتحدث باسم الشرطة لخَّص ما حدث قائلا بأنهم تلقُّوا قُرابة الساعة العاشرة من صباح يوم 10 حزيران / يناير 2001م. اتصالا من امرأة تقول بأنها قتلت أطفالها وأعطت الشرطة عنوان منزلها.

وفي الحال توجهت إحدى الدوريات إلى المنزل، «أندريا» تحدَّثتْ للشرطة بكل هدوء وقادتْهم الى غرفة في مؤخِّرة المنزل حيث شاهدوا أربعة جَثث مبلَّلة تمامًا لأطفال، الجثث كانت ممدَّدة معا تحت غطاء أحد الأسرة ذات الطابقيْن.

بعدها أرشدت «أندريا» رجال الشرطة الى الحمّام حيث عثروا هناك على جثة طفلها الخامس وهي غارقة في المغْطَس. «أندريا ييتس» اعترفت بصراحة وبكل هدوء بأنها أغرقت أطفالها الخمسة واحدًا بعد الآخر في مَغْطَس الحمّام.

ضابط الشرطة سألها – «لماذا ؟».

«أندريا» ردَّدت كالآلة ما قاله الشرطي – «لماذا ؟».. ثم صمتتْ وسرَحتْ عيناها لبرهة كأنها تبحث عن الجواب.

أُقْتِديتْ «أندريا» الى مقر شرطة المدينة، هناك أخبرت المحققين بكيفية قتْلها لأطفالها.

ببساطة نادتْهم واحدًا بعد الآخر الى الحمّام، أجلستهم في المغْطَس ودفعتْهم بيدها تحت الماء حتى فارقوا الحياة.

عملية قتْل أطفالها الخمسة، نوح (7 أعوام) جون (5 أعوام) بول (3 أعوام) لوقا (عامان) وماري (7 أشهر)، كانت سهلة نِسْبيًّا باستثناء نوح ذي الأعوام السبعة الذي يبدو أنه أدرك نية أمه فهرب طلبًا للنجاة، «أندريا» طاردتْه لبعض الوقت قبل أن تتمكن من الإمساك به، ثم حمَلتْه عنْوة إلى المغْطَس بينما هو يبكي ويصرخ: «أنا آسف .. أنا آسف» .. الطفل المسكين ظن أنه اقترف خطأ ما وأن أمه تريد معاقبته لهذا السبب.



عائلة ياتز.. صورة الْتُقِطتْ قبل الحادث بفترة قصيرة

جريمة «أندريا ياتز» هزَّتْ الرأي العام في الولايات المتحدة، وحازت على اهتمام إعلامي كبير، ليس لبشاعتها فحسب، لكن أيضا لتضافر عدة عوامل اجتماعية وطِبِّيَّة ودِينية أدَّتْ مجتمعة إلى وقوع هذه الكارثة، فأندريا وزوجها روسيل كانا شديدا التديُّن، وفي حفْل زفافهما عام 1993م. قالا للجميع بأنهما «سيُنْجبان أطفالًا بالقدْر الذي تسمح به الطبيعة». لقد أرادا إنجاب وتربية الكثير من الأطفال، واعتقدا أن استعمال موانع الحمْل من المحرَّمات التي تُغْضب الرب، ومن أجل التفرُّغ للعناية بالأطفال العديدين الذين كان في نية الزوجان إنجابهما تركت «أندريا» عملها كأستاذة في الجامعة وكرَّستْ نفسها للمنزل كأيِّ زوجة «متدينة» تُؤمن أن رسالتها في الحياة هي أن تكون ربَّة بيت صالحة تحب زوجها وتسانده وتتفانَى من أجل تربية أطفالها.

لكن بعد إنجاب ثلاثة أطفال وحالة إجهاض لا إرادية واحدة بدأت خطة الزوجين تواجه المتاعب، بدأت «أندريا» تعانِي من مشاكل نفْسية عديدة.

وفي عام 1999م. أُصِيبَتْ بانهيار عصبَي، وحاولت الانتحار مرتين، وتم إدخالها إلى المستشفى، الأطباء شخَّصوا مشكلتها على أنها حالة نِفسية تُدْعَى «كآبة الإنجاب» تُصاب بها عادة النساء بعد الولادة. ولأن الأمر متعلِّق بالولادة نصَح الأطباء الزوجيْن بعدم إنجاب المزيد من الأطفال، لكن بدلًا من الالتزام بهذه النصيحة أنجبت «أندريا» طفليْن آخريْن، فازدادتْ حالتها سوءًا، وأُدْخِلَتْ إلى المستشفى مرة أخرى.

بالتدريج ونتيجة لمشاكلها النفْسية، بدأت «أندريا» تعتقد بأن الشيطان يلْبسها، وأن أطفالها لن يجدوا الخلاص أبدًا، وسيدخلوا الجحيم بسببها.

الصحافة الامريكية ركَّزتْ على أثر الجانب الديني في تفاقُم مشكلات الزوجين، خصوصا علاقتهما القوية بمُبَشِّر مسيحي غريب الأطوار كان له دور كبير في زرْع شُعور الذنب والخطيئة لدَى «أندريا» وفي كونها - كما تعتقد - أمًّا غير صالحة ستؤدِّي بنفسها وأطفالها إلى الجحيم.



«أندريا» بلباس السجن

لقد عبَّرتْ «أندريا» عن معتقداتها بجلاء خلال التحقيق معها، حيث قالت للمحققين: «إنها الخطايا السبْع المميتة (في العقيدة الكاثوليكية)، أطفالي لم يكونوا صالحين، كانوا ينحرفون عن الطريق لأني شرِّيرة. طريقة تربيتي لهم لم تكن لتسمح لهم بالحصول على الخلاص. كانوا سائرين للهلاك في نار الجحيم».

في عام 2002 م. تمَّتْ محاكمة «أندريا ياتز» بتهمة قتْل أطفالها الخمسة، وقد توقَّع البعض أن يُحْكَم عليها بالاعدام. المحاكمة استقْطَبتْ اهتمامًا إعلاميًّا كبيرًا لبشاعة الجريمة وغرابتها.

وقد حاول محامي الدفاع الحصول على حُكْم براءة لموكِّلته باعتبارها مجنونة وغير مُدركة لما اقترفتْه من جُرْم. المحكمة استعانت بعدد من الأطباء النفْسيين لتقييم حالة «أندريا» وتحديد مدى إدراكها لمفهوم الخطأ والصواب في أعمالها.

وقد اعتبر المحلِّفون في النهاية أن «أندريا» مذنبة لأنها وبرغم ما كانت تعانيه من مشاكل نفْسية حادة أثناء اقتراف جريمتها إلا أنها كانت تدرك بأن ما تقوم به هو عمل خاطيء. القاضي أصدر حُكْمًا بالسجن المؤبَّد على «أندريا» مع عدم إمكانية الحصول على إطلاق سراح مشروط إلا بعد مرور 40 عامًا.

محامي «أندريا» استأنف الحُكْم الصادر بحقها وفي عام 2006م. نقضت المحكمة قرارها السابق واعتبرت «أندريا» غير مذنبة لِعلَّة الجنون، فأسقطعت عنها جميع الأحكام السابقة، وتمَّ تحويلها إلى إحدى المصحَّات العقلية في تكساس.

«روسيل ياتز» ساند زوجته ووقف إلى جانبها أثناء المحاكمات، وكان ينتظر خروجها من السجن ليُنْجِبا مزيدًا من الأطفال!! إلا أن «أندريا» طلبت الطلاق، وحصلت عليه عام 2008م. بعد أن تحسَّنَتْ حالتها النفْسية.

قصة «أندريا» تتحول إلى فيلم رعب:

كعادة هوليوود في استغلال القصص التي تستقْطب اهتمام الرأي العام عن طريق

تحويلها إلى أفلام سينمائية، تمَّ تحويل قصة «أندريا ياتز» إلى فيلم رعب سينمائي بعنوان (Baby Blues) تمَّ عرضه في الصالات عام 2008م.

قصة الفيلم تختلف بعض الشيء عن القصة الحقيقية، ولكن الحبْكة الرئيسية متشابهة، فالفيلم يدور حول محاولة مجموعة من الأطفال النجاة من الموت المحتوم على يد أُمِّهم أثناء غياب والدهم.

الأُمُّ (الممثِّلة كولين بورج) تُعانِي من مشاكل نفْسية (Baby blues) معناها كآبة الإنجاب، وهي نفْس الحالة التي كانت تعاني منها «أندريا» تدخل في نوْبة غضب عارمة أثناء تناول الغذاء، ثم تصعد إلى غرفتها في الطابق العُلْوي مع طفلها الرضيع: «جيمي» أكبر أطفال العائلة يحاول الإبقاء على هدوء إخوته وأخواته، فيقوم بتنظيف المائدة وجمْع الصحون المكسورة، ثم يصعد بهدوء إلى الطابق العلوي للاطمئنان على والدته.

هناك في الأعلى يختْلس الصبي الصغير النظر فيكتشف حقيقة مروِّعة، يشاهد أُمَّه تقتل شقيقه الرضيع، ويدرك نيَّتها في قتْل بقية أطفالها، وهنا تبدأ المطاردة المرعبة والمفزعة بين الأم المجنونة وأطفالها الذين يحاولون بكل السُّبُل الإفلات من الموت المحتَّم على يدها.

في النهاية تنجح الأم في قتْل جميع الأطفال باستثناء «جيمي» الذي يتمكن من البقاء حيًّا حتى وصول والده. لكن وكعادة جميع أفلام الرعب القصة لا تنتهي هنا، فبعد بقاء جيمي في المستشفى لفترة من الزمن يتأهَّب للخروج والعودة الى المنزل بصحبة والده الذي يفاجئه بأخباره بأن أمه ستعود إلى المنزل أيضًا.

اللقطة الاخيرة للفيلم تُظْهر الأُم واقفة تترنم بأغنية للأطفال وهي حامل من جديد.

أرادت أخْذ أطفالها معها فذبحتْهم! .. هم رحلوا وهي بَقِيَتْ !! (1)

1- نقلا -ببعض التصرف- عن مقال: (جنون أم تجردت من الرحمة ؟) المنشور في الموقع العربي: (Nightmare/ كابوس)، بتاريخ (٢٤ / ٦ / ٢٠١٠م). والموقع العالمي: (FromWikipedia، the free encyclopedia) تحت عنوان: (Andrea Yates).

21

ساحرة جامايكا البيضاء .. وحش تجسّد في صورة امرأة



في جامايكا يوجَد قصر أبيض قديم، وبالقُرْب منه يقبَع قبر لامرأة يُطْلِق الناس عليها اسم الساحرة البيضاء، والتي كانت يومًا ما سيدة القصر، وما حوله من الأراضي الزراعية الشاسعة، ويقال: إنها كانت أرملة جميلة وثَرِيَّة، وفي نفس الوقت قاسية وشريرة تتلذَّذ بتعذيب وقتْل العبيد المساكين الذين كانت تملك الآلاف منهم.

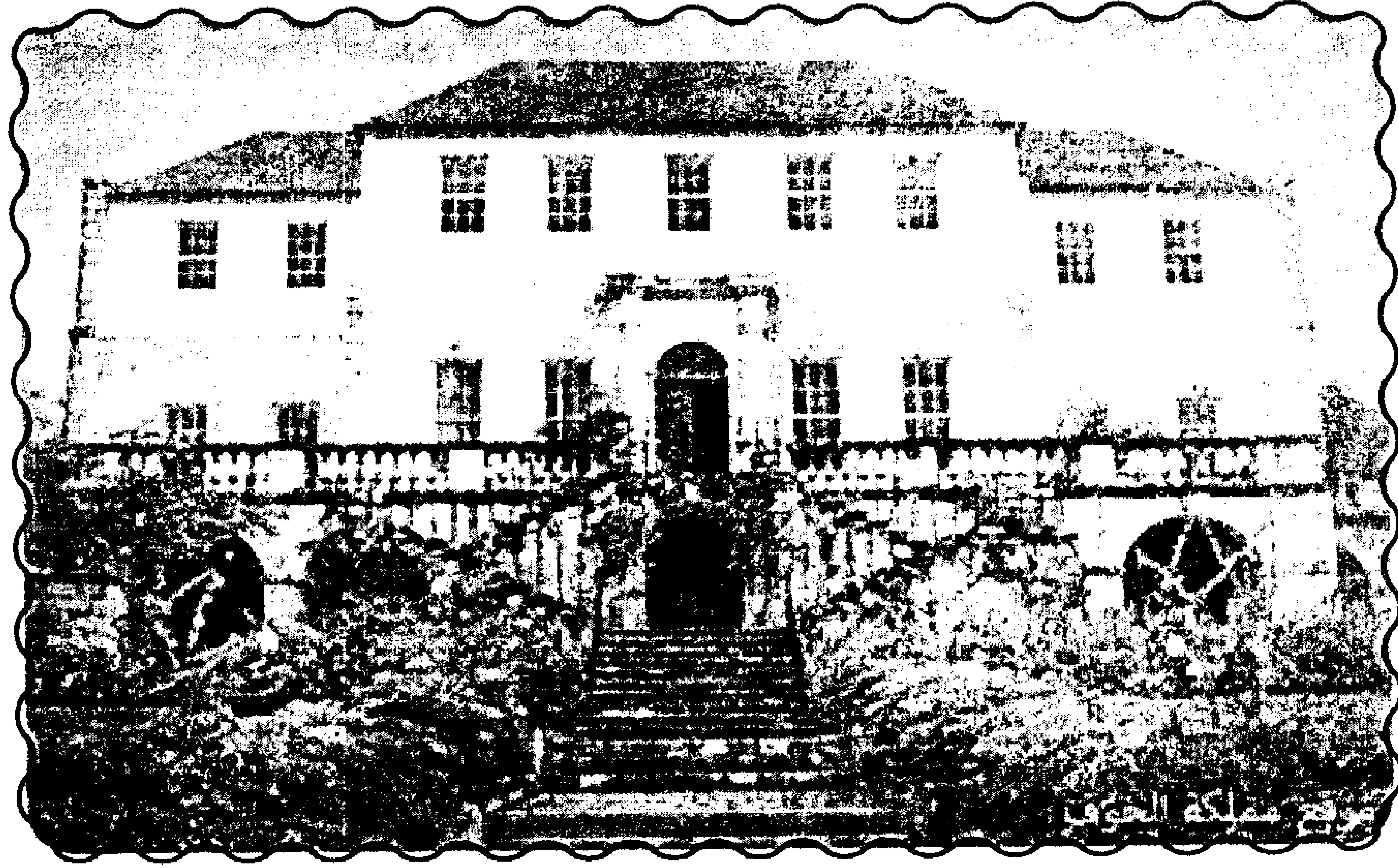
وكانت مُولَعة على وجه الخصوص بقتْل الأطفال الصغار لتقديمهم كقرابين إلى الشياطين خلال الطقوس السحرية المخيفة التي كانت تمارسها في دهاليز القصر، ورغم أنها ماتت منذ عشرات السنين إلا أن العديد من سكان «جامايكا» يزعمون بأن روحها الغاضبة ما زالت تتجوَّل إلى اليوم لتبُثَّ الرعب والخوف في أرجاء القصر الذي ارتكبت فيه أبشع الجرائم.

جامايكا قبل قرنين من الزمان كانت مُسْتَعْمَرَة إنكليزية تعجُّ بآلاف العبيد الذين خطفهم الأُوربِّيُّون من إفريقيا ونقلوهم عبْر البحار ليعمَلوا في مزارع السُّكَّر التي كانت تُدِرُّ الأرباح الطائلة على المستعمِرين البيض في منطقة الكاريبي.

ورغم أن هؤلاء العبيد تحوَّلوا قَسْرًا أو بمرور الزمن إلى المسيحية إلا أن البعض منهم بقِيَ يمارس سِرًّا عقائده الإفريقية القديمة التي كانت ترتكز في غالبها على الممارسات السحرية، والتي وجد فيها هؤلاء العبيد المساكين بعض الترويح عن الحياة البائسة التي كانوا يعيشونها تحت رحمة الرجل الأبيض المتعجْرِف والقاسي.

وكان أحد هؤلاء الإقطاعيين البيض المتغطْرِسين يُدْعَى «جون بالمر» ويعيش في قصر فخْم يُدْعَى «قصر الزهور» وقد تزوج في عام 1820م. من فتاة شابة تُدْعَى «آني» كانت ضئيلة الجسم لا يتجاوز طولها 5 أقدامٍ، ولكنها كانت حسناء جميلة.

وقد تناقل السكان الكثير من القصص والإشاعات حول المكان الذي قدمت منه، وأكثر تلك القصص رواجًا تزعم بأنها هاجرت مع عائلتها في سن العاشرة من أوربا إلى «هاييتي» في إفريقيا وهناك توفِّي أبواها بعد إصابتِهما بالحُمَّى، فكفَّلتْها وربَّتْها ساحرة إفريقية علَّمتْها أسرار الفودو (Voodoo) ودرَّبَتْها على ممارسة السحر الأسود الذي سرعان ما أتقنتْه «آني» واستعملتْه في الاستحواذ على قلب «جون بالمْر» فجعلتْه يهيم بها حُبًّا ويتزوجها.



قصر Rose Hall في جامايكا حيث يزعم الناس أن الساحرة البيضاء اقترفت جرائمها البشعة وحيث يتجول شبحها داخله كل ليلة

سرعان ما بدأ عبيد «جون بالمر» يشعرون بالخوف من زوجته الجديدة التي أخذت تعاملهم بمنتهى القسوة، وكانت تستعمل تعاويذها السحْرية في بسْط سيطرتها المُطْلَقة على عقْل زوجها الذي تحوَّل إلى ألعوبة في يدها، ولهذا أطلق عليها العبيد اسم الساحرة البيضاء.

ولم تمضِ سوى سنوات قليلة حتى مات «جون بالمْر» فجأة رغم أنه كان رجلا قويًّا ولا يشكو من أيِّ مرض، والحقيقة هي أن السيدة «بالمر» كانت قد دسَّتْ له سُمًّا مميتًا في طعامه لتتخلص منه وتصبح هي السيدة المُطْلَقة على القصر والمزرعة وعلى أكثر من ألفيْن من العبيد، وأخذت تمارس شرورها وطقوسها السحرية الغريبة بدون خوف، وتُعذِّب وتقتل العبيد بأبشع صورة، وخصوصًا الأطفال الصغار الذين كانت تقدِّمهم كقرابين للشياطين بعد أن تذبحهم وتعبث بأجسادهم البَضَّة الرقيقة.

كما أنها كانت شَبقَة لا تملُّ الرجال، فكانت تختار العبيد الأقوياء وتأخذ واحدًا منهم

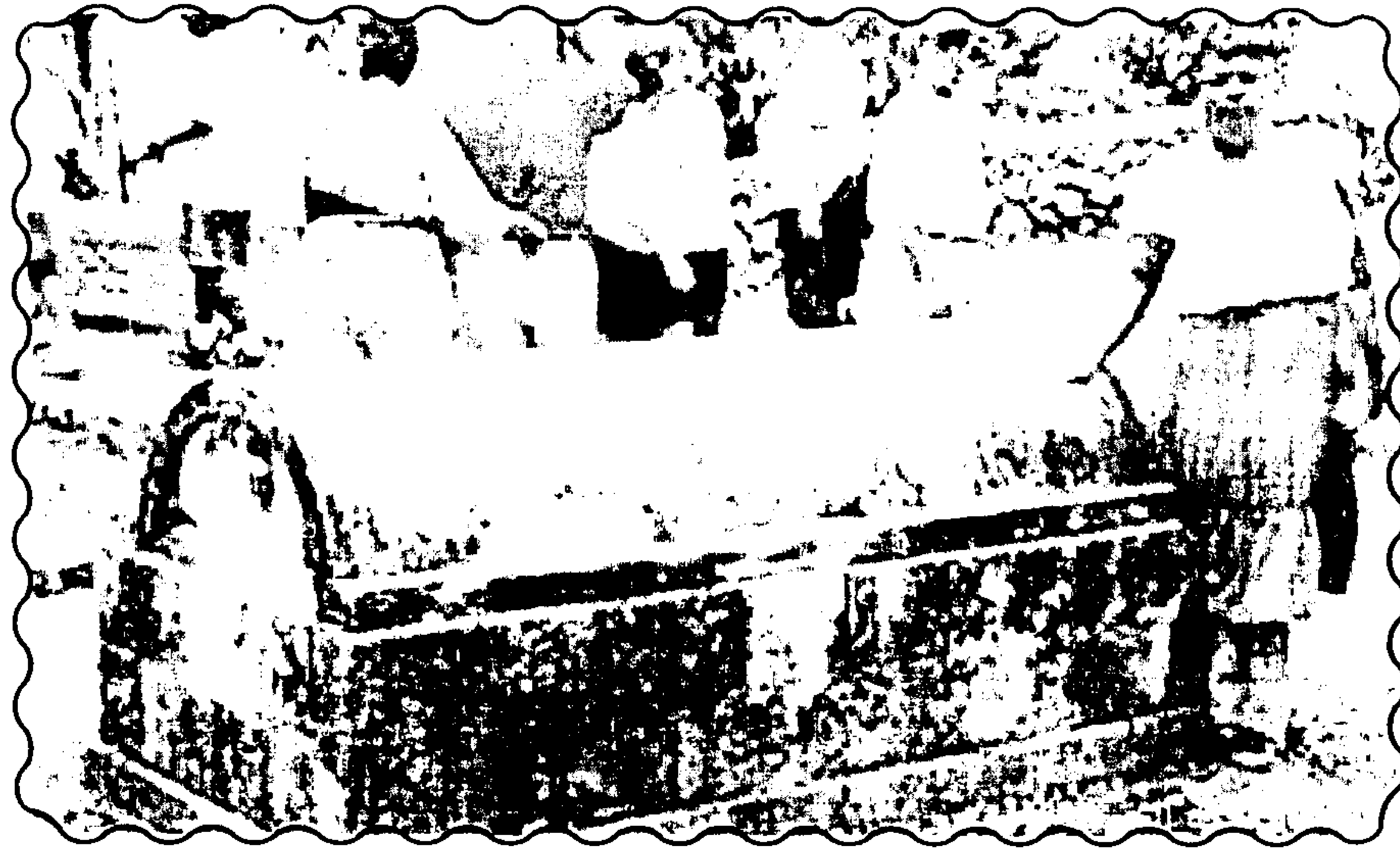
كل ليلة الى مَخْدعها ثم تقتلهم بعد أن تملَّ منهم، وكانت جثث ضحاياها تُنْقَل إلى الساحل وتُرْمَى في البحر عن طريق دهاليز سِرِّيَّة تحت القصر لا يعلم أحد أسرارها سواها.



لم تمض مدة طويلة حتى تزوجت «آني» مرة ثانية، فقد كانت أرملة غنيَّة وجميلة، لذلك تقدم لخِطْبتها الكثير من الطامعين بثروتها وهم يظنون في قرارة نفسهم بأنهم وقعوا على صيْد سهل وغنيمة مباحة، لكنهم لم يكونوا يتخيلون المصير الأسود الذي ينتظرهم على يد الساحرة السفَّاحة.

وبالفعل ما هي إلا أشهر قليلة حتى اختفى فجأة زوج السيدة «بالمْر» الجديد وادعت بأنه مات نتيجة إصابته بالحُمَّى الصفراء، وهو مرض شائع في تلك الأنحاء، لكن الحقيقة كانت شيئًا آخر، فالسيدة «بالمر» كانت قد قتلت زوجها ومزَّقتْ جسده بعشرات الطعنات بعد أن باغتتْه أثناء نومه ثم قامت بإلقاء جثَّته في البحر بمساعدة أحد عُشَّاقها من العبيد الذي سرعان ما اختفى هو أيضا بعد أن قتلتْه السيدة «بالمر» لتُخْفِيَ أيَّ أثَر لجريمتها.

وما إنْ ترمَّلتْ الساحرة البيضاء حتى تقاطر الخاطبون على قصر الزهور من جديد وسرعان ما وجدت في أحدهم ضالتها، فتزوجتْه ولم تمض سوى شهور قليلة حتى أصبح ضحية جديدة تُضاف إلى قائمة ضحاياها الطويلة، ويقال إنها قتلتْه بعد أن سكبتْ الشمع المصهور في أُذُنه أثناء نومه، وتخلَّصتْ من جثته كما فعلت مع أزواجها السابقين ثم ادَّعتْ أنه مات بسبب الحُمَّى.



قبر الساحرة البيضاء بالقرب من قصرها وقد أصبح محطَّة سياحيَّة للكثير من زُوَّار جامايكا

استمرت جرائم السيدة «بالمر» حتى عام 1830م. وهو التاريخ الذي ماتت فيه، وتخلَّص العالم من شرورها، وقد دار حول موتها الكثير من القصص:

إحداها: تزعم أن عجوزًا سوداء اسمها «تاكو» هي التي قتلتْها انتقامًا منها لأنها كانت قد ذبحتْ حفيدتها وقدَّمتْها كقُرْبان في إحدى حفلات «الفودو» الدموية التي كانت تمارسها.

وهناك قصة أخرى: وهي الأقرب إلى الحقيقة وتدَّعِي أن السيدة «بالمر» قُتِلتْ أثناء ثورة العبيد في «جامايكا» عام 1830م. وهي الثورة التي قُتِل فيها أغلب مُلَّاك الأراضي البيض، وأُحْرِقتْ منازلهم، ويقال: إن العبيد مزَّقوا جسد الساحرة البيضاء انتقامًا

لِمَا كانت تفعله بهم من شرور وموبقات فظيعة، ولكنهم لم يجرؤوا على حرْق قصرها لاعتقادهم بأنه مرصود، وأن من يحْرقه سيُصاب باللعنة الأبدية.

ولهذا أصبح القصر واحدًا من بين القصور القليلة في «جامايكا» التي تعود إلى عصر الإقطاع، ونجَتْ من التدمير على يد العبيد الثائرين الذين أحرقوا ما يقارب السبعمائة والخمسين قصْرًا ومنزلا للإقطاعيين البِيض وسوُّوها بالأرض.

رغم موتها إلا أن الساحرة البيضاء استمرت في نشر الرعب، وأخذ السكان الخائفون يتناقلون القِصص حول روحها الغاضبة التي كانت تهيم داخل القصر باحثة عن الانتقام، لذلك استعانوا بثلاثة من طاردي الأرواح ليخلِّصُوهم من شبَحها، إلا أن هؤلاء فشلوا في مسعاهم.

واليوم هناك العديد من الناس في «جامايكا» يُقْسمون بأنهم شاهدوا شبح «آني بالمر» (Annie Palmer) أو سمعوا أصواتًا غريبة ومخيفة تصدر من قصرها، وخصوصًا صوت بكاء ونحيب لأطفال صغار يأتي من جهة مجهولة أسفل القصر. وفي السنين الأخيرة أصبح قصر الزهور وقبر الساحرة البيضاء في جامايكا واحدًا من أكثر المواقع جذْبًا للسُّيَّاح على الرغم من اختلاف الآراء حول حقيقة قصتها، فهناك عدد من المؤرخين يشككون في أن السيدة «بالمر» كانت ساحرة شريرة، ويعتبرون قصتها مجرد أسطورة وخرافة شعبية.

وحسب رواية هؤلاء فإن «آني بالمر» هي شخصية حقيقية عاشت في القصر خلال القرن التاسع عشر، لكنها لم تكن قاسية مع العبيد ولم تتهم بقتل أحد ولم تتزوج سوى مرة واحدة، وكانت وفاتها طبيعية عام 1843م. إلا أن هذا الرأي لم يمنع السكان المحلِّيين وآلاف السُّيَّاح من القُدوم الى القصر كل عام، ولم يقفْ سيْلُ القصص التي يتداولها الناس حول الساحرة البيضاء وشبَحها المُخِيف(1).

1- نقلا -ببعض التصرف- عن مقال: (ساحرة جامايكا البيضاء .. وحش تجسَّد في صورة امرأة؟) المنشور في الموقع العربي: (Nightmare/ كابوس)، بتاريخ (١٢ / ٨ / ٢٠٠٩م). والموقع العالمي: (From Wikipedia، the free encyclopedia) تحت عنوان: (White Witch of Rose Hall).

22

جريمة بشعة تحولت إلى لُغز عجز المحققون عن حلّه؟



إلى اليمين صورة حقيقية لـ: «ليزي بوردين» الفتاة المتهمة بقتل أبيها وزوجته.. وإلى اليسار صورة للبيت الذي جرَتْ فيه الجريمة، والذي تحوَّل إلى فندق ومتحف

قصتنا اليوم عن جريمة بشعة حدثتْ قبل أكثر من مئة عام، وتحوَّلتْ إلى لُغْز وأُحْجِيَة أشبه بألغاز روايات «أجاثا كريستي»[1] البوليسية، المشتبَه بهم هم أقرب الناس إلى

1- أجاثا كريستي (١٨٩٠-١٩٧٦م): كاتبة إنجليزية للقصص البوليسية، تميّزت قصصها ببراعة حبْكتها الروائية. قدمت السيدة أجاثا المُخبِر السرّي الخاص البلجيكي «هركيول بوارو» في روايتها البوليسية الأولى «العلاقة الغرامية الغامضة على أنماط» (١٩٢٠م). كما قدمت «بوارو» أيضا إلى الجمهور في أشهر رواياتها البوليسية «مقتل روجر كرويد» (١٩٢٦م).
وفي روايات أخرى متعددة ظهرت الآنسة «جين ماربل» العجوز العانس في قصص كثيرة من=

الضحية، وجميعهم لديهم دافع ما للقتل، لكن الجريمة ظلت بدون حَلٍّ لعقود طويلة حتى أصبحت جزءًا من الفلكلور الأمريكي.

تعال معنا -عزيزي القارئ- لتتعرف على قصة عائلة «بوردين» ونترك لك الحُكْم الأخير حول شخصية القاتل.

الطمع هو خصلة مزْروعة في نفوس غالبية الناس، فكلنا نحب المال، لكن ما قد نفعله للحصول عليه يختلف من شخص إلى آخر، ومع الأسف، هناك بعض بني البشر على استعداد في أن ينحدر إلى الدرْك الأسفل من الانحطاط الخُلُقي في سبيل هذه الغاية.

فالقتل من أجل المال هو أحد أقدم تجلِّيات هذا الانحطاط، والنساء لَسْنَ استثناءً من ذلك، فرغم ضعْف بنْيتِهن الجَسدية مقارنة بالرجل، غير أن الكثيرات بَرزْن عبْر التاريخ وخلَّدْن أسماءهن في عالم الجريمة.

والسِّمَة المشتركة لدَى أغلب القاتلات الشهيرات هي الأسلوب الناعم والمريح في إزهاق النفوس البشرية، فالسُّمُّ مثلا هو أكثر وسائل الموت تفضيلًا عند المجرمات من بنات حواء، فهو لا يحتاج إلى جهْد عضَلي، ولا يتسبَّب استعماله بمشاهد مخيفة، ومقزِّزة من تمزُّق الأجساد وتدفُّق الدماء، وكذلك فإن الضحية لا يشعر بما يُدبَّر له.

فيمكن تسميم الشخص أثناء تبادل حديث مُفْعَم بالحب والعاطفة معه على مائدة

=ضمنها «جريمة القتل في مقر القس» (١٩٣٠م)؛ «الخصم الرهيب» (١٩٧١م). كان «تومي وتوبنس بيتريسفورد» هما المخبران السِّريَّان الهاويان في العديد من الروايات منها «إن آر إم» (١٩٤١م). و«بوخز إبهامي» (١٩٦٨م).

كما كتبت السيدة أجاثا ٨٣ كتابًا من الأدب البوليسي منها ٦٧ رواية ومجموعة من القصص القصيرة. كما كتبت أيضا ١٦ مسرحية. تشمل أحسن مسرحياتها في دراما التشويق «مصيدة الفأر» و«شاهد الادّعاء» (١٩٥٣م). كتبت السيدة أجاثا أيضًا ست روايات تحت اسم «ماري ويستماكوت» وسيرة ذاتية نُشرَتْ في (١٩٧٧م) بعد وفاتها. انظر: «الموسوعة العرْبية العالمية» مادة: «كريستي، السيدة أجاثا».

الطعام، إلا أن هناك قاتلات أُخريات، رغم نُدْرتهن يفضِّلْن استعمال الوسائل التقليدية في القتل، وقصتنا لهذا اليوم هي حول إحدى تلك النسوة اللواتي تركنَ أثرًا وذِكْرًا لا يبْلَى في عالم الجريمة.

إنها «ليزي بوردين» (Lizzie Borden)، الفتاة المتعلمة والمؤدبة والغنِيَّة التي أُتُّهِمَتْ بقتل أبيها وزوجته عام 1892م، ورغم أنها بُرِّئَتْ من تهمتها، وأن خيوط الجريمة لم تُحلّ بشكل كامل، إلا أن الاعتقاد السائد لدَى المحققين سابقًا وحاليًا هو أنها المذنبة الرئيسية في جريمة القتل البشعة تلك، والتي أصبحت لعقود طويْلة جزءًا من الفلكلور الأمريكي، وأصبحت موضوعًا للكثير من القصص، وملْهِمًا للكثير من أفلام الرعب الشهيرة.

خيوط الجريمة:

ليزي بوردين وُلِدتْ عام 1860م. في مدينة «فيل ريفر» التابعة إلى ولاية «ماساشيوستس» الأمريكية، تُوفِّيتْ والدتها عندما كانت في الثالثة من العمر وتركتْها يتيمة هي وأختها الكبرى «إيما» بعهدة والدهما «اندرو بوردين» والذي سرعان ما تزوج امرأة أخرى عام 1865م. وهي السيدة «آبي بوردين».

ورغم أن رب العائلة هو أحد أغنياء المدينة إلا أن العائلة كانت تعيش في بيت مزرعة قديم الطراز، ومكوَّن من طابقيْن ونصف، وقد كان في نظر الكثيرين لا يتناسب مع ثراء العائلة ومستواها الاجتماعي.

فالسيد «بوردين» كان رجل أعمال ثريًّا وناجحًا، ولكنه كان شحيحًا وحريصًا على ماله وقاسيًا في عالم التجارة والمال مما خَلَقَ له الكثير من الأعداء، إلا أنه لم يكن يُقصِّر أبدا في الإنفاق على ابنتيْه، فقد تلقَّتا أفضل تربية وتعليم، ولكنهما لم تكونا راضيتيْن عن طريقة حياة العائلة.

وكانتا تُلِحَّان دائما على والدهما من أجل شراء بيت أكبر وفي منطقة أرْقَى من المدينة،

كما أن علاقتهما مع زوجة أبيهما السيدة «بوردين»، لم تكن على ما يرام، حيث كانت متوتِّرة ومشحونة، خصوصًا مع ليزي ومما زاد الطين بلَّة والعلاقة سُوءًا، هو قيام السيد بوردين بتسجيل المنزل باسم زوجته، رغم أنه اشترى في نفس الوقت بيتًا لا يقل حجْمًا وقيمة لكل من ابنتيْه على حِدَة، إلا أن ذلك لم يقلل من غضبهن.

فقد تناهى إلى سمْعهما بأن والدهما بصَدد تغيير وصيته التي ترك بموجِبها ثروته كلها لهما، وأنه ينوي إشراك زوجته معهما في الإرْث.

قبل يومين من وقوع الجريمة أُصِيبَ السيد والسيدة بوردين بوعْكة صِحِّية، كانت عوارضُها أشبه بتلك المرافقة للنَّزْلَة المَعَوِيَّة والتسمُّم، وقد شخَّص طبيب العائلة حالتهما على أنها بسبب تناول غذاء رَدِيء، وفي مساء ذلك اليوم حضر إلى المنزل السيد «جون مورس»، وهو خال «إيما وليزي» ولكن علاقته معهما كانت سيئة بسبب مساندته لزوجة أبيهما في محاولتها إقناع السيد «بوردين» لتسجيل المزرعة باسمها، حيث كانت قد وعدته بتعيينه وكيلًا عليها.

وفي صباح يوم 4 آب / أغسطس عام 1892م، استيقظ السيد بوردين والسيد موريس باكرًا، وتناولا الفطور الذي أعدَّتْه لهما الآنسة «بيردكيت سيولفان»، وهي مهاجرة إيرلندية شابة كانت تعمل كخادمة لدَى العائلة منذ ثلاث سنوات وتقْطن في غرفة صغيرة في أعلى المنزل.

وفي حوالي الثامنة والنصف صباحًا، غادر السيد بوردين والسيد موريس المنزل من أجل القيام ببعض الأعمال في المدينة، وكانت «إيما» تقضي عُطْلة خارج المدينة، ولم يكن في المنزل سوى السيدة بوردين التي صعدت إلى الطابق العُلْوي لترتيب أغطية الأسِرَّة، وليزي التي كانت قد عادت إلى المنزل في الليلة السابقة حيث قطعت فجأة عُطْلتها القصيرة التي كانت تمضيها مع بعض الصديقات.

أما الخادمة «بيردكيت» فكانت تقوم بتنظيف زجاج شبابيك المنزل حيث أمرتْها

السيدة بوردين بذلك، وقد شرعت بعملية التنظيف من الخارج، وعادت لتكمل عملها من الداخل قرابة الساعة العاشرة والنصف صباحًا، وهو الوقت الذي عاد به السيد بوردين إلى المنزل.

وقد نزلت ليزي من الطابق العُلْوي، وأخبرت أباها بأن السيدة «بوردين» غادرت المنزل على عجَل بعد أن استلمت قصاصة من إحدى الجارات تطلب مساعدتها، وبعد ذلك بقليل تمدَّد السيد «بوردين» على إحدى الأرائك في غرفة الاستقبال طلبا للراحة.

وتبادلت «ليزي» حديثًا قصيرًا مع الخادمة «بيردكيت» التي سرعان ما أنهتْ عملها وذهبت إلى غرفتها في الأعلى لترتاح قليلا.

ولكن لم يمض وقت طويل، أي بعد الساعة الحادية عشرة صباحًا بقليل، حتى سمعت الخادمة «بيردكات» صرخات الآنسة «ليزي» بأن شخصًا ما قام بقتل أبيها، وعندما نزلت الخادمة إلى الطابق الأسفل وجدت السيد بوردين وهو مسْتلْقٍ على الأريكة والدم ينزف بغزارة من رأسه، حيث يبدو أنه تعرَّض إلى ضربة قوية من آلة حادَّة مزَّقتْ وجهه وأخرجت عينه اليسرى من مَحْجرها، ودمَّرتْ جزءًا من أنفه وخدِّه.

وفي هذه الاثناء بدأ الجيران يُهرعون إلى المنزل للمساعدة، وعندما قام بعضهم بتفتيش المنزل بحثًا عن القاتل، اكتشفوا جثة السيدة بوردين في غرفة الضيوف في الطابق الثاني وقد تعرَّضت إلى ضربات متوالية هشَّمتْ رأسها بشكل كامل.

التحقيق:

سرعان ما وصلت الشرطة إلى مكان الحادث، وبدأت بفحْص الجثث وجمْع الأدلة، حيث تبيَّن أن القاتل استعمل فأسًا قصيرًا (بلْطة) كسلاح للجريمة، وأنه استعمل عنصر المفاجأة في القيام بجريمته، فيبدو أنه هاجم السيدة بوردين خلْسة من الخلف، بينما كانت منْحنية لترتيب أغطية الأسِرَّة، وعاجلها بحوالي تسع عشرة ضربة قوية هشمتْ جمجمتها، ونثَرتْ دمها على الحائط وأنحاء الغرفة.

أما السيد بوردين فتعرَّض إلى ضربة قوية في وجهه بينما كان مستغرقًا بالنوم على الأريكة، كما أنهم اكتشفوا بأن السيدة بوردين قُتِلتْ أولًا في حوالي الساعة التاسعة والنصف صباحًا، وأن السيد بوردين قُتِل بعدها بحوالي الساعة، أيْ بعد الساعة العاشرة والنصف صباحًا بقليل. وعند سؤال الشرطة لليزي حول مكان تواجدها عندما قُتِل والدها، أخبرتهم بأنها خرجت إلى الحظيرة لجلْب بعض الأغراض في حين كانت الخادمة «بيردكيت» تستريح في غرفتها في الأعلى.

أثناء التحقيقات عثرت الشرطة على بلْطة مخْفِيَّة بعناية في رماد مَوْقِد القَبْو، وقد كان مقبضها مفقودًا، ورغم أنها كانت نظيفة من آثار الدماء إلا أن المحققين اعتقدوا بأنها كانت سلاح الجريمة، وأن مقْبضها تمَّ كسْرُه وإخفاؤه، إلا أن الشرطة لم تستفد من هذا الدليل بسبب عدم رفْعها للبصمات الموجودة على البلْطة، والتي كانت تُعْتَبر في ذلك الزمان تكنولوجيا جديدة ومتطورة في عالم التحقيقات الجنائية. الشرطة لم تعثر على أيَّة ملابس مُغطَّاة بالدماء، إلا أنه بعد عِدَّة أيام من الجريمة تمَّ مشاهدة «ليزي» وهي تقطع أحد ملابس النوم، وتقوم بحرْقه في مَوقِد المطبخ، مدَّعِيةً بأنه لباس قديم ملوَّث بالصبْغ.

وخلال التحقيقات اكتشف المحققون أن «ليزي بوردين» حاولت شراء نوع من السُّمُوم من إحدى الصيدليات، وهو مما جعلهم يشكون بأن السيد والسيدة «بوردين» تعرضا لمحاولة قتْل عن طريق السُّم، خاصة وأنهما اشتكيا من أعراض شبيهة بتلك المرافقة للتسمُّم قبل يومين من مقتلهما، إلا أن تشريح الجثتين لم يجد أيَّ أثر للسُّمِّ فيهما. وبعد أسبوع من حدوث الجريمة قامت الشرطة بإلقاء القبض على «ليزي بوردين» بتهمة قتْل والدها وزوجة أبيها، إلا أنه وبعد محاكمة قصيرة تمَّتْ تبرئتها من قِبَل هيئة المحلِّفين، وأطلق سراحها وذلك بسبب عدم وجود الأدلة الدامغة التي تُدينها، أضِفْ إلى ذلك الصدمة الاجتماعية التي سبَّبها إلقاء القبض عليها، حيث لم يتقبل المجتمع أن تقوم فتاة محافظة ومتعلِّمة وغنية بقتْل عائلتها.

نظريات حول الجريمة:

خلال مئة عام من حدوث الجريمة، قام العديد من المحققين والباحثين بمحاولة وضْع نظرية منطقية ومعقولة لِمَا حدَث في منزل عائلة «بوردين» في ذلك اليوم المشؤوم، وإليك -عزيزي القارئ أشهر هذه النظريات، تاركين الحُكْم لك حول أقربها إلى الحقيقة والتصديق:

البعض يظن أن القاتل دخل إلى المنزل خِلْسة، وقام بقتْل السيدة «بوردين» ثم انتظر لساعة من الزمن حتى عاد السيد «بوردين» إلى المنزل فقتله وفرَّ هاربًا، وهذه النظرية يصعب تصديقها.

فمن ناحية كيف دخل هذا الشخص إلى المنزل، خاصة وأن السيد بوردين كان معروفًا بحرصه الشديد، وكانت جميع الأبواب في المنزل فيها أقفال قوية، ثم كيف لم تشاهده الخادمة أو «ليزي بوردين» وكيف اختبأ لساعة كاملة داخل المنزل ليقوم بجريمته الثانية؟ وما أدراه بموعد عودة السيد بوردين؟ ماذا لو لم يعُد السيد بوردين إلى المنزل حتى المساء؟



Celebrate the rat
Make your way to Chinese New Year festivals

The Drive: Presidents' Day Autos

The Boston Globe

Child in newly discovered photo believed to be Lizzie Borden

Officials keep close watch on 2 Taunton dams

Close call for rescuers in Lawrence house fire

إن ليزي قامت أوَّلًا بقتْل زوجة أبيها في الطابق العُلْوي، ثم قامت بتغيير ملابسها المغطاة بالدم، وانتظرت لساعة من الزمن حتى عودة أبيها من خارج المنزل، حيث أخبرتْه أن السيدة «بوردين» قد استلمتْ قصاصة من الجيران غادرت على إثرها المنزل، رغم أن المحققين لم يجدوا أثرًا لهذه القصاصة المزعومة، وأن السيدة «بوردين» لم تغادر المنزل ذلك الصباح، بل كانت في تلك الأثناء تسبَح في دمها في الطابق العُلْوي. ثم قامت ليزي بإجراء حديث مع الخادمة، وبعد أن تأكَّدتْ من صعودها إلى غرفتها قامت بقتْل والدها أثناء نومه، ثم غيَّرتْ ملابسها للمرة الثانية، ونادت على الخادمة مدَّعِية أن شخصًا ما هاجم والدها وقتَلَه.

غير أن نقاط الضعْف في هذه النظرية، هي أن الضربات التي تلقَّتْها الضحية كانت من الشدة والقسوة بحيث انتشرت الدماء على الجدران، وفي أنحاء الغرفة، ولا بُدَّ من أنها غطَّتْ ملابس القاتل أيضا، لكن الشرطة لم تجد أبدًا أي ملابس مُغطَّاة بالدم، وهو الأمر الذي دفع البعض إلى الاعتقاد بأن «ليزي» قامت بجريمتها، وهي عارية تمامًا ثم قامت بغسْل جسدها في الحظيرة، لكن الوقت القصير الذي يفصل بين مقتل والدها ونزول الخادمة من غرفتها تجعل من هذه النظرية صعبة التصديق.

نظرية أخرى ظهرت في أربعينيات القرن المُنْصَرِم، تقول بأنه كان للسيد بوردين ابنٌ غير شرعي اسمه وليم، وأن هذا الابن كان يُلِحُّ على والده لكي يعترف به، ويدخله في وصيَّته إلا أن السيد «بوردين» رفض ذلك خشية الفضيحة، فقام وليم بقتْله وزوجته انتقامًا.

نظرية أخرى تعتقد أن القاتل الحقيقي هو «إيما بوردين»، الشقيقة الكبرى لـ: «ليزي»، والتي كانت في يوم الحادثة تقضي عُطْلة مع مجموعة من الأصدقاء في منطقة تبعد خمسة عشر كيلو مترًا عن منزل العائلة.

فبحسب هذه النظرية فإن «إيما» عادت إلى المنزل خِلْسة في يوم الجريمة، وقامت بقتْل والدها وزوجته، ثم عادت أدراجها مسرعة لتُمْضي بقية اليوم مع أصدقائها خارج

المدينة، وإن «ليزي» كانت متواطئة معها، حيث رغم ظهور «إيما» أثناء المحاكمات على أنها الشقيقة الداعمة والمسانِدة لأختها، إلا أن إحدى السجَّانات ادَّعتْ بأنها سمعت الأُختيْن تتشاجران بحِدَّة في إحدى المقابلات بينهما أثناء الفترة التي قضتْها «ليزي» في السجن.

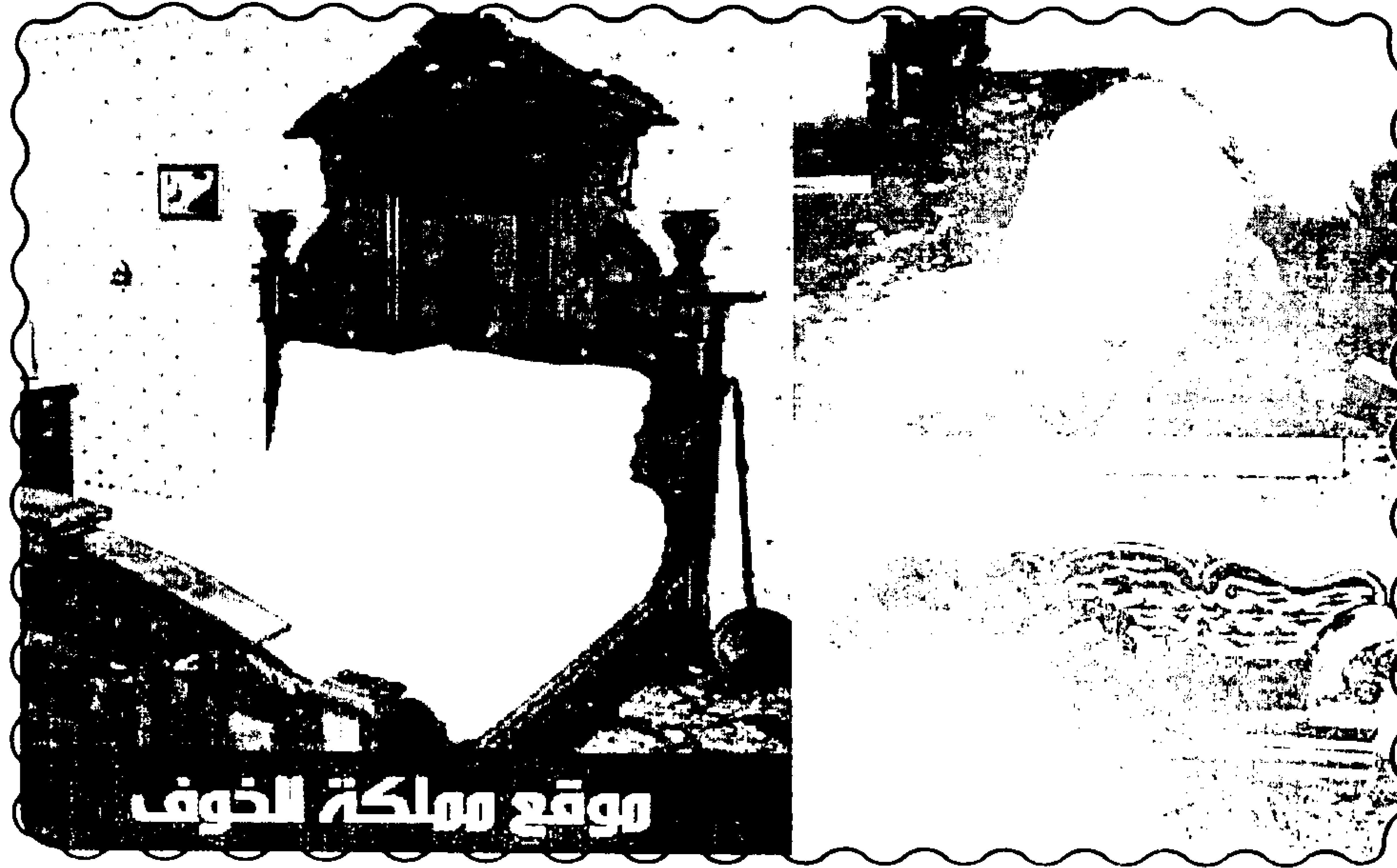
إحدى النظريات التي تلقَى رواجًا تعتقد أن الخادمة «بيردكيت» كانت متواطئة مع «ليزي» في قتْل السيد والسيدة «بوردين» مقابل المال أو بسبب حقْدها على السيدة بوردين التي كانت تعاملها بقسوة، وأن الاثنتين نفَّذَتا الجريمة، وقامتا بمسْح أثارها بهدوء ورَوِيَّة.

ثم قامتا بالصراخ وإخبار الجيران بعد أن أعدَّتا مسْرح الجريمة بِدقَّة، وذلك يُفَسِّر كيف أن قاتل السيدة «بوردين» تمكن من الانتظار بهدوء داخل المنزل لساعة من الزمن دون أن يكتشفه أحد ثم نفذ جريمته الثانية، ويُفسِّر أيضًا إخفاء سلاح الجريمة والملابس المُغطَّاة بالدم، وأن «ليزي» والخادمة «بيردكات» لم تلْتقيا أبدًا بعد يوم الحادثة.



وهناك نظريات أخرى كثيرة، ومتهمون آخرون، بعضهم يظن أن «لجون موريس» يدًا فيما جَرَى وآخرون يتهمون طبيب العائلة، وهناك من يعتقد أن القاتل هو أحد أعداء السيد «بوردين» في العمل التجاري، وفريق آخر يظن أن «إيما وليزي» و«بيردكات» كن جميعهن متواطئات في الإعداد للجريمة، وتنفيذها، لكن يبْقَى اللُّغْز بدون حَلٍّ، وأظنه سيبقَى كذلك إلى الأبد خصوصًا بعد أن رحل، ومنذ زمن طويل، جميع المتهمين والشهود إلى الدار الآخرة.

بعد الجريمة:



إلى اليمين صور حقيقية ملْتَقطة لجثث السيد والسيدة بوردين. حيث تبدو السيدة بوردين، وهي منكبة على وجهها مما يدل على أن القاتل هاجمها من الخلف. في حين تتمدد جثة السيد بوردين على الأريكة حيث تعرَّض إلى ضربة على وجهه أثناء موته. وإلى اليسار صورة للغرفة التي وُجِدَتْ فيها جثة السيدة بوردين.

بعد تبرئة «ليزي» آلتْ ثروة السيد «بوردين» إلى بناته مناصفة ولم تمض سوى خمسة أسابيع حتى قامتَا بشراء قصْر ضخم في أحد أرْقَى أجزاء المدينة، فثروة السيد بوردين كانت تقدر بنصف مليون دولار، ولا تنْس عزيزي القارئ بأننا نتحدث عن عام 1892م، أي ما يعادل مئات الملايين من الدولارات في عصرنا الحالي. ورغم أن «إيما بوردين» ساندت أختها ليزي أثناء اعتقالها ومحاكمتها، إلا أن العلاقة بين الأختيْن تدهورت تدريجيًّا بعد ذلك، وفي عام 1905م. تشاجرت الأُختان بسبب ما كان يُشاع حول علاقة ليزي مع الممثِّلة المسرحية «نانسي أونيل» (Nance O'Neil) وهي إحدى أشهر فنانات ذلك الزمان، حيث يُعْتَقد بأن علاقة جنسية شاذة كانت تربط بين المرأتين، وأن ليزي كانت تُنْفق الأموال ببذخ على أونيل.

لذلك غادرت «إيما» المنزل غاضبة وانتقلت للعيش في مدينة أخرى، وظلت العلاقة مقطوعة بين الأختيْن بشكل كامل حتى وفاتها.

بالنسبة لــ: «ليزي» فقد عاشت بقية حياتها وحيدة، ولم تتزوج أبدًا، ورغم أنها قامت بتغيير اسمها إلى «ليزابث اندرو بوردين»، إلا أنها ظلت غير مُرحَّب بها في المناسبات الاجتماعية، وظل الكثير من الناس يُعْتَقد بقوة بأنها قاتلة أبيها وزوجته. وفي سنواتها الأخيرة أُصِيبَتْ بمرض رِئَوي ألزمها الفراش حتى ماتت وحيدة عام 1927م.

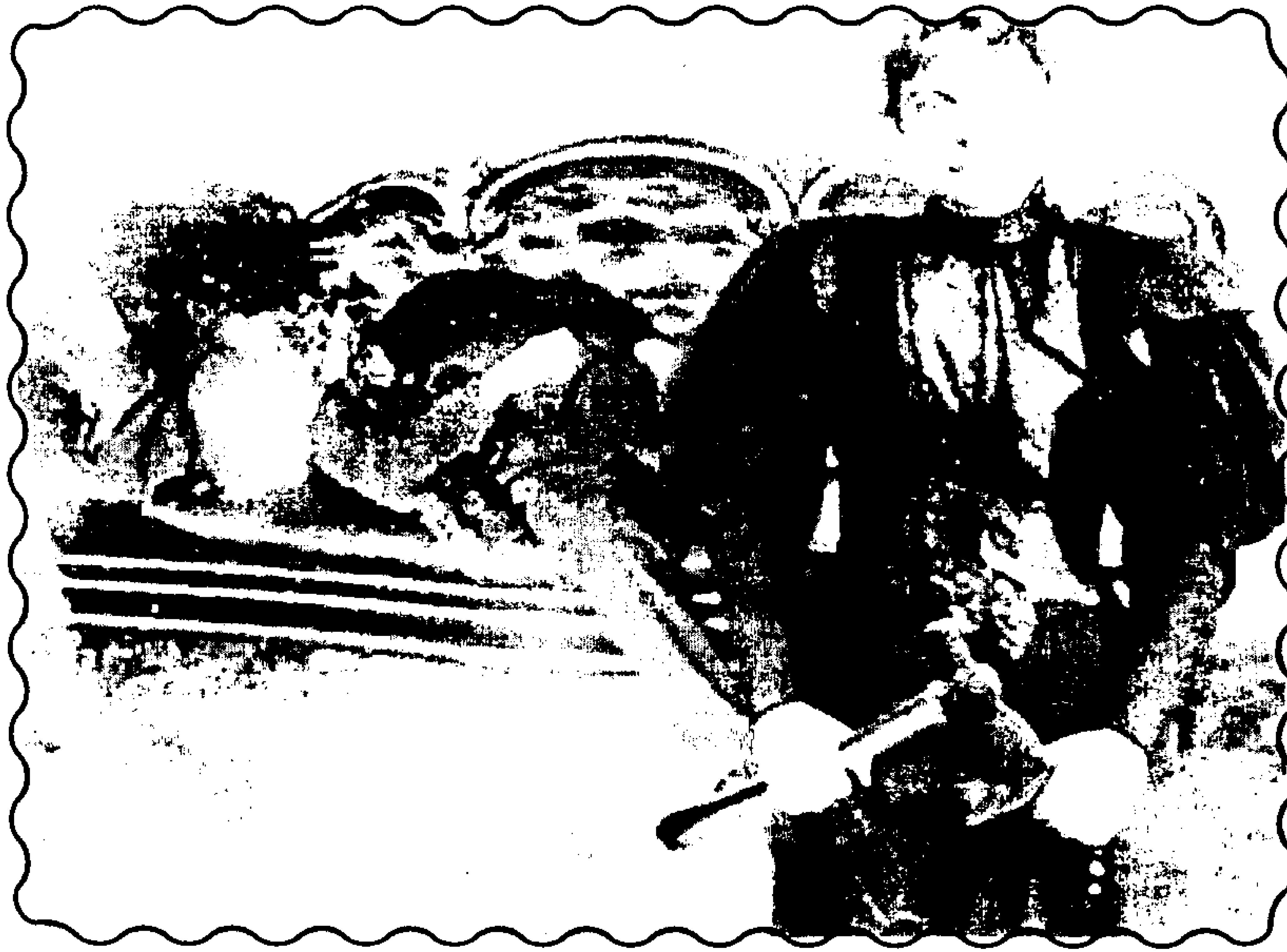
ورغم أن أختها «إيما» علمت بموتها إلا أنها لم تحضر إلى مراسم دفْنها، وتشاء أقدار الله أو الحكمة الإلهية، أنْ تلحق بأختها بعد أقل من أسبوعين، حيث وقعت من السُّلَّم في منزلها وماتت وحيدة أيضا حيث لم تُنْجِب أيَّ أطفال، وقد دُفِنَتْ الاثنتان في مقابر العائلة إلى جانب قبرَيْ والدهما وزوجته.

أما الخادمة «بيردكات» فقد تركت العمل عند «آل بوردين» في اليوم التالي لحدوث الجريمة، ولم تلتق «بليزي» و«إيما» ثانية، وقد ماتت عام 1940م. في وِحْدة وفَقْر مُدْقع.

أشباح منزل آل بوردين:

بعد سنوات من حدوث الجريمة تحوَّل منزل «آل بوردين» إلى فندق ومتحف، وقد زاره الكثيرون من أنحاء الولايات المتحدة ليمضوا ليلة في الغرفة التي قُتِلتْ فيها السيدة بوردين، إلا أن تلك الليالي لم تكن جميعها هادئة، حيث يبدو أن بعض الأرواح المعذَّبة لا زالت تجوب المنزل بعد مئة عام على حدوث الجريمة.

وقد تقاسم الزُّوَّار والعاملون في المنزل تجارب غريبة، البعض منهم كان يسمع صوت بكاء امرأة في الطابق العُلْوي، ولكنهم لم يكونوا يجدون أيَّ شيء في الغُرَف عندما يفتشونها.



وفي وصيتها، تركت ليزي و«إيما» جُلَّ ثروتها إلى المؤسسات الخيريَّة، ورصدَتْ ليزي مبلغًا من المال للعناية بقبر والديها، وهكذا فإن المال الذي كان سببًا لتوتُّر العلاقة بينهما وبين والدهما آلَ في النهاية إلى الجمعيات الخيرية !!

البعض الآخر أقسموا بأنهم شاهدوا امرأة ترتدي ملابسَ تعود إلى العصر الفيكتوري (زمن حدوث الجريمة) وهي تتنقل داخل المنزل لتمسح التراب عن الأثاث والأسِرَّة.

وأحيانًا كان هذا يحدث بينما ضيوف الفندق ما زالوا في أُسْرتهم مما كان يُسبِّب موجة من الصراخ والهستريا المُرْعبة في أرجاء المنزل، آخرون سمعوا أصوات أقدام تصعد وتهبط السُّلم دون أن يكون هناك أيُّ أحد في المنزل.

وأحيانًا تُفْتَح الأبواب وتُغْلَق من تِلْقاء نفْسها، ويتناهَى إلى الأسماع أصوات أشخاص يتحدثون إلى بعضهم في مكان ما من المنزل، وربما كانت أشد تلك التجارب رُعْبًا هي رؤية شبح لشخص تظهر علامات الحيْرة والاضطراب على حركاته، كأنه لا يُصدِّق ما تعرَّض له، يدور في المنزل كأنما يبحث عن شيء فَقَده، وقد تحوَّلتْ عيْنُه اليُسْرَى إلى تجويف مُظْلِم كبير[1].

1- نقلا --ببعض التصرف- عن مقال: (لغز فتاة هشمت رأس أبيها بالفأس!!) المنشور في الموقع العربي: (Nightmare/ كابوس)، بتاريخ (١٢ / ٠٤ / ٢٠٠٩م). والموقع العالمي: (FromWikipedia، the free encyclopedia) تحت عنوان: (Lizzie Borden).

23

القاتلة الأسطورة ..
لُغز بيل جونيس



صورة نادرة لـــ: «بيل جونيس مع أطفالها الثلاثة الذي يُعْتَقَد أنها قتلتْهم جميعًا خنْقًا بيدها

قاتلة لم يعرف قلبها الرحمة، كانت تستمتع بتشريح وتقطيع جثث ضحاياها ورَمْي أشلائهم إلى الخنازير الجائعة لتلْتهمها، وكل هذا من أجل المال الذي كانت تعشقه بجنون إلى الحدَ الذي لم تُبالِ بقتْل أطفالها من أجله.

أصبحت حياتها وموتها لُغْزًا حيَّر المحققين والباحثين لعقود طويلة تحوَّلتْ خلالها إلى اسطورة احتلَّتْ مكانها بجدارة بين أشهر القتلَة والمجرمين في التاريخ.

لم ترحم حتى أطفالها وقتلتْهم بدم بارد!!

العام 1907م، ليلة مظلمة ومُمْطِرة، جميع الأنوار مُطْفأة في بلدة «لابورتي» باستثناء نور المصباح الباهت المنبَعَث من أحد المنازل الخشبية الكبيرة والمنعزلة عن البلدة.

كل شيء في تلك الليلة كان مرعبًا، ولكن لو قُدِّر لك عزيزي القارئ أن تقترب من إحدى نوافذ ذلك المنزل لعرفت المعنى الحقيقي للرعب، هناك خلف النافذة المتراقصة بفعل الريح العاصفة، داخل ذلك المنزل كانت تنتصب امرأة طويلة القامة وضخمة الجثة، قَسَمات وجهها تفيض قسوة، وقد تناثرتْ خصَلات شعرها الذهَبي حول رأسها بدون اعتناء لِتُضْفِي على مظهرها المزيد من الفظاظة والوحشية.

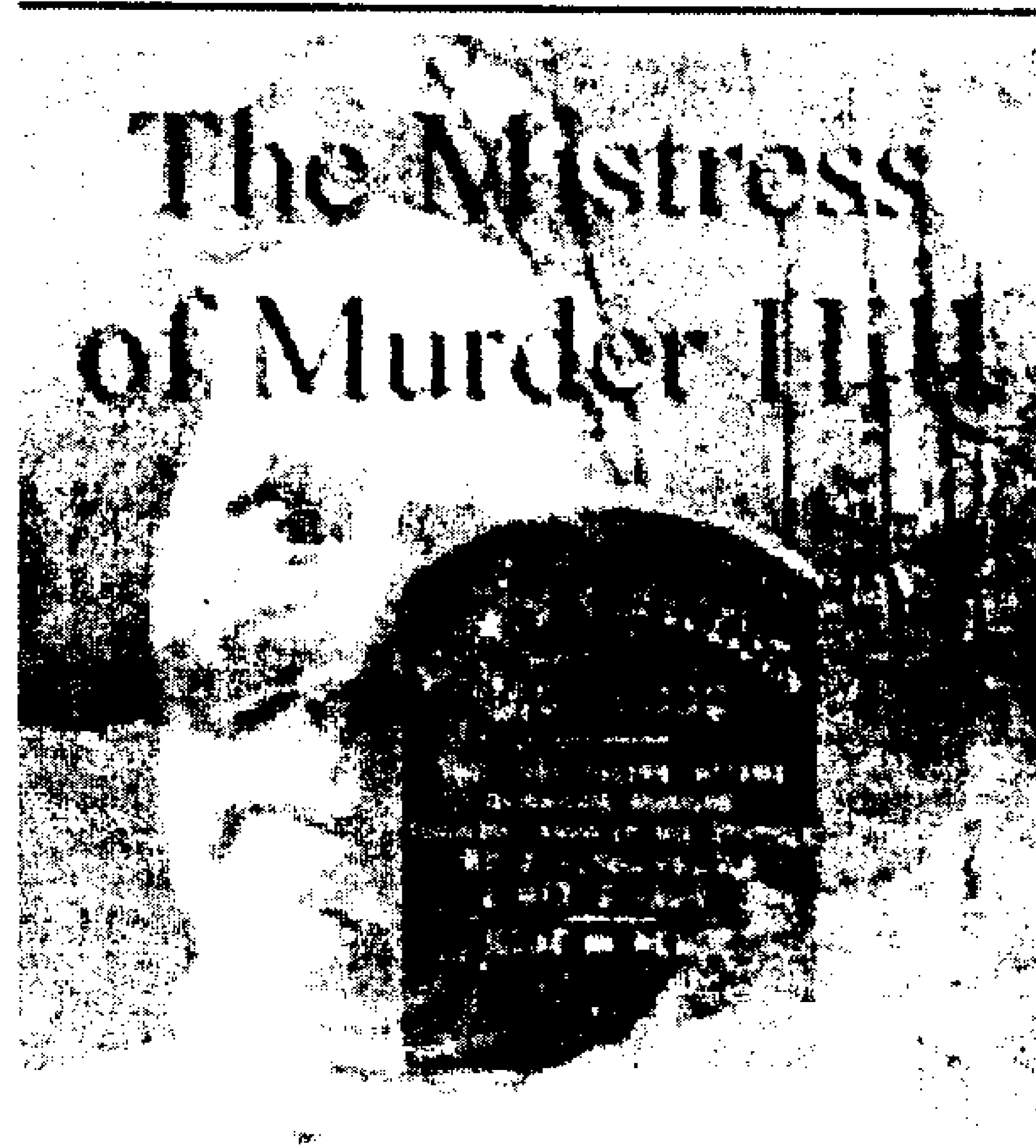
كانت تمسك بيدها ساطورًا ضخْمًا تهْوِي به على جثة أحد الرجال العارية والمُمدَّدة أمامها على الطاولة، بين الحين والآخر كانت تمْسح قطرات العَرَق والدم المتناثر على وجهها، أخذت تُقطِّع الأطراف والأعضاء إلى قِطَع صغيرة.

واستمرت بالعمل حتى اختفت الجثة وتحولت الى سَطْلَيْن خشبِيَّيْن كبيريْن مملوئيْن بِقَطع اللحْم البَشرية، حملتْهما بهدوء الى الحظيرة وأفرغتْهما بسرعة أمام الخنازير الجائعة التي سرعان ما التهمتْ وجْبَتها الشهيَّة.

عادت المرأة إلى المنزل، ثم سرعان ما خفتَتْ الأضواء، وغرقت البلدة في ظلام وسكون تام لم يُمزِّقه سوى ضوء البرق وصوت الرعد الهادر.

البداية من النرويج

رغم أن الكثير من الأساطير والشائعات دارت حول حياة «بيل جونيس» التي كانت بحق لُغْزًا كبيرًا لا يزال يُؤرِّق الكثير من الباحثين، إلا أن المتفق عليه هو أنها وُلِدتْ عام 1859م. لعائلة نرويجية فقيرة مكوَّنة من الأب والأم وثمانية أطفال كانت «بيل» أصغرهم.



لا يُعْرَف الكثير عن طفولتها، ولكن وحسب برنامج للتلفزيون النرويجي عنها فإنها تعرّضتْ في ريعان شبابها إلى حادث كان له أثر كبير في صياغة شخصيتها القاسية، فبينما كانت ترقص في إحدى المناسبات وهي حامل، تعرَّضت إلى اعتداء من شخص بالغ ضربها بقسوة على بطنها مما أدَّى الى إجهاض طفلها، ورغم أنها تعافت من هذا الحادث سريعًا ألا أن جميع مَن عرفها اتفقوا بأن شخصيتها تبدَّلتْ بشكل كبير وملحوظ بعد هذا الحادث، وربما كان هذا سببًا رئيسيًّا لإصرارها على الهجرة إلى أمريكا فقد عملت لمدة ثلاث سنوات في أحد المزارع الكبيرة من أجل أن تجْمَع ثمن تذكرة الرحْلة بالسفينة إلى العالم الجديد.

الهجرة إلى العالم الجديد:

وفي عام 1881م. تحقَّق حلْمها ووصلت إلى أمريكا لتعيش مع أختها التي كانت قد سبقتْها بالهجرة، وقد عملت في البداية كخادمة، وكان همها الوحيد هو جمع المال وبأيِّ

طريقة كانت، وقد وصفت أُختها وَلَعها هذا قائلة: «بيل كانت مهووسة بجمْع المال والذي كان نقطة ضعْفها الرئيسية».

في عام 1884م. تزوجت من «مادز سورينسون» في شيكاغو، وقد قام الاثنان بافتتاح مَتْجَر للحلويات، إلا أنه كان مشروعًا فاشلًا، وقد احترق المحلُّ فجأة بعد عدة أشهر، وادَّعتْ «بيل» أن النار اشتعلت نتيجة انفجار مصباح نِفْطِي، ورغم أنه لم يُعْثَر أبدًا على أيِّ أثر لهذا المصباح المزعوم إلا أن «بيل» استلمت قيمة التأمين على المحل كاملة، واستخدمت المبلغ في شراء أحد المنازل الذي سرعان ما احترق هو الآخر لتستلم مبلغ التأمين عليه هو أيضا، وتشتري منزلًا آخر.

رُزِق الزوجان بأربعة بنات توفيت اثنتان منهن بعد إصابتهما بصورة مفاجئة بالحُمَّى والإسهال والتقيُّؤ وهي علامات تشبه أعراض التسمُّم، وقد استلمت «بيل» مبلغًا كبيرًا من شركات التأمين؛ لأن الطفلتيْن كانتا مُؤَمَّنًا على حياتهما.

في عام 1900 مات زوجها فجأة، بعد يوم واحد فقط من سحْب بوليصتَيْ تأمين على حياته!! ورغم أن العديد من أقاربه أصرُّوا على أنه تعرَّض للتسمُّم إلا أن طبيب العائلة سجَّل سبب الوفاة على أنها حملة قلْبية واستلمت «بيل جونيس» 8500 دولارًا من شركة التأمين، وهذا المبلغ كان يعادِل ثروة في ذلك الزمان قامت «جونيس» بواسطته بشراء مزرعة في منطقة «لابورتي» في ولاية «انديانا» وانتقلت للعيش فيها مع ابنتيْها.

بيت المزرعة والرعب القادم:

منزل «بيل» الجديد في المزرعة كان في السابق بيت دعارة، وكان يحتوي على عدة أقسام ترفيهية، وهناك تعرفت «بيل» على زوجها الثاني عام 1902م. والذي حملتْ لقَبه فيما بعد.

كان «بيتر جونيس» مهاجرًا نرويجيًّا قويَّ البِنْية يُدير مزرعة لتربية الخنازير ويعمل قصَّابًا (جزَّارًا) أيضا، وكان متزوجًا سابقًا وله طفلتان ماتت إحداهما فجأة، وبعد أسبوع واحد فقط من زواجه من «بيل».

وفي ديسمبر عام 1902م. مات «بيتر جونيس» نتيجة لتعرُّضه لحادثة مروِّعة، فحسَب ادعاء «بيل» فإن آلة معدنية ضخمة سقطت على رأس زوجها عرَضًا من أحد الرفوف فحطَّمتْ جمجمته وقتلتْه في الحال.

لم يُصدِّق أحد رواية «بيل» فزوجُها «بيتر» كان رجلا قويًّا وكان يدير مزرعة ضخمة، ولم يكن رجلًا أخرق ليموت بهذه الطريقة، وقد انتهت لجنة تحقيق إلى أن الحادثة هي جريمة قتْل، واتُّهِمَتْ «بيل» بتدبيرها.

ومما زاد الطين بلَّة هو أن «جيني» ابنة «بيتر جونيس» ذات الأربعة عشر ربيعًا أخبرت إحدى زميلاتها في المدرسة بحقيقة ما حدث لوالدها قائلة: «لقد قامت أمي بقتْل أبي، لقد ضربتْه بالساطور على رأسه فمات في الحال، أرجو أن لا تُخْبري أحدًا بذلك». لكن فيما بعد أنكرت «جيني» أقوالها أمام المحققين، وأصرَّتْ «بيل» على أنها بريئة من حادثة مقتل زوجها، وبسبب أنها كانت حاملًا بطفل من زوجها (وُلِد عام 1903م. وسَمَّتْه فيليب) ولأنها تُجيد التظاهر والتمثيل فقد استطاعت إقناع المحققين بإطلاق سراحها، وإسقاط التهمة عنها.

أما بالنسبة لابنة زوجها «جيني» التي كانت الشاهدة الوحيدة على جريمة قتْل والدها فقد اختفت فجأة عام 1906م. وقد أخبرت «بيل» الجيران بأنها أرسلتْها إلى إحدى المدارس الخاصة في شيكاغو، إلا ان الحقيقة هي أنها قتلت «جيني» وسيكتشِف المحققون جثتها لاحقًا في المزرعة.

عروس الموت .. الفخ القاتل:

في هذه الاثناء قامت «بيل» باستئجار رجل أعزب اسمه «راي لامفر» ليساعدها في إدارة المزرعة، كما قامت بنشْر الإعلان الآتي في جميع جرائد المُدن الكبيرة: «أرملة جميلة تملك مزرعة كبيرة في واحدة من أفضل مناطق ريف لابورتي - انديانا، ترغب بالتعرُّف على سيد محترم يكون مساويًا لها في المقام وموافق على دمْج ثروتيْهما. لن تقبل أيَّ

رسالة مالم يكن المرسِل مستعِدًّا للقيام بزيارة شخصية بعد الرد. هذا الإعلان للجادِّين فقط».
بعد هذا الإعلان بدأ الرجال يتوافدون من كل حدَب وصوْب نحو مزرعة «بيل جونيس»، كان أغلبهم طامعًا بثروة الأرملة الجميلة، وهم يظنون أنهم وقعوا على صيْد سهل وغنيمة مباحة، ولكن لم يَدُر بخَلَدهم بأنهم هم من أصبحوا صيْدًا وغنيمة، وأنهم لن يغادروا هذه المزرعة ثانية وهم أحياء.

كان جميعهم من ميسوري الحال، وأغلبهم جلَب معه كل ثروته على شكل نقْد أو شيكات، كانوا جميعًا يختفون بعد أقل من أسبوع على تواجدهم في المزرعة، ولم يرهم أحد بعد ذلك، لم ينْجُ منهم سوى شخص واحد اسمه «جورج أندرسون»، الذي لم يجلب كل ثروته معه إلى المزرعة، ولم تعجبه «بيل» كثيرًا، فهي لم تكن بالجمال الذي توقَّعَه، كما أنه أدرك بأنها امرأة قاسية.

وحين فاتحتْه «بيل» بأمر المال أخبرها أن عليه العودة إلى المدينة ليجلب بقية ماله، وفي تلك الليلة وبينما كان «اندرسون» نائمًا استيقظ على صوت في الغرفة وفتح عينه ليرى «بيل» تقف فوق رأسه وهي مُمْسكة بشمعة، كانت هناك نظرة غريبة ومرْعبة في عينيْها جعلتْه يصرخ هلعًا، فتركتْه وخرجت من الغرفة على عجَل، أما هو فقد انتفض من سريره وهو يرتجف رُعْبًا، ولبس ملابسه وهرب من المنزل، ولم يره أحد في «لابورتي» مرة أخرى.

لغز المرأة المقطوعة الرأس:

مع ازدياد عدد الرجال المختفين في المزرعة بدأت الشكوك تحوم حول بيل جونيس، وبدأ الكثير من أقارب الضحايا بالبحث عنهم، وكانت «بيل» تخبرهم بأنهم غادروا مزرعتها، وأنها لا تعلم شيئًا عنهم.

في هذه الأثناء واجهت «بيل» مشكلة جديدة، حيث كان «لامفر» مساعدها في المزرعة يَهِيم بها حُبًّا وعِشْقًا، وبدأت الغَيْرة تأكل قلبه مع توافد المزيد والمزيد من الرجال

والخاطبين، وأخذ يتصرف بتهوِّر ونَزَق، مما أجبر «بيل» على فصْله من عمله، ثم قامت بإخبار الشريف بأنه قام بتهديدها.

إلا أن «لامفر» أخذ يُهدِّدها بكشْف ما يعرفه من أسرارها، وبينما بدأت الأمور تزداد سُوءًا بالنسبة لها فقد بدأت «بيلي» على ما يبدو بالإعداد لأمر ما، حيث قامت بالذهاب إلى محاميها في البلدة، وأخبرتْه بأنها تخشى على حياتها بسبب تهديدات «لامفر» وقامت بوضْع وصية تذهب ثروتها بموجِبها إلى أطفالها الثلاثة، كما قامت بسداد جميع حساباتها في البنوك، وسحْب جميع موجوداتها. في 28 أبريل عام 1908م. استيقظ عامل المزرعة الذي ينام في الطابق الثاني للمنزل على رائحة دخان خانقة، وعندما فتح باب غرفته رأى النيران تلْتهم المنزل، ففرَّ هاربًا من النافذة، وهُرع إلى البلدة لِطَلَب النجْدة.

و في الصباح كان منزل «بيل جونيس» قد تحوَّل الى كَوْمة رماد وجدوا في داخله أربع جثث محترقة مُمدَّدة واحدة جنْب الأخرى، الأولى كانت لسيدة، ولكنها كانت بدون رأس، بالإضافة إلى ثلاث جثث أخرى كانت تعود لأطفال. بالنسبة للسيدة مقطوعة الرأس فلم يتمكن المحققون من التعرُّف عليها، فيما إذا كانت تعود إلى «بيل جونيس» رغم أن الجيران شهدوا بأنها لا يمكن أن تكون لـــ: «بيل» فهي أقصر قامة وأصغر حجْمًا، ولكن طبيب الأسنان الخاص بـــ: «بيل» قال: إن الجثة تعود لها، لأن المحققين وجدوا إلى جانبها اثنتين من الأسنان الصناعية التي كان قد صنعها لها.

في الحقيقة سيدوم هذا الجدل حول جثة المرأة المقطوعة الرأس لمئة سنة أخرى، لكن بالنسبة إلى جثث الأطفال فقد تمَّ التعرُّف عليها بسرعة، حيث كانوا أطفال «بيل» الثلاثة، البنتين والطفل الصغير .

بدأ المحققون بالتفتيش والحفْر في أرجاء المزرعة، وبدأت الجثث تظهر الواحدة تِلْو الأخرى، كانت هناك عشرات الجثث، في حظيرة الخنازير، وفي أرجاء مختلفة من المزرعة، لقد وجد المحققون بقايا 40 جثة لرجال وأطفال دُفِنُوا في قبور ضيِّقة وصغيرة.

قام المحققون بالقبض على «راي لامفر» واتُّهِم بقتْل «بيل جونيس» وأطفالها الثلاثة. ورغم تبرأته من جريمة القتل، ولكن المحكمة اتهمتْه بجرائم أخرى وحُكِم عليه بالسجن لمدة عشرين عامًا لم يقْض منها سوى أقل من سنة، إذ سرعان ما أصابه المرض ومات في السجن في عام 1909م.

اعترافات «لامفر» المرعبة:

في عام 1910م، تقدم أحد القساوسة إلى المحكمة ليشهد بما أخبره به «راي لامفر» بينما كان يحْتضِر في السجن، في اعترافاته تلك كشف «لامفر» جميع جرائم «بيل» كما أقسم على أنها ما زالت حية تُرْزَق.

لامفر وقبل موته بوقت قصير أخبر القَسَّ وسجينًا آخر معه في الزنزانة بأنه لم يقتل أيَّ شخص، ولكنه ساعد «بيل» في دفْن جثث العديد من ضحاياها، فعندما كان يحضر أحد الخُطَّاب إلى المزرعة كانت «بيل» تقوم بتوفير سكَن مُريح له، وتقوم بمحاولة إغرائه وتقديم وجَبات طعام شهية ومتنوعة له، ثم تقوم بتخديره بواسطة فنجان قهوة وبعدها تقوم بتحطيم رأسه بواسطة الساطور.

أحيانًا كانت تنتظر حتى ينام الضيف، ثم تقوم بدخول غرفته خلْسة وهي مُمْسكة بشمعة، وتقوم بتخديره بواسطة «الكلوروفورم»، ولكونها امرأة ضخمة وقوية فقد كانت تقوم بحمْل ضحيتها من سريره كالأطفال، وتنزل به إلى الطابق الأسفل، لتضعه على الطاولة وتقوم بتقطيعه.

لقد كانت خبيرة بتقطيع وتشريح الجثث، حيث تعلَّمت ذلك من زوجها الثاني الذي كان قصَّابًا (جزَّارًا) أحيانًا كانت تقوم بدفْن البقايا في حظيرة الخنازير، وفي أجزاء أخرى من المزرعة، وأحيانا كانت تُقدم البقايا إلى الخنازير الجائعة لتلْتهمها. بالنسبة للمرأة المقطوعة الرأس التي اكْتُشِفَتْ تحت ركام المنزل المحترق فقد أخبرهم «لامفر» بأنها تعود في الحقيقة الى امرأة استقدمتها «بيل» من شيكاغو بحجة توظيفها

كمدبرة للمنزل، ثم قامت بتخديرها في نفْس اليوم الذي وصلت به وقطعتْ رأسها وقامت بوضْعه في كيس ربطتْه بحجَر ثقيل ورمتْه في بقعة عميقة من البحيرة، ثم قامت بسحْب الجثة ومدَّدتْها في الطابق الأسفل للمنزل.

وبعد ذلك قامت بتخدير أطفالها الثلاثة وقتلتْهم خنْقًا، ثم مدَّدتْ أجسادهم الصغيرة إلى جانب جثة المرأة مقطوعة الرأس.

بعد ذلك قامت «بيل» بتعرية جثة المرأة المقطوعة الرأس، وألبستْها بعضًا من ثيابها، ثم قامت بخلْع اثنتين من أسنانها الصناعية، ورَمتْها جنْب الجثة لكي يظن الجميع بأنها جثتها، ثم أشعلت النار في المنزل وغادرتْه على وجه السرعة.

واعترف «لامفر» بأنه ساعدها في تنفيذ خطتها وأنهما اتفقا على الفرار معا، إلا أنها خدعتْه، ولم تأت إلى الطريق الذي واعدتْه عنده ليهربَا معًا، وهربتْ لوحدها عن طريق المزارع، واختفتْ في الغابة المحيطة بالبلدة.

«لامفر» أخبر القَس بأن «بيل جونيس» هي امرأة غنية، لقد قامت بقتل 42 رجلًا أو أكثر حضروا إلى مزرعتها، وقد جلَب كل منهم مبلغًا من المال يتراوح بين 1000 و32000 دولارً، لذلك فقد قدر بأنها جمعتْ ما يقارب الـ 250000 دولارًا، وهو ما يعادل ثروة كبيرة جدا في ذلك الزمان.

على الرغم من أن شهادة «لامفر» هذه موثقة إلا أن الكثيرين يطعنون فيها خاصة لكونه جزءًا من اللغز فهو المشتبَه به الرئيسي في قتْل «بيل جونيس» وأطفالها الثلاثة.

ماذا حدث لـ «بيل جونيس» بعد ذلك؟؟

لعقود طويلة كانت هناك الكثير من التقارير عن مشاهدة «بيل»، الكثير من الأصدقاء والمعارف أقسموا بأنهم رأوها في شيكاغو ونيويورك ولوس أنجلوس وسان فرانسسكو، حتى عام 1931م. كانت هناك تقارير تقول بأنها تعيش في «مسيسيبي» كامرأة غنية جدًّا ولديها الكثير من الأملاك.

لقد استلمت الشرطة ولمدة عشرين عاما تقريرين يوميًّا على الأقل من أناس يدعون أنهم شاهدوا «بيل جونيس» إلا أن أيًّا من هذه المشاهدات لم يتم التثبُّت منها وبقي اللغز بدون حَلٍّ. بالنسبة للسكان في بلدة «لابورتي» والذين عرفوا «بيلي» لسنوات فهم منقسمون في الرأي حول جثة المرأة مقطوعة الرأس، البعض يظن أنها تعود لـ: «بيلي» وأن «لامفر» قد قام بقتْلها حقًّا، وأنه هو المجرم الحقيقي الذي قام باختلاق القصص حول «بيل» للتنصُّل من جرائمه، وآخرون يظنون بأن الجثة لا تعود لها، وأنها خدعة قامت هي بها للفرار والتغطية على جرائمها.

أُلْقِيَ القبض في لوس انجلس على امرأة تُدْعَى «ايستر كارلسون» متهمة بتسميم وقتْل أحد الرجال من أجل المال، وقد زعم شخصان ممن يعرفون «بيلي» بأنها هي، إلا أنه لم يتم التأكد من هذه المزاعم، وقد ماتت المرأة في نفْس السنة بينما كانت تنتظر محاكمتها. في عام 2007م. قام فريق بحْث أمريكي من جامعة «انديانابوليس» بفتْح قبر السيدة مقطوعة الرأس التي وُجِدَتْ في البيت المحترق لعمل تحليل (DNA) للتأكد من أنها «بيل جونيس»، وفي حال ثبت العكس فسيقوم الفريق بفتْح قبْر «ايستر كارلسون» لإجْراء الفحْص عليها.

يبقى أن نذكر أنه على الرغم من اختلاف المحققين والباحثين حول شهادة «راي لامفر» إلا أن أغلبهم يتفقون على أن «بيل جونيس» كانت مجرمة محترفة شديدة القسوة، وأنها بالفعل قامت بالعديد من الجرائم قبل شرائها المزرعة وبعدها.

بل إن الكثيرين يعتقدون بأن أول جرائمها كانت في النرويج حتى قبل هجرتها إلى الولايات المتحدة، وربما يكون «لامفر» شريكًا لها في جرائمها، ولكن يبقى اللغز قائمًا، هل ماتت «بيل جونيس» في المزرعة؟ وهل جثة المرأة مقطوعة الرأس تعود لها؟ أم أنها كانت أذكَى وأدْهى من الجميع ورسمت خُطة هربها من المزرعة بدِقَّة وإحكام؟

ما رأيك أنت عزيزي القاريء؟[1]

1- نقلا -ببعض التصرف- عن مقال: (القاتلة الأسطورة .. لغز بيل جونيس!!) المنشور في الموقع العربي: (Nightmare/ كابوس)، بتاريخ (٢٢ / ٠٨ / ٢٠٠٨م). والموقع العالمي: (FromWikipedia، the free encyclopedia) تحت عنوان: (Belle Gunness).

24

مصّاصة دماء برشلونة ..
قصة أشهر سفاحة أطفال في أوربا



صورة نادرة لمصاصة دماء برشلونة الْتُقِطَتْ لها مطلع القرن المنصرم

في أفلام الرسوم المتحركة توجد شخصية العجوز الشمطاء التي تمتطي مِكْنَستها السحرية في الليل باحثة عن الأطفال الصغار لتختطفهم وتحملهم معها إلى كوخها القديم، حيث ينتظرهم دائمًا قِدْر كبير يغْلي بمواد غريبة.

تضع الساحرة الأطفال في ذلك القِدْر كجزء من تحضير وصْفَتها السحرية، وأنت

عزيزي القارئ لا بد أن شاهدتَّ هكذا أفلامًا في طفولتك، وحينها ربما فزعتَ فسارع والداك لطمأنتك، وأخبراك بأنها قصص خيالية لا توجد إلا في عالم الرسوم المتحركة، لكن اليوم أعتقد بأنك كبرتَ كفاية لكي أُفاجئك بالحقيقة.

نعم هناك ساحرات شرِّيرات!! ربما تضحك.. لكنْ لا تتسرع، اقرأ هذه القصة جيدًا وتذكَّر وأنت تُغْمِض عينيك ليلًا لتنام بأن ما شاهدته في طفولتك لم يكن خيالًا أبدا، وأنه على طول التاريخ كان هناك أطفال يُخْطَفون ليُقْتَلوا ويتم العبَث بأجسادهم.

من شحوم الأطفال ودمائهم كانت تُصْنَع مستحْضَرات تجميل للأغنياء!

«إنركيتا مارتي ريبولس» (Enriqueta Martí i Ripollés) اسم ربما لم يسمع به الكثيرون لأشهر قاتلة أطفال في التاريخ الحديث، امرأة «كاتلونية» تجرَّدتْ من كل عاطفة ورحمة وتحولت إلى مخلوق بَشِع يقتات على بقايا الأطفال وأشلائهم، ليس لمَرَض عقْلي أو عُقْدة نفْسية، كما هو الحال بالنسبة لبقية المجرمين، لكن من أجل المال.

فالأطفال هم جزء من مِهْنتها، وشحومهم ودماؤهم هي أهم عنصر في صنعتها، فهي ساحرة شريرة تحتفظ بمجموعة من الكتب والمخطوطات السحْرية القديمة، وتستعملها لصنْع وصفاتها الدموية.

«إنركيتا» لم تكن أول ولا آخر الساحرات، فهناك الكثيرات منهن، بعضهن يعِشْن في أحيائنا وربما مرَرْن بنا دون أن نشك بهن للحظة واحدة، عجائز طيِّبات ودِيعات في النهار، وشرِّيرات قاسيات يتجوَّلْن في الليل في المقابر للعبث بجُثث الموتى أو القيام بأمور لا أخلاقية وشاذة من أجل إرضاء الجن والشياطين.

الله وحده يعلم كم من الأطفال تمَّ اختطافهم بواسطة عجائز؟ يخدعونهم بقطعة حلْوَى ثم لا يسمع عنهم أحد بعد ذلك شيئًا، ولا يعلم ماذا جرى وحلَّ بهم، أطفال مساكين لم تتخيل عقولهم البريئة هكذا إجرامًا وقسوة.



في نهاية القرن التاسع عشر، في أحد شوارع برشلونة القذرة، خطَّتْ شابة جميلة أول خطواتها داخل المدينة الكبيرة، لا أحد يعلم على وجْه الدِّقَّة من أين أتت، ولكنها كانت واحدة من القَرَوِّيات اللواتي يقْدِمْن إلى المدينة كل يوم باحثات عن حياة جديدة، وفُرْصة عمَل تساعدهن في التخلُّص من فَقْرهن المُدْقِع والمُزْمِن.

لكن هذه الأماني والأحلام سرعان ما تتبخَّر وتضيع في زِحام المدينة، وغالبًا ما ينتهي بهن المطاف إلى مواخير العُهْر وبيوت الدعارة ليبعْن أجسادهن بأبخس الأثمان، أحيانا من أجل مَبيت ليلة أو من أجل كِسْرة خُبْز.

هذه القصة تكررت منذ القِدَم، ولا زالت تحدث كل يوم في أغلب المدن الكبرى حول العالم، و«إنركيتا» لم تكن استثناءً من هذه القاعدة، في البداية عمِلتْ كخادمة في بيوت أحد الأثرياء، لكنها تركت هذه المهنة بعد فترة قصيرة وامْتهَنَت الدعارة فغدت واحدة من عواهر برشلونة الجميلات.

لكنها تميَّزتْ عن الأُخْريات في أنها وضعت لنفسها هدفًا، ربما كان لا أخلاقيًّا وسافِلًا، لكنه على كل حال كان حافزًا لها للوصول إلى غايتها التي تجرَّدتْ في سبيلها من أيَّة مشاعر إنسانية، لقد كانت ذكية وفهمت منذ البداية ما هي البضاعة الرائجة في مهنتها.

فبعض الأغنياء مستعدِّين لدفْع مبالغ كبيرة من أجل تحقيق نزواتهم الشاذة، وهؤلاء المرضَى النفْسيون الموجودون في كل زمان ومكان، يبحثون عن الأطفال لتفريغ نَزَعاتهم الساديَّة ورغباتهم الجِنْسية المنحرفة.

وقد بدأت «إنركيتا» بتوفير هؤلاء الأطفال لهم، لم يكن أحدٌ يعلم من أين تأتي بهم، ولم يكن مصدرهم مهمًّا بالنسبة للأغنياء الذين أخذوا يدفعون لـــ: «إنركيتا» بسخاء لقاء خدماتها.

وفي عام 1909م. داهمت الشرطة شقة «إنركيتا» لتكتشف داخلها مجموعة من الأطفال من الجنْسين تتراوح أعمارهم بين الخامسة والخامسة عشرة، لكن رغم إلقاء القبض عليها متلبِّسة إلا أن «إنركيتا» لم تحاكَم، وسرعان ما أُطلِق سراحها بواسطة مال ونفوذ زَبائنها الأغنياء.

لا أحد يعلم متى بدأت «إنركيتا» بقتل الأطفال، ومتى بدأ اهتمامها بالسحر والوصفات السحرية، لكن الأكيد هو أن شغَفَها الكبير بالمال هو الذي دفعها إلى هذا المسلك.

فمنذ زمن بعيد كان هناك اعتقاد قديم بأن دماء الأطفال وشحومهم لها خواص طِبِّية وسحرية، من الدم كان السحرة يُحضِّرون إكسير الحب بعد أن يمزجوه بمواد أخرى مذكورة لديهم في وصفات سحرية قديمة.

ومن الشحم كان يُحضَّر زيت يُدْهَن به الجلْد فيعيد له شبابه ونضارته، وفي القرن التاسع عشر كان هناك الكثير من الناس ما زالوا يؤمنون بهذه الخرافات، فكان بعض

أغْنَى وأجمل نساء برشلونة يستعملن هذه المُسْتحْضَرات، ورغم أن أغلبهن يعْلمْن ما هي المواد التي تُصْنَع منها، إلا أن ذلك لم يكن له أي أهمية، فأطفال الفقراء في نظرهن أقل مرتبة حتى من الحيوانات.



في النهار كانت «إنركيتا» تتنكَّر في ملابس رثَّة وقذرة أشبه بملابس المتسوِّلين، ثم تتوجَّه إلى أكثر أحياء المدينة فقْرًا وفاقة، كانت تبحث عن ضحاياها قُرْب الكنائس والجمعيات الخيرية، حيث يتجمع الأطفال الفقراء من أجل الحصول على كِسْرة خُبْز، وكانت تراقِب الأطفال الذين يلعبون في الشارع بعيدًا عن أنظار أهليهم.

كان صيدُها المفضَّل هو الأطفال المشرَّدِين واليتامى الذين لا يسأل عنهم أحد والذين تتراوح أعمارهم بين ثلاثة واثني عشر عامًا، عادة تقوم بخداعهم بقطعة حلْوَى أو وعْد بوجبة شهية، وأحيانا عنْوة إذا كانوا صغارًا في الثلاثة أو الرابعة من العمر، ثم تحملهم معها إلى إحدى شُقَقها الكثيرة المبثوثة في أنحاء المدينة.

أما في الليل فكانت «إنركيتا» تتحول إلى «دُوقة» أو «ماركيزة»، فترتدي أفخر الثياب والمجوهرات، وتذهب بواسطة عَرَبة فاخرة إلى دار الأوبرا والمنتديات الاجتماعية الراقية.

هناك كانت تتواصل مع زبائنها من الطبقة العُلْيا، تتعرف إلى الأغنياء من وُجَهاء وأعيان المدينة، وتُوفِّر لهم ما تتطلَّبه نزواتهم الشاذة، تتقرب إلى النساء الجميلات الباحثات عن كسْب قلوب الرجال، فتُقدِّم لهن أكاسير وتعاويذ سِحْرية مصنوعة من دماء وأشلاء الأطفال.

أما الراغبات ببشرة ناعمة فكانت تمدُّهن بمستحضراتها التجميلية المصنوعة من شحوم الأطفال، وبالمقابل كان هؤلاء الزبائن الأثرياء يقدمون «لإنكريتا» المال الوفير والحماية.

آخر ضحايا «إنركيتا» كانت طفلة في الخامسة من عمرها اسمها «تريزيتا غيوتر»، اختطفتْها عام 1912م. بينما كانت تلعب أمام منزلها في إحدى الضواحي الفقيرة ثم نقلتها إلى إحدى شُقَقها لتحبسها مع طفلة أخرى.



وفيما بدأ والِدا «تريزيتا» يجولان بيأس في أحياء المدينة ومراكز الشرطة بحْثًا عن ابنتهم الصغيرة، كانت الطفلة المسكينة، قد بدأت تَعِي ما ينتظرها من مصير أسود، فقد أخبرتْها الطفلة المسجونة معها عن طفل صغير كان يلعب معها في الشقة لكن في أحد الأيام اصطحبتْه «إنركيتا»، إلى المطبخ ومدَّدتْه على الطاولة الخشبية، ثم ذَبَحتْه بالسكين وقطعت جسده، وملأت عدة قنانين (مفرد قنِّينة) من دمه، ثم قامت بإلقاء أشلائه في قِدْر كبير يغْلي لاستخلاص الشحْم ولتحضير خلْطاتها السحرية.

كانت الطفلتان تعلمان بأنهما ستُلاقِيان المصير ذاته بالتأكيد لولا تدخُّل قَدَرُ الله الذي شاء أن يضع نهاية أخرى لحياة هاتين الطفلتيْن، فبعد سبعة عشر يومًا على اختطاف «تريزيتا» لاحظت إحدى الجارات عن طريق الصدفة، طفلة تحْدِق نحو الشارع بحزن من خلال الزجاج القذر لنافذة شقة «إنركيتا».

كانت المرأة تعرف أطفال الحي جميعهم، ولم تكن قد رأت هذه الطفلة من قبل، كما أنها كانت تُشبه الأوصاف التي عمَّمتْها الشرطة عن الطفلة المخطوفة، لذلك قامت المرأة باستدعاء الشرطة.

في 12 شباط / فبراير عام 1912م. فتحت «إنركيتا» باب شقتها لتفاجَأ برجُلَيْ شرطة يسألانها عن وجود طفلة غريبة في بيتها، بدت «إنركيتا» مضطربة ومتردِّدة في الإجابة، فازدادت شكوك الرجلين بحدوث أمر مريب، مما حدَا بهما إلى دخول الشقة.

خلف الباب شاهدا الفتاتيْن المخطوفتيْن، وعندما سألا «إنركيتا» عنهما أجابت بتلعْثُم: بأن إحداهما ابنتها والأخرى فتاة وجدَتْها ضائعة في الشارع، فأشفقتْ عليها وجلبتْها إلى شقَّتها.

بدا الجواب غير مُقْنِع، كما أن نظرات الخوف التي عَلَتْ مُحيَّا الطفلتين، وكذلك ملابسهن وأجسامهن القذرة جعلت الشرطيان يرتابان أكثر، فقرَّرا تفتيش الشقة.


CRONICA GRAFICA
DOS NIÑAS SECUESTRADAS EN BARCELONA

وسرعان ما بدأت تتكشف في زوايا البيت وأركانه أشياء مرعبة لم يكونا يتخيلان رؤيتها في أسوأ كوابيسهما، في المطبخ وجدا كيسًا فيه ثياب طفل ممزَّقة ومُغطَّاة بالدماء، وفي إحدى الغُرَف اكتشفوا بقايا بَشَرية: شَعْرًا وأجزاء من الجِلد، وأنابيب من الدم، وأسنانًا وعِظامًا لطفل.

الغُرف الأخرى كانت تعبَق برائحة الموت، والجدران والأرضية مغطاة بالدم، بعد رؤية هذه المناظر الرهيبة سارع الشرطيان إلى اعتقال «إنركيتا» ونقْلها مع الأطفال إلى مركز الشرطة، وسرعان ما بدأت تتكشَّف خبايا واحدة من أشهر القضايا الإجرامية في تاريخ برشلونة وأسبانيا، لتنْشُر موجة من الخوف والهلّع بين السكان.

وأخذت الجرائد تكتب في صفحات كاملة عن «إنركيتا» وجرائمها مُطْلِقِين عليها لقب: «مصاصة دماء برشلونة» (la vampira de Barcelona) وهو لقب تستحقُّه

بجدارة، وأخذت التقارير والشائعات حولها تعمُّ أسبانيا، حتى طغتْ على أخبار القلاقل السياسية والأمنية التي كانت تعصف بالبلاد آنذاك. في مخابئها الكثيرة المنتشرة في أنحاء المدينة عثرت الشرطة على أشياء مروعة، جثث وبقايا بشرية في كل مكان، ملابس أطفال مغطاة بالدماء، مخطوطات سحرية قديمة مكتوبة بلغات ورموز غير مفهومة، قُدور كبيرة كانت تُسْتَعمل لغلْي الأطفال.

وربما كان أهم وأخطر الأشياء التي تم العثور عليها هو سِجِل يحتوي على أسماء وعناوين زبائن إنركيتا الأغنياء، كانت بينهم أسماء كبيرة ومشهورة كان الإفصاح عنها سيؤدي إلى فضيحة مدوِّية في البلد، إلا أن هذه الأسماء لم تنْشَر أبدا، فقد اختفى السجل فجأة، ومحَتْ آثاره يد خفية متنفذة.



صورة الطفلة تريزيتا بعد أن حرَّرتْها الشرطة من قبضة السفَّاحة، وكذلك صورة لها مع والديها ورجلي الشرطة اللذيْن أنقذاها

ونفس الشيء حدث مع إنركيتا حيث لم تُحاكَم، ولم تُنْشَر اعترافاتها بشكل كامل وادَّعت الشرطة بأنها حاولت الانتحار مرتين في سجنها، ثم وجِدَتْ ميتة بعد حوالي السنة على اعتقالها، وادعت إدارة السجن بأنها قُتْلَتْ على يد السجينات الأُخريات، وتم دفْنها بسرعة في قبر حقير في إحدى مقابر برشلونة، ودُفِن معها إلى الأبد سِرُّ الأشخاص المتنفِّذين الذين كانت تتعامل معهم.

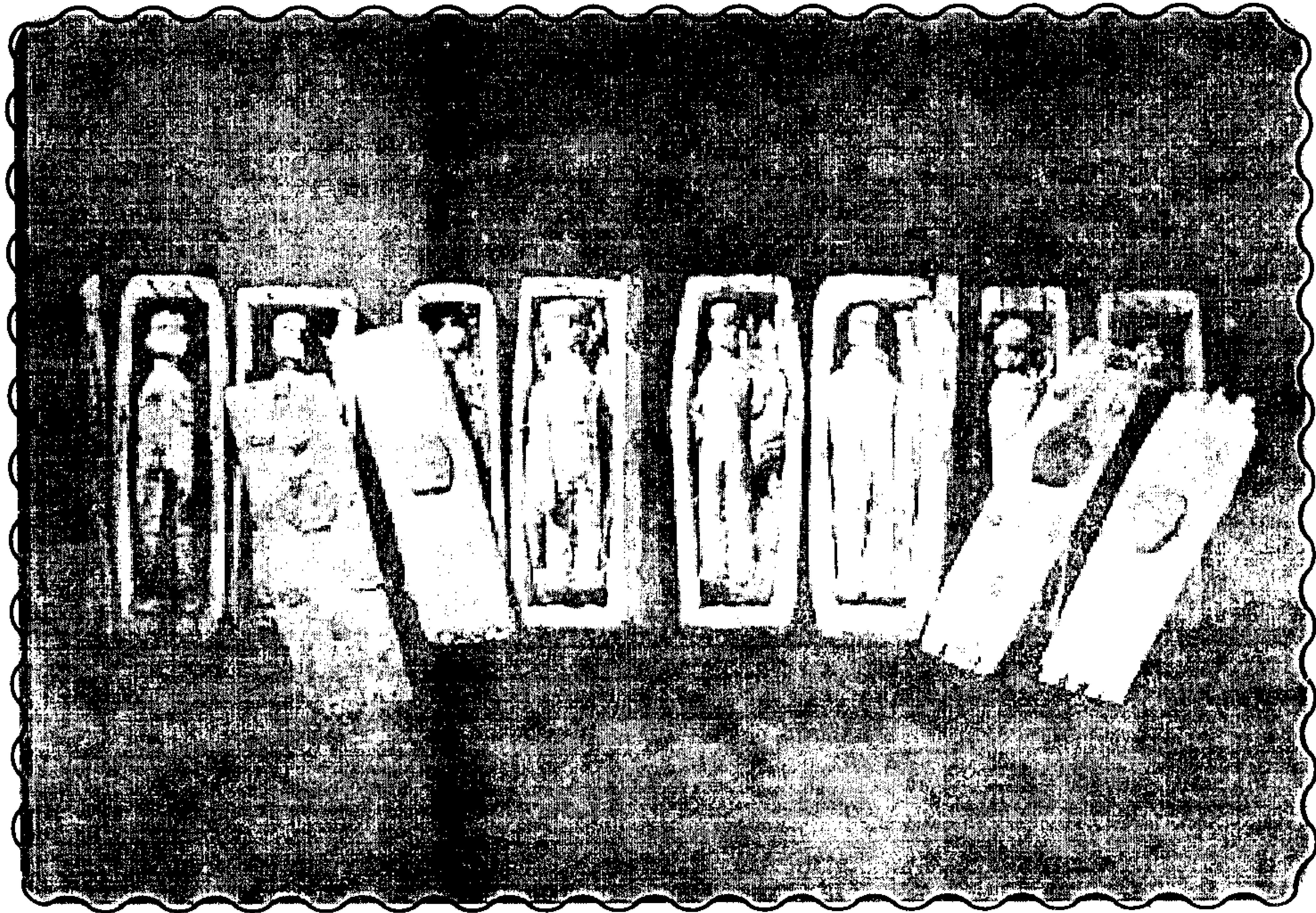
على الرغم من بشاعة جرائمها، إلا أن الكثيرين اليوم يعتبرون إنركيتا مجرد أداة، وأن القاتل الحقيقي هم أولئك الأشخاص الأغنياء الذين تجرَّدوا من كل شعور إنساني من أجل تحقيق مآربهم ونزواتهم الدنيئة، وهؤلاء هم أيضا من رتَّبوا لمقتل إنركيتا في السجن لكي لا يفتضح أمرهم .

وأمثال هؤلاء موجودون في كل عصر وزمان، فاليوم تُعْتَبر تجارة جِنْس الأطفال والقاصرين من الجرائم المنتشرة في العالم، خصوصا في الدول الفقيرة، حيث لم تعد هناك حاجة لخطْف الأطفال، إذ أن ذويهم الفقراء غالبًا ما يبيعونهم مُجْبَرين مقابل مبالغ زهيدة ليتم استغلالهم جِنسيًّا، أو يتم قتْلهم من أجل الحصول على أعضاء من أجسادهم.[1]

1- نقلا -ببعض التصرف- عن مقال: (مصاصة دماء برشلونة .. قصة أشهر سفاحة أطفال في أوربا!!) المنشور في الموقع العربي: (Nightmare/ كابوس)، بتاريخ (١٥ / ٠٦ / ٢٠٠٩م). والموقع العالمي: (FromWikipedia، the free encyclopedia) تحت عنوان: (Enriqueta Martí).

25

لُغز دُمَى التوابيت الغامضة!



في العاصمة الأسكتلندية «أدنبره» اكْتُشِفَتْ دُمَى داخل توابيت ترْوِي حكايات جرائم مروعة قام بها جماعة من القَتلَة، وتبدأ القصة في صباح ضبابي من عام 1836م. عندما تم اكتشاف 17 تابوتًا خشبيًا صغيرًا، في داخل كل منها وجِدتْ دُمْية ترتدي ملابس متغايرة.

وساق اكتشاف هذه الدُّمَى العديد من النظريات المثيرة للاهتمام، حيث اعْتُقِد أنها من عمل رجل مجنون من حكايات السحر.

لكن البعض يعتقدون أن هذه التوابيت قد تكون مرتبطة بأعتَى القتلَة المجرمين في أسكتلندا، وهما: (بيرك وهير) وكانا من العُمَّال الإيرلنديين اجتمعوا في اسكتلندا وأصبحوا أصدقاء في وقت ما من عام 1820م، وقد وُجِّهَتْ إليهم تهمة قتل 17 ضحية عام 1800م.

لكن كيف تكون لهذه الدُّمَى علاقة بالضحايا الـ 17، ومن قام بصناعتها؟

(بيرك وهير) مشهوران بالصِّيت السَّيِء حتى اليوم، ومنذ ذلك الوقت الذي غزَتْ فيه أشباح جرائمهم جزيرة «ألبيون». حتى هذا اليوم ما زالت قضيتهم حاضرة نِسْبيًّا في الذاكرة ، وبدأت فورة جرائمهم والمعروفة باسم: جرائم الميناء الغربي في «أدنبره» في فترة أواخر عام: 1827م.

واستمرت بعد عام 1828م. كانوا يقومون بتخدير ضحاياهم وخنْقِهم للحِفاظ على جثثهم سليمة وبعد ذلك يبيعون الجثث للدكتور (روبرت نوكس) ليقوم بتشريحها.

وفي نهاية المطاف اكتشف أحد الجيران جثة لآخر ضحاياهم وأبلغ الشرطة بذلك، ومع ذلك فإن أدلة الجرائم لم تكن في الواقع جيدة، وقدمت لـ: (هير) الحَصانة في حال شهد واعترف ضد (بيرك)، وقدّم (بيرك) اعترافاته وادَّعى خلالها أن الدكتور (نوكس) لا يعرف شيئًا وليس له علاقة بالجثث التي بِيعَتْ له، لكن حُكِم عليه بالإعدام وشُنِق في يناير من عام 1829م. أما (نوكس) فقد دمَّرَت الفضيحة سُمْعَته في كافة أرجاء «أدنبره» لهذا سافر إلى لندن وتوفي في عام 1862م.

كانت (هيلين ماكدوغال) عشيقة (بيرك)، وكذلك زوجة (هير) (مارغريت ني ليرد) متورطتان أيضًا، ولكن تم الإفراج عنهما لعدم توفر أدلة ضدهما، كلتاهما تمَلَّصَتا من الموت بأعجوبة بعد غضب الجمهور، ويعتقد البعض أن (ماكدوغال) غادرت البلاد في حين أن (مارغريت) اختفتْ ولم يعدْ لها أثر. كذلك (ويليام هير) اختفى أيضًا فاخترع الفلوكلور الشعبي مجموعة من القصص عن نهايته المؤلمة.



في البداية: تجد النظريات التي صدرت حول دلالات الدُّمَى تراوحتْ من كونها عمل سِحْر، إلى كونها لُعَب أطفال، ولكن في النهاية بدأت تبدو الـ 17 دمية كونها تمثل 17 ضحية كلهم ماتوا في جرائم قتل قبل عَقْدٍ من الزمان.

بين عامَيْ: 1827م. و1828م. اشترك (ويليام بيرك) و(وليام هير) في مخطط جديد لتوفير جثث سليمة لمدرسة تشريح محلِية، وكان الدكتور (روبرت نوكس) شخصًا متألقا ومحاضرًا معروفا في مركز تشريح محلي كان يقوم بشراء الجُثَث، وعلى الأرجح أنه كان يعلم أن هناك شيئا مشبوها في سلسلة توريد الجثث تلك.

وافْتُضِح أمْرُ الجرائم عندما اكتَشَف مقيمٌ آخرَ جثة تعود لمقيم سابق، وأُرْسِلَتْ التقارير إلى الشرطة. وأُلْقَيَ القبض على (بيرك وهير) بالإضافة لعشيقة (بيرك) وكذلك زوجة (هير).

كانت الأدلة دامغة عندما عُثِر على جثة ذلك المقيم جاهزة للتشريح في إحدى حجرات مدرسة (نوكس) للتشريح، وتلك الأدلة جعلت (هير) يعترف على (بيرك) وكلاهما اعترَفا بجرائمهما.

وأُعْدَم (وليام بيرك) في شهر يناير من عام 1829م. وسُلِّم جثمانه للتشريح، ولم يتبق له سوى هيكل عظمي وكتاب غُلِّف من جِلْدِه وحُفِظ ضمن مجموعة من الكتب في الكلية الملكية للجراحين - «أدنبره».

أمَّا الدُّمَى التي يبلغ طول الواحدة منها أربع بوصات: (حوالي 10 سنتمترات) فقد حُفِظَتْ على يد أحد الهُواة حتى عام 1901م. عندما تم تسليم 8 منها لأكثر من متحف وطني أسكتلندي، والتي يمكن زيارتها اليوم .

وعلى الرغم من أن المتفق عليه عمومًا أن لهذه الدُّمَى الصغيرة الغامضة ارتباطًا بجرائم (بيرك وهير) لكن لا أحدَ يؤكد أيًّا من القَتلَة صَنَعها؟

وفي عام 2005م. أُجْرِيَت دراسات على الحِمْض النووي المستخرج من عِظام (بيرك) في محاولة لإثبات أيٍّ منهم قام بصناعة تلك الدُّمَى، والتي يُعْتَقد أنه صنعها للتخفيف من نَوْبات تأنيب الضمير، لكن النتائج لم تكن حاسمة، وبالتالي لَمْ تُعْرَف الحقيقة.

بدأت قصة دُمَى (بيرك وهير) بسلسلة جرائم ارتكبت في أدنبره - اسكتلندا التي وقعت في وقت سابق من عام 1820م. وسِرُّ تلك الدُّمَى بدأ منذ ذلك الوقت تقريبًا ولم يُفَك إلى يومنا، إنه سِرٌّ غريب قاد للافتراض أن تلك الدُّمَى هي تعبير عن الشعور بالذنب، أو هواجس غريبة لأحد أولئك القَتلَة.

وبعد فترة ليست بالطويلة وقعت سلسلة من جرائم القتل في أدنبره، وكان من بينها: صبيٌّ صغير عَثَرَ على مجموعة مثيرة للاهتمام من الدُّمَى موضوعة في توابيت صغيرة، كذلك عثَر على دُمَى في كهف يقع في «آرثر سيت» - هوليرود بارك في أدنبره.

في البداية بدَتْ الدُّمى غريبة، لكن غرابتها لا تتعدَّى غرابة الأماكن التي وجِدَتْ فيها، ومع مرور الوقت بدا من الواضح أن هناك تشابهًا كبيرًا من ناحية المظهر والعدد لضحايا موْجة القتل أخيرة.

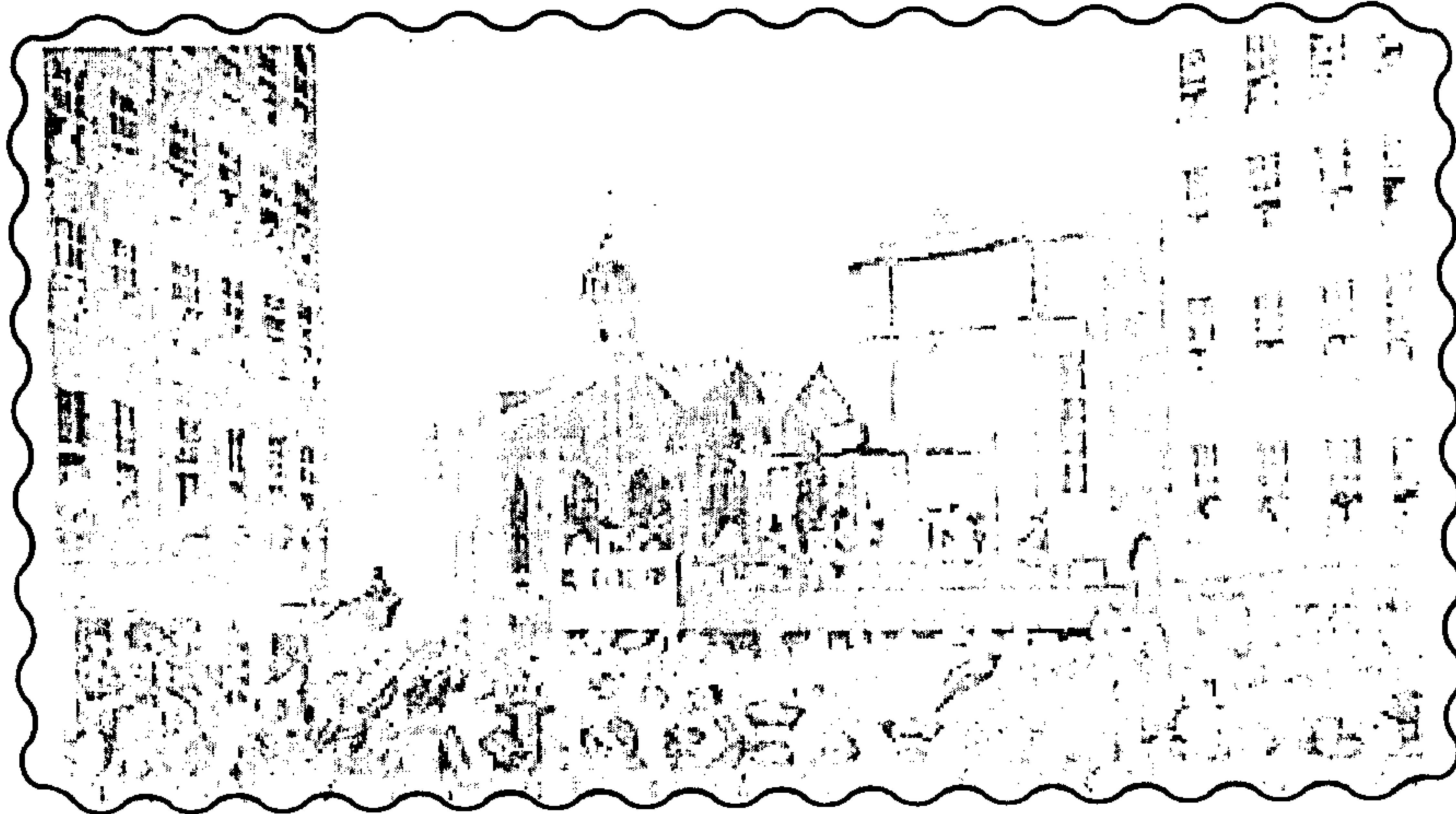
(هير) وزوجته استأجرا منزلًا، في نفس المنزل من عام 1828م. تُوفِّي أحد المستأجرين

تحت ظروف طبيعية، وقام (بيرك وهير) ببيع جثة ذلك الرجل إلى طبيب في جامعة أدنبره؛ لاستخدامها في كلية الطب، وفي ذلك الوقت كانت كليات الطب تُعاني شُحًّا في الجثث لاستخدامها في التشريح؛ إذْ لَمْ يكن يسمح إلا باستخدام جثث المجرمين المُنَفَّذ فيهم حُكْم الإعدام.

ولم تكن جثثهم تتوفر بكثرة، لذا لجأ الأطباء لِشِراء الجثث ممن يُسَمُّون: «خاطفي الجثث» أو بعبارة أدق «لصوص القبور».

ويبدو أن أحدهم هو الدكتور (نوكس) من جامعة أدنبره، الذي كان لا يتورَّع عن شراء جثث ضحايا القتل، وعلى الرغم من أنه لم يؤكد تمامًا أنه كان مطلعًا على حقيقة تلك الجثث منذ البداية.

قبل العام 1832م. كانت هناك جثث كافية مُتاحة بشكل مشروع لتدريس عِلْم التشريح في كليات الطب البريطانية، وعندما بدأت علوم الطب تزدهر في أوائل القرن الـ 19، ارتفع الطلب على الجثث بشكل حاد، والعرض القانوني للجثث لم يستطع مواكبة تلك الزيادة .



تصوير فني لمشهد تنفيذ الإعدام بحق بيرك

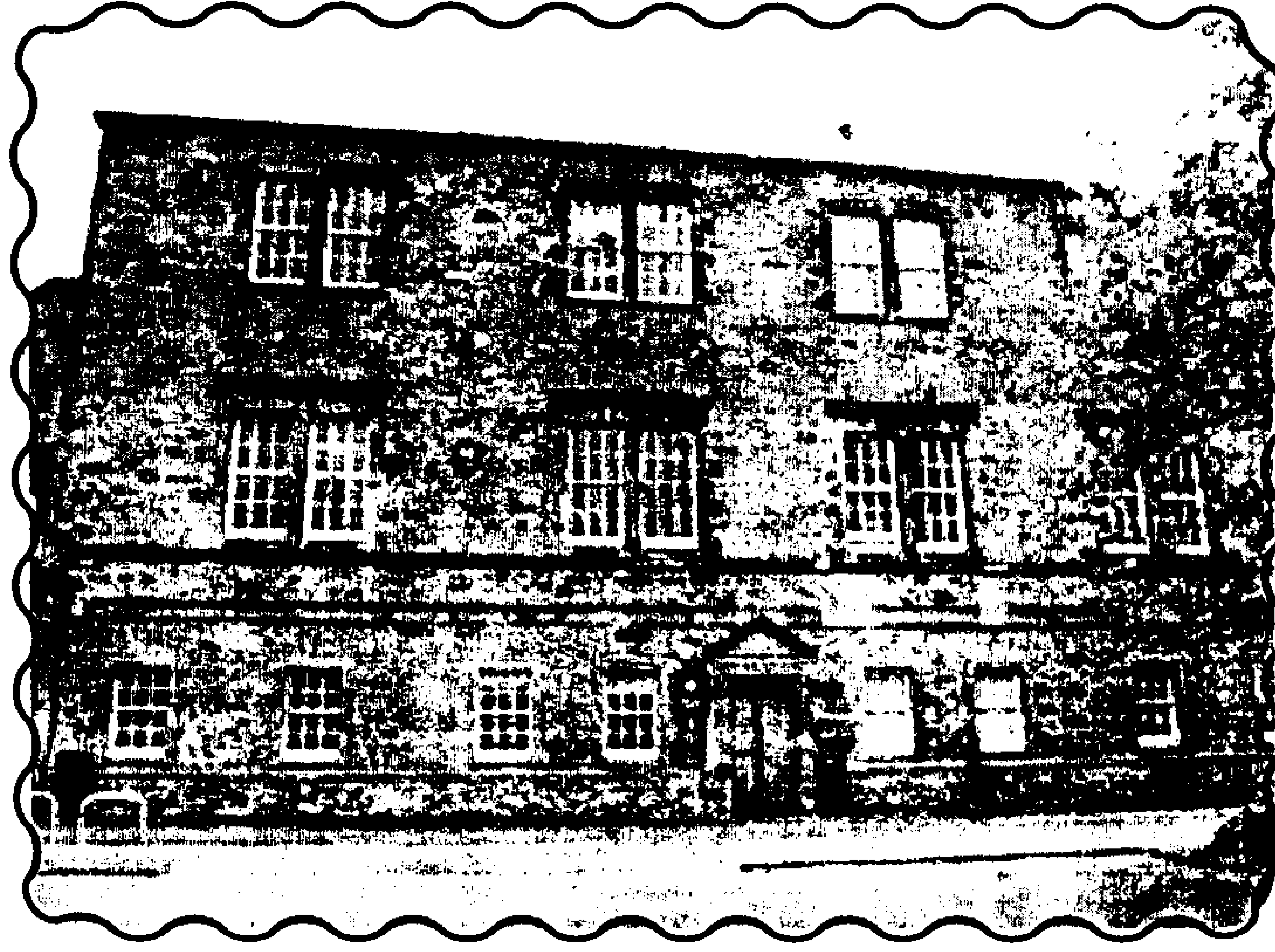
أحد مصادر الجثث الرئيسية كانت منصَّات الإعدام للمجرمين، لكنها بدأت تَجِف مع انخفاض عدد حالات الإعدام التي نُفِّذَتْ في أوائل القرن الـ 19. كان العدد القليل من الجثث المتاحة لتدريس عِلْم التشريح أمام العدد المتزايدة من الطلاب جَذب المجرمين لجَلْب المزيد من الجثث بأيَّة وسيلة، وهذه الأنشطة «خطف الجثث» والمعروفة بمصطلح (resurrectionists) أدتْ إلى تخوُّف الناس واشمئزازهم، لكن الإغراءات المالية دفعتْ هذه التجارة غير المشروعة إلى النمو.

بعد بَيع جثة المقيم المتوفَّى، أدرك (بيرك وهير) أن بيع الجثث وسيلة لكسْب العيش حيث كانوا يقبضون بين 7 إلى 10 جنيهات على الجثة الواحدة، وذلك كان كافيًا لإرغامها على قتل 16 شخصًا في ذلك الوقت، العديد منهم لقوا مصرعهم خَنْقًا، وأحدهم أُعْطِيَ جرْعة زائدة من الدواء، وفتًى صغير كُسِر ظَهْرُه.

في نهاية المطاف وجِدَتْ جثة المقيم تحت سرير داخل مبْنَى خشَبي، فاستدعَى أحد المقيمين الشرطة، وعندما وصلت الشرطة كانت الجثة قد اختفتْ. ومع ذلك قدَّم (هير) صفقة، فأفصح عن كل شيء مقابل حُرِّيَّته.

وأُعْدِم (بيرك) وشُرِّحَتْ جثته علنًا وتمَّ استخلاص عدة أجزاء من جِسمه تَمَّ حِفْظُها شملتْ: (قناع الموت) المستخرج من جِلْد وجْهِه. أما (هير) فقد اختفى ولا أحد يعرف ما حلَّ به؟!

ويبدو أن هذه الدُّمَى الـ 17 التي اكْتُشِفَتْ داخل الكهف تُمَثِّل كل جثة من الجثث التي بِيعَتْ للدكتور (نوكس) الذي لم تُوَجَّه إليه أيَّة تهمة بالجريمة، ويبلغ طول كل دمية 4 بوصات تقريبًا، ولكل منها تابوت فرْدي صغير وتأريخ صناعة هذه الدُّمَى صادف تقريبًا الوقت الذي وقعت فيه هذه الجرائم، ويعتقد بعضهم أن أحد المجرمين هو من قام بصناعتها، ولم يأت اختبار الحِمْض النووي الذي أُجْرِيَ حديثًا على جثة (بيرك) وعلى الدُّمَى بأيِّ نتائج على صِلة بينهما، ورجَّح السبب: أن عامل الزمن الطويل محَا أيَّة آثار عن تلك الدُّمَى.



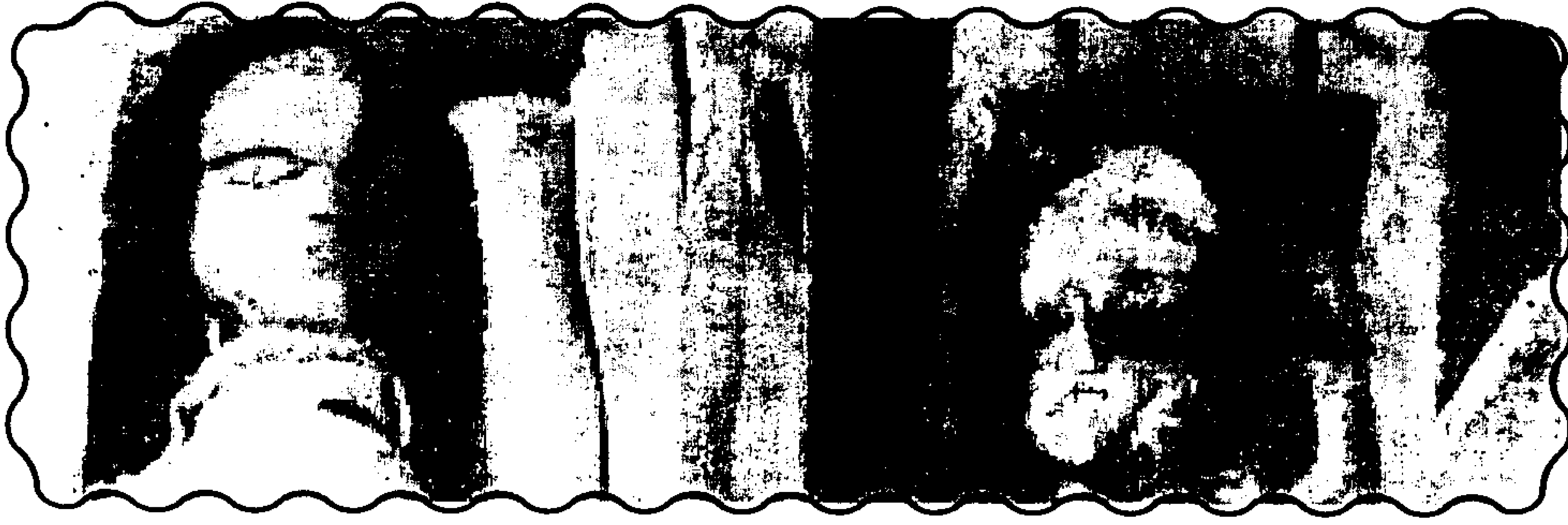
المبنى الذي كانت تُجْرَى فيه عمليات تشريح جثث الضحايا

إن كان فِعلًا قد تمَّ صناعة تلك الدُّمَى خلال فترة عمليات القتل، فإنه من المرجَّح أن قلة من الأشخاص يمكنهم فِعْل ذلك، الأول: هو الدكتور (نوكس) الذي من المرجَّح أنه كان يعلم أن الجثث التي كان يشتريها هي جثث لضحايا قتْل.

أما الآخر: فهما (هير وبيرك)، وأيضا ربما عشيقة (هير) أو زوجة (بيرك)، أو شقيق الدكتور (نوكس) الذي ربما كان يعلم بأمر الجثث. برغم ذلك إلا أنه ليس هناك شيء مؤكد بخصوص مَن قام بصناعة تلك الدُّمَى الغريبة .

ربما يكون أحد هؤلاء قام بصناعة هذه الدُّمَى للخروج من حالة الشعور بالذنب، وربما أن أحد هؤلاء قام بصناعة الدُّمَى كِتَذْكار وخبَّأها في الكهف عندما افتضح أمر جرائمه.

(هير) من الممكن أنه صنعها بعد محاكمة وإعدام (بيرك) وخبأها. إن كانت تلك الدمى صنعت بعد اكتشاف جرائم القتل كان ذلك ليضع في الاحتمال كون صانعها أي شخص.



مشهد مُكبَّر للدُّمَى

حوالي 8 من أصل 17 دمية تمَّ أخْذُها واحتفظوا بها في المتحف الوطني في اسكتلندا في (أدنبره). ففي جامعة (أدنبره) تمَّ التحفُّظ على بقايا عملية تشريح لأحد الأشخاص الذين قاموا بقتل الناس.

أول ضحية قتل كانت لأحد الجيران المَرْضَى اسمه: (يوسف - جوزيف) جُهِّز في عملية تجارية، واختنق وهو يحْتَسِي (الويسكي). مع عدم توفر أشخاص مرضَى كُثُر آخرين، قرروا استدراج الضحية من الشارع . وفي فبراير 1828م، المدعوة المتقاعدة (آبيغال سيمبسون) كانت ذاهبة لقضاء ليلة قبل عودتها إلى قرية (جيلميرتون).

وفي صباح اليوم التالي كانت قد قُتِلَتْ، فقد قاموا باستدراجها بنفس الطريقة ووفَّروا لها الكحول لتَسْكَر، ثم خُنِقَتْ وماتت، هذه المرة وضعوا الجثة في صندوق وسلَّموها إلى أجير ليقابلوه في الجزء الخلْفي من القلعة، ودفع لهم في الجثة الواحدة 10 جنيهات استرليني.

استمر الاثنان في عمليات القتل في ذلك الفصل الربيعي، حيث دُعِيَ أحد الضحايا إلى منزل من قِبَل السيد (هير) وقدَّم إليه الشراب حتى أسرف فيه، ثم تمَّ خَنْقُه، وكان (بيرك) يقْتُل في ظروف مماثلة أيضًا.

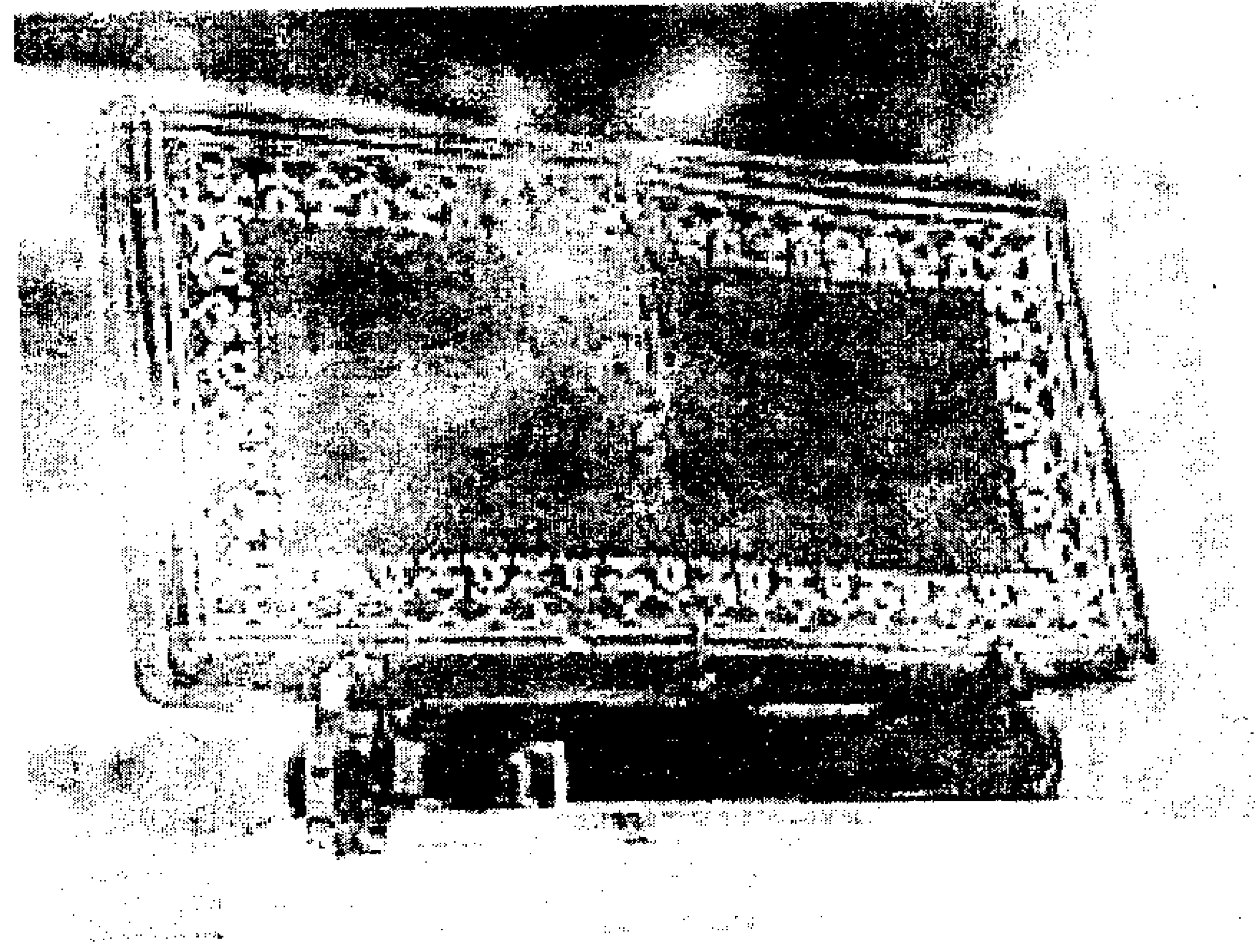
ولاحقًا قابل (بيرك) امرأتين هما: (مريم باترسون) و(جانيت براون) في أحد

أقسام (أدنبره) والمعروف باسم: (كنونغت). قال: إنه دعاهن لتناول طعام الإفطار في منزل أخيه في مقاطعة (جيبس كلوز) لكن (براون) غادرتْ بعدما نشَب خلاف بين (ماكدوغال) عشيقته و(بيرك). وعندما عادت (براون) قيل لها: إن (باترسون) قد غادرتْ مع (بيرك)، لكن في الواقع أنهم أخذوها داخل صندوق إلى الدكتور (نوكس).

أحد الضحايا كان من معارف (بيرك) امرأة تُدْعَى: (إيفي) باعوا جثتها مقابل 10 جنيهات فقط . قام (بيرك) بِحِفْظ جثة امرأة ثَمِلة قام بقتلها بعيدًا عن أنظار الشرطة والجيران، ثم باع جثتها إلى مدرسة طِبِّية بعد عدة ساعات.

واثنان من الضحايا أيضا كانا: عجوزًا وحفيدها البالغ من العمر 12 عامًا، وتُوفِّيَتْ العجوز من جرعة زائدة من المُسكِّنات، أما الصبي: فقد قام (هير) بِكَسْر ظَهْره.

وقال لاحقًا: إن جرائم القتل أصبحتْ تزعجه كثيرًا، كذلك فإن أشباح الصبي تطارده ولا تفارِق مُخيِّلته، وأن صناديق نقل الجثث لم تعُد كافية؛ لذا اضطر إلى وضْع كِلا الجثتين في برميل مخصص لنقل أسماك الرِّنْجة، ثم نقلها إلى ميدان الجرَّاحين، حيث تقاضَى 8 جنيهات لكل منهما.



كتاب مصنوع غلافه من جِلْد بيرك

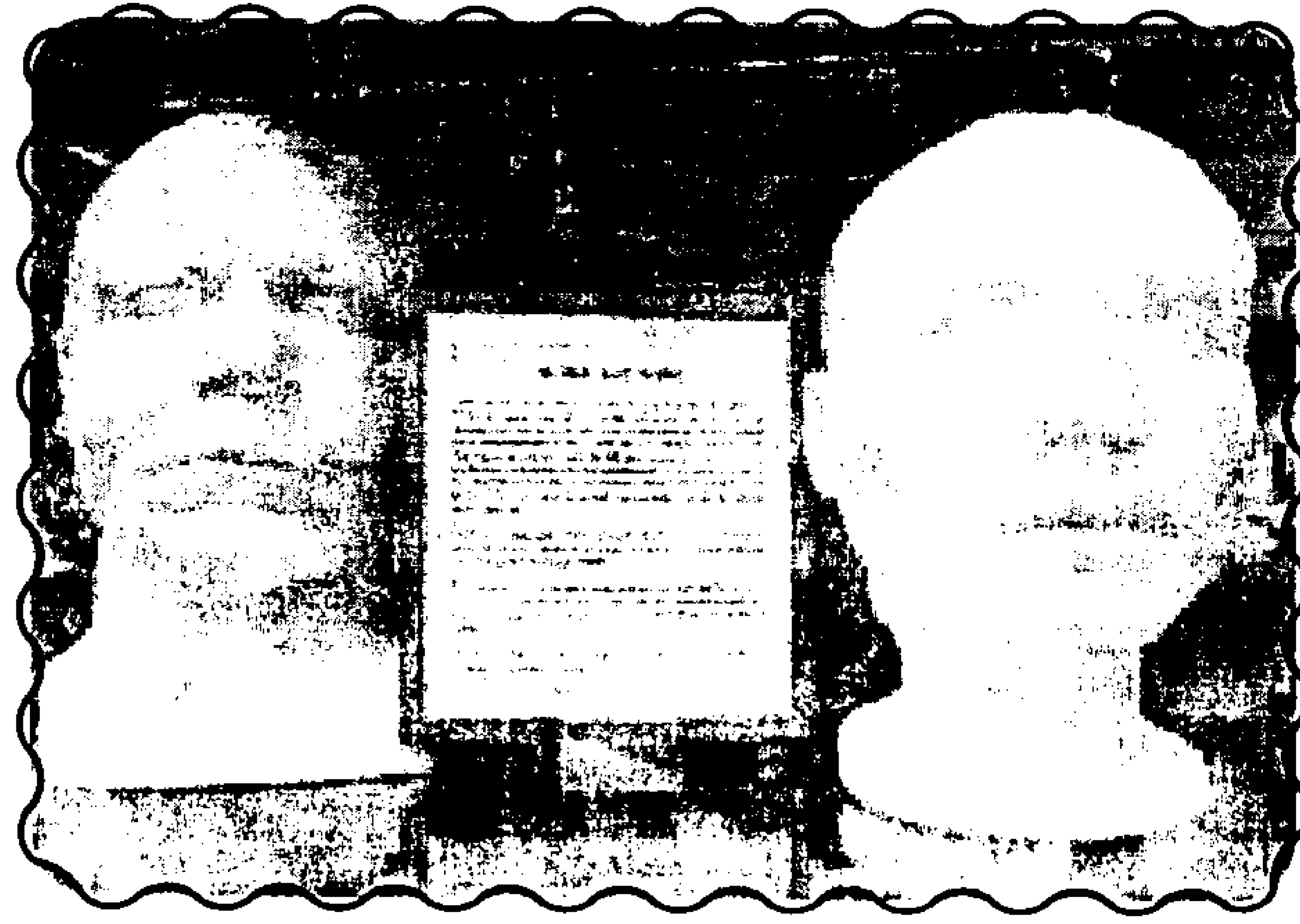
ووِفْقًا لـ (بيرك) فقد قام بتحميل البرميل على عربة حيث شكَّلَتْ عِبْئًا على الحُصان في دفْعها على شارع (غوغيت) مما اضطر (هير) لاستدعاء حارس بوابة لمساعدته في سحْبها على ذلك الشارع الزَّلِق، وعندما عاد الحارس إلى البوابة أطلق (هير) عليه النار وأرْدَاه قتيلًا في الفناء، وكان ضحايا آخرون من معارف (بيرك) السيد: (هوستلر)، وأحد أقارب (ماكدوغال) و(آن دوغال) .

ضحية أخرى... كانت مستأجرة سابقة تُدْعَى (ماري هالدين)، ادَّعَى (بيرك) في وقت لاحق أنه في ذلك الوقت اقترح السيد (هير) عليه تحويل عشيقته (هيلين ماكدوغال) إلى سلعة تباع في مشارِح الجثث؛ لأنه لا يمكن الوثوق بها، كما أنها كانت امرأة اسكتلندية، لكن (بيرك) رفض ذلك .



الهيكل العظمي لـ بيرك

ضحية أخرى كانت مستأجرة سابقة تُدْعَى (ماري هالدين)، وحمَلَها حظها السيء على أن تنام في مهجع (هير)، فقام (بيرك وهير) بقتل ابنتها (بيغي هالدين) أيضًا، وذلك عندما اتصلت بعد بضعة أيام تستفسر عن مكان والدتها.



قناعي الموت لـ بيرك وهير

الضحية التالية لـ (هير وبيرك) كان وجها مألوفًا في شوارع (أدنبره)، إنه شاب مُتخلِّف عقْليًا، وأعرج، واسمه: (جيمس ويلسون)، كان يُعْرَف ويُنْعَت محليًا بـ(جيمي المعتوه)، وكان في الـ18 من عمره يوم مَقْتله، وقاوم الفتى، لكنْ: هذان الاثنان قاما بِقَتْله معًا، وعلى الرغم من أنه في وقت لاحق نُسِبَتْ الجريمة لآخرين؛ بدأت والدته تبحث وتسأل عنه.

عندما كشف الدكتور (نوكس) عن جثته في اليوم التالي برغم اعتراف عدد من الطلاب بفقدان (جيمي) إلا أن الدكتور (نوكس) نفَى كون الفتى كان مفقودًا، وأفادت التقارير أن ما تبقَّى من رُفاته بعد التشريح لا يمكن التعرف عليها.

في حين كان (هير) يتخلص من ملابس الضحايا في (قناة الاتحاد)، (بيرك) مرر ملابس (جيمي) إلى أبناء أخيه بطريقة غير مقصودة تاركًا وراءه أدلة مادية على الجريمة لكن تمَّ استردادها قبل المحاكمة.

ذكر (بيرك) في وقت لاحق أنه و(هير) كانا في حالة سُكْر عندما نفَّذَا جرائمهما، وأنه لا يستطيع النوم بدون زجاجة الويسكي إلى جانب سريره وشمعة زهيدة تشتعل طوال الليل بجانبه، وعندما يستيقظ فإنه يحتسي زجاجة وأحيانًا نصف زجاجة التي من شأنها أن تُغْرقه في حالة السُّكْر .

آخر ضحية كانت السيدة (ماري دوهرتي) واستدرجها (بيرك) إلى مسكنه زاعمًا أن والدته هي أيضًا من عائلة (دوهرتي)، لكنه اضطر لتأجيل عملية القتل بسبب وجود الجيران: (جيمس) و(آن غراي)، غادر الجيران ليلًا، وذكر في وقت لاحق أن الجيران سمعوا أصوات صراخ وحتى صوت امرأة تبكي وكانت هناك جريمة قتل!

الضحايا:

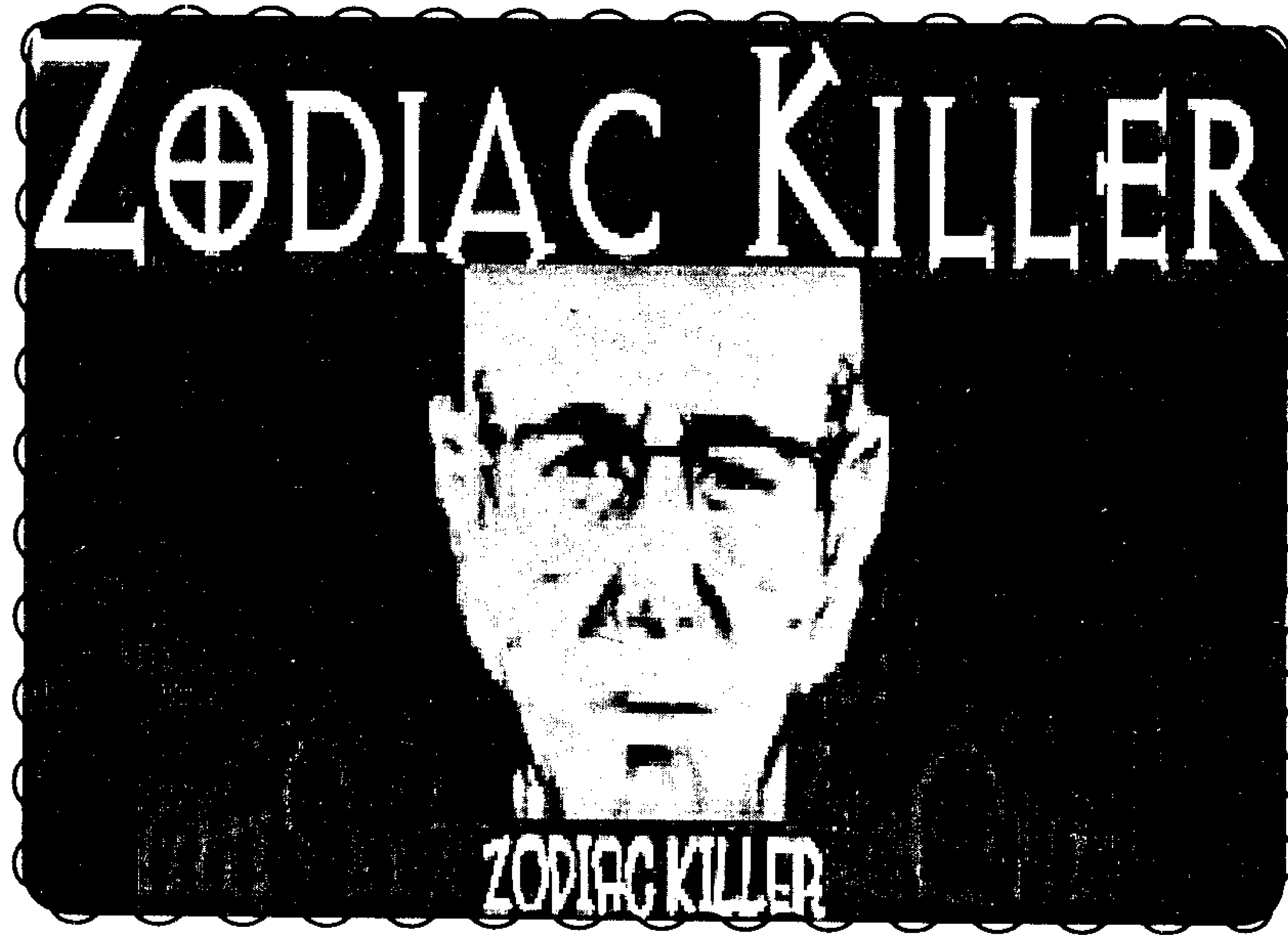
بلغ عدد ضحايا القتل 16، منهم: (9) قُتِلوا في منزل (هير)، و(2) في إسطبلات من الريف، و(4) في منزل (بيرك) و(1) في منزل شقيق بيرك .

ومات (دونالد) الجندي المتقاعد، مات نتيجة ظروف طبيعية، ولكن (بيرك) و(هير) باعوا جثته بـ 7 جنيهات، فيكون العدد الكلي (17)، وهو يطابق عدد الدُّمَى التي كانت موجودة في التوابيت الخشبية. والتي بقِيَ منها (8) معروضة في متحف (أدنبره) الوطني في اسكتلنده، وفي عام 1836م. عثَرَ عليها صبي في كهف في منطقة تُدْعَى: (آثر سيت- Arthur's Seat). [1]

1- نقلا -ببعض التصرف- عن مقال: (لُغز دُمَى التوابيت) المنشور على الموقع العربي: (ما وراء الطبيعة) بتاريخ: (٢٢ يونيو. ٢٠١٣م.). وكتابنا: «أشهر السفاحين في التاريخ». [ص/ ٤٧-٥٩]. الناشر: دار الكتاب العربي-دمشق- القاهرة.

26

جرائم سان فرانسيسكو الغامضة!



«لقد كانت جميلة وصغيرة، لكنها الآن ميتة.. وهي لن تكون الأخيرة، وبينما تقرءون هذه الكلمات، سأكون أنا أفكِّر في الضحية القادمة، والتي سيكون مصيرها أسوأ بكثير!!.. فأرجوكم لا تجعلوا الأمر سهلًا.. حذِّروا الجميع مني، وانشروا هذا الخطاب على الملأ ليُقدِّروا ما سيواجهونه.. إنني لست مريضًا، إنما أنا مجنون!!.. لذلك يجب أن تُصدِّقوا كل كلمة أخبركم بها...».

هذه الكلمات كانت أول رسالة تصل إلى الشرطة من ذلك القاتل الغامض الذي حيَّر الجميع ببشاعة جرائمه، كما حيَّرهم بحقيقة شخصه المجهول على مدار عدة سنين!

ففي عام 1969م. أصبحت ولاية (سان فرانسيسكو) هي ولاية الرعب الأولى في الولايات المتحدة الأمريكية

فرغم انتشار القتلة والسفَّاحين في كل مكان هناك -ربما أكثر من الضحايا أنفسهم- فإن مستر (زودياك) استطاع أن يجعل له بصمة واضحة في هذا المجال.. وأن يُخلِّد اسمه في كتب التاريخ لكن بأبشع الصور

الجريمة الأولى

شيري جوبيتس



بدايته الحقيقية كانت قبل ذلك بثلاث سنوات.. مع شابة جميلة تبلغ من العمر 18 عامًا فقط.

كانت «شيري جوبيتس» ترجو العودة إلى بيتها بسرعة، لتستطيع تلخيص الكتب التي استعارتها من المكتبة، لذا فقد أُصِيبتْ بخيبة أمل كبيرة حين رفضتْ سيارتها أن تصدر أي دليل على أنها تعمل.. وللأسف وقعت في الخطأ الشهير -والذي كان آخر أخطائها- لقد قبلت مساعدة رجل غريب ليلًا، وهي بعيدة عن بيتها.

«لكنه يبدو هادئًا ومسالمًا» هكذا قالت لنفسها حين عرض عليها هذا الرجل مساعدتها في إصلاح السيارة، ثم حين عرض عليها إيصالها إلى بيتها.. بالتأكيد كان هادئًا ومسالِمًا في نظرها -بل وربما كان جذَّابًا!!- إلا أنها لم تعرف أنه كان مجنونًا.

ما هي إلا أيام قليلة حتى تمَّ العثور على جثتها، ورغم اعتياد رجال الشرطة على

منظر الجثث، فإن أغلبهم لم يتمكن من إيقاف نوبة الغَثيان التي اجتاحتهم حين شاهدوا «شيري جو بيتس».. أو ما تبقى منها!!..



بعد شهر كامل من العثور على جثتها ممزقة بأكثر من عشر طعنات -أغلبها في منطقة الرقبة- وصل إلى الشرطة المحلية خطاب مكتوب بخط اليد، يحْوي شرحًا مُفصَّلًا من القاتل عن كيفية القيام بجريمته، ومدى استمتاعه بكل لحظة فيها!!.

وأُصِيبَ الجميع بدهشة لهذه الجرأة الغريبة، وأيضًا بسبب التوقيع الذي هو مَزِيج من حرف (Z) ورقـم (2).

في نهاية الخطاب وجَّه القاتل بضع كلمات ما زالت عالِقة في أذهان كل من قرأها أو سمعها: «لقد كانت جميلة وصغيرة، لكنها الآن ميتة.. وهي لن تكون الأخيرة، وبينما تقرءون هذه الكلمات، سأكون أنا أُفكِّر في الضحية القادمة، والتي سيكون مصيرها أسوأ بكثير!!.. فأرجوكم لا تجعلوا الأمر سهلًا.. حذِّروا الجميع مني، وانشروا هذا

الخطاب على الملأ ليُقدِّروا ما سيواجهونه.. إنني لست مريضًا، إنما أنا مجنون!!.. لذلك يجب أن تُصدِّقوا كلْ كلمة أُخبِركم بها...».

بالطبع لم يُفكِّر أحد في نشر هذا الخطاب الشنيع خوفًا من انتشار حالة من الذُّعْر والاشمئزاز بين أهالي (سان فرانسيسكو)، إلا أن الصُّحُف نشرتْه بعد أيام قليلة مع استنكار شديد لِما جاء فيه

لقد أرسل القاتل بنسخة إلى كل الصحف المحلية مع «رجاء خاص بنشرها».

ودار جدل شديد في الولاية حول مستر (Z) -كما أطلقوا عليه في البداية- إلا أن ذلك لم يستمر لأكثر من بضعة أيام نِسَيَ الجميع بعدها كل شيء، وبدأ الهدوء المعتاد يُخيِّم على الأجْواء مرة أخرى

لكن يبدو أن (Z) لم يكتف بكل ما حدث؛ حيث أرسل رسالة إلى والديْ الفتاة بعد 6 أشهر، لم تكن فيها سوى كلمات قليلة:

«لقد ماتت «شيري» لأنها كانت يجب أن تموت، وسوف يكون هناك آخرون»!!

الجريمة الثانية

«دافيد آرثر» و«بيتي لو»



في العاشرة من مساء 20/ 12/ 1968م -أي بعد أكثر من عامين- وفي الوقت الذي كان فيه «دافيد آرثر» و«بيتي لو» يستعدَّان لمغادرة سيارتهما، اقترب منهما مجهول وأطلق عليهما أكثر من 7 رصاصات، اخترقت جميعها جسديْهما وأدَّت إلى وفاتهما على الفور..

وكعسرعة القارئ الكريم لتلك الأحداث الماضية في الأسطر السابقة، تمت تلك الجريمة البشعة عندما وصلت سيارات الشرطة والإسعاف كان كل شيء قد انتهى، ولم يَعدْ هناك أي أثر للقاتل، وفرَكَ الجميع أعينهم استعدادا لعمل شاق للكشْف عن هُوِيَّته؟

لكن القاتل مستر (Z) لم يرضَ لهم بهذا الجهد!!.. حيث تلقَّت شرطة (سان فرانسيسكو) في اليوم التالي اتصالًا تليفونيًّا من شخص مجهول أخبرهم فيه أنه المسؤول عن الحادث، وأنه يتمنَّى ألا يكونوا قد نسوه، لأنه لن يغفر لهم هذا الإهمال أبدًا، ثم ختم

حديثه بقوله: «إلى اللقاء ثانية قريبًا.. خذوا حِذْركم.. كان معكم مستر (Z)».

وعرف بعض الموجودين ممن عاصروا القضية الأولى، أنه صديقهم القديم قد عاد إلى الظهور بنفس الطريقة المستفزَّة.

وقبل أن يستوعبوا ما حدث، اتصل بهم ثانية في اليوم التالي وقام بإخبارهم بكل تفاصيل الجريمة الأخيرة، وكان ذلك حين أخبره أحد المحققين أنه لا يُصدِّق كونه الفاعل، وأنه ربما قد شاهد الجريمة فأراد أن تكون له الشهرة الإعلامية، وهنا صمت مستر (Z) قليلًا ثم شكر المحقق على تلك المعلومة، ووعده بتصحيح الخطأ في هذه المرة، وفي المرات التي تليها... وانتهى الاتصال التليفوني فجأة.

كان التصحيح الذي عناه (Z) غاية في البشاعة والسادية[1]. حيث عاد للاتصال بوالديْ «بيتي لو».. واستمع الوالدان عبْر عشرين دقيقة كاملة إلى أدَقِّ تفاصيل الحادث وهي تُحْكَى لهما بهدوء رهيب، حتى إن والدة الضحية لم تحتمل، وأُصِيبتْ بذبحة صدرية تمَّ على أثَرها نقْلُها إلى غُرفة العناية المركَّزة

كان هذا أبلغ ردٍّ من مستر (Z) على تحدِّي المحقق له!!

لقد ذُهِل الجميع من تلك الأحداث، وبدءوا في العمل على قدم وساق للقبض على هذا الشخص، إلا أن كل مجهوداتهم كانت تقف عند نقاط مسدودة، دون أيَّة معلومات حقيقية تساعدهم في البحث.. واستمر ذلك عدة أشهر، حين وقعت الجريمة الثالثة.

1- السادية: هي مذهب فِكْري يقوم على تحقيق اللّذة بتعذيب الآخرين.
أو هي شذوذ جنسيّ قائم على التّلذذ بإحداث الألم لدى الآخر طلبًا للتهيُّج الجنسيّ أو لإشباعه. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» [ص/ ١٤٥٣] للأستاذ أحمد مختار عمر.

الجريمة الثالثة

«دارلين إليزابيث» و«مايكل رينو»



كان ذلك في مساء 5/ 7/ 1969م -عام التألُّق والنُّضْج- حين وصلت إلى الشرطة رسالة هاتفية تدلُّهم على «جريمة ثُنائية بأحد مواقف السيارات النائِية»؛ حيث وجدوا جثة كل من «دارلين إليزابيث» و«مايكل رينو»، وقد أصابتْهما أكثر من عشر رصاصات، أغلبها أيضًا في منطقة الرقبة.

ولم ينسَ القاتل أن يترك توقيعه المميَّز على السيارة لكي لا يقابله أحد «الاتهامات السخيفة بعدم المصداقية» مرة أخرى.

كانت صدمة عنيفة للجميع بعد أن ظنوا أنه قد توقف لسبب أو لآخر، لكنهم لم يعرفوا أن عام 69 سيكون أكثر أعوامه ازدهارًا وتألُّقًا.. إلا فيما بعد.

وكما توقعوا اتصل مستر (Z) في اليوم التالي ليخبرهم بالتفاصيل، وبالطبع كانوا قد تعلَّموا الدرس، وفي هذه المرة كانوا مستعدين لتعقب المكالمة، إلا أن توصُّلهم إلى المكان الذي أُجْرِيَتْ منه المكالمة أصابهم بالغضب والضآلة!!.. كان ذلك من هاتف عمومي على بُعْد أمتار من مَقرِّ الشرطة.

وبكل بساطة وصلت إلى الصحف في اليوم التالي خطابات من مستر (Z) تُعْلِن أنه من قام بالحوادث الماضية كلها، مع اعتذار لأسر الضحايا لأنه «فعل ما كان يجب عليه أن يفعله"». وذلك في نفس الوقت الذي وصل فيه إلى الشرطة خطاب يحْوي جدولًا به بعض حروف اللغة الإنجليزية، مع مرادفاتها من أشكال غريبة فيها بدا أنه جزء من شفرة!!.. وأخبرهم مستر (Z) في نهاية الخطاب أن الاسم الذي يحب أن ينادوه به مكتوب في نهاية الخطاب بهذه الشفرة.

يبدو أن مستر (Z) -والذي أصبح أشهر من نار على علَم في تلك الآونة- يمتلك قدرات جيدة بالفعل، حيث إن تلك الشفرة تحدَّت الجميع واستعصى حلُّها على الكل رغم الجهود المكثَّفة، بل ولم يتمّ حلّها إلا بعد اتصالٍ هاتفيٍّ جديد من القاتل، وهو يُبلِّغ عن جريمته الجديدة؟

وكانت المفاجأة!! إن مستر (Z) قد صنع سكِّينًا خاصًّا للقيام بجرائمه على الوجه الأمثل، ولكيْ يكون المتحدِّث الرسمي باسمه بعد ذلك؟

الجريمة الرابعة

«بريان كالفين» و«سيسيليا آن»



وفي أول بيان لهذا السكين -الذي لم يجده المحققون أبدا، لكنهم استطاعوا وضْعَ تصوُّر له من خلال أشكال الجروح في الضحايا- في 27/ 2/ 1969م، قام مستر (Z) باعتراض طريق اثنين من زوار (سان فرانسيسكو) وهما «بريان كالفين» و«سيسيليا آن» في إحدى الطرق البعيدة عن العمران -كالعادة- وقام بسرقة أموالهما وسيارتهما، حيث إنه كان يحتاجها «للسفر إلى (المكسيك) على الفور» إلا أنه قبل أن يُغادر، لم ينسَ أن يترك عشر طعنات في جسد الفتاة، وسبعًا أُخريات في جسد الفتى، وغادر المكان مُسْرعًا قبل أن تصل الشرطة بُناءً على مكالمة هاتفية منه!

لكن مهلًا.. إنهما ليستا جثتين!!.. إنهما لا يزالا حَيَّيْن يجاهدان لالتقاط الأنفاس!

وعلى الفور تمَّ نقْلُهما إلى المستشفى، حيث قام الأطباء بكل ما في وسعهم لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، إلا أن «سيسيليا» لم تحتمِل ما أُصِيبتْ به من طعنات، وماتت بعد وصولها

إلى المستشفى بساعتين، في حين استطاع «بريان» مقاومة الموت، وأصبح الآن للشرطة أقرب إلى كنْز قومي يجب الحفاظ عليه! لأنه الشاهد الوحيد الذي باستطاعته أن يرشدهم على هذا القاتل الغامض «مستر:Z »

دون الدخول في تفاصيل التحقيقات المملة نستطيع أن نقول إن فائدة «بريان» كانت محدودة إلى حد ما، حيث من الواضح أنه قد تعرَّض لضغط عصَبي ونفْسي شديديْن، جعلاه غير قادر على إفادة الشرطة بالطريقة التي كانوا يرجونها..

بل إن الاتصال الجديد من مستر (Z) أعطاهم معلومات أكثر قيمة عن كيفية وقوع الحادث..

كما أعطاهم مفتاحًا لحلِّ الشفْرة، وهو يُعْلِن عن خيبة أمله في عدم قدرتهم على حل «لعبة الأطفال» تلك!!.. كما أنه لم ينسَ في نهاية المكالمة أن يتمنَّى الشفاء لـ«بريان»، وطلب من الجميع معاملته بهدوء ورَوِيَّة، لأنهم «لا يعلمون مقدار ما مر به من مواقف صعبة ومؤلمة!!»..

الآن -وبعد أن زاد عدد الضحايا- توصَّل رجال الشرطة إلى الاسم الذي طلب أن ينادوه به.. إنه مستر «زودياك»!!.. عبير الموت!

بعد شهر من هذه الأحداث قام مستر زودياك بجريمته الخامسة في تحَدٍّ صارخ للشرطة.. وأثارت جريمته الدهشة هذه المرة..

حيث قام بقتل سائق التاكسي (Paul Stain) البالغ من العمر 29 عامًا..في ليلة السبت 11 أكتوبر عام 1969م..

كان لأول مرة يرتكب حادثا منفردا..فبعد أن وضع بعض المحققين بعض التصورات عن كون مستر (زودياك) الذي يقتل ضحاياه الآثمين الذين يمارسون الحب بعيدا عن الأعين..إذا به ينسف كل تلك الاحتمالات بقتْل (بول)..

أما (بول) ذاته فقد كان قتْلُه مثيرا للدهشة إلى أقصى حد..

كانت بُنْيتُه الرياضية القوية تُمكِّنه من الدفاع عن نفسه جيدا..حيث كان يمارس رياضة كمال الأجسام..

ولكن الطعنات المنتشرة في جسده وبالأخص في منطقة الرقبة كالعادة دلَّت على أن مستر زودياك قد استطاع مباغتته والقضاء عليه في لحظات..

وكان تصور الحادث كالتالي:

أشار (زودياك) إلى (بول) فتوقف له.. ثم أخبره بعنوان في (Maple Street) قُرْب مرتفعات (Presidio).. وهو مكان بعيد ومنعزل.. ثم أخرج سكينًا من طيَّات ملابسه وطعنه عدة طعنات في رقبته أسقطه قتيلا..

ولم يكتف بذلك..بل اقتطع جزءًا من قميص القتيل وغمسه في دمه ثم أخذه معه ونزل من السيارة وسار هادئا إلى أقرب منطقة مأهولة..

المثير أن ثلاثة أشقاء مراهقين شاهدوه من نافذة شقتهم وأبلغوا الشرطة.. والأكثر إثارة أن سيارة الدورية مرَّتْ به قُرْب مكان الحادث وهي متجهة إليه..بل واستوقفوه وسألوه عما إذا كان قد رأى أحد الأشخاص يتصرف بطريقة مريبة في هذا الشارع.. ولكنهم تركوه بعدها..فقد جاء ببلاغ المراهقين أن القاتل زِنْجي أسود اللون.. وكانوا يقصدون الضحية (بول)!!..

وعندما وصلت الشرطة إلى مَسْرَح الجريمة كان رفْعُ البصمات مستحيلا؛ ليس لأنه (التاكسي) اختلطت بداخله مئات البصمات للركاب الذين دخلوا منه وخرجوا، ولكن لأن (زودياك) ترك قُفَّازه في مسرح الجريمة وكأنه يُخْرِج لسانه للجميع!!

والآن..ماذا كان ردُّ فعل الشرطة؟ في مشهد غريب جلس الجميع في مركز الشرطة في أماكنهم بدلا من البحث والتنقيب؛ انتظارا للمكالمة المتوقعة التي تحكي لهم كل التفاصيل!!..

إلا أنها لم تأت في ذلك اليوم، ووصل بدلا منها في اليوم التالي إلى الشرطة ومَقارّ الصحف خطاب يحتوي على كل شيء.. إلا أن مستر (زودياك) -الذي لم ينس نصيحة المحقق- أضاف إليه شيئا صغيرا..

لقد أضاف إليه القطعة التي اقتطعها من قميص (بول) وغمسها في دمه..بل إنه وصف لهم أوصاف رجلي الشرطة الذين استوقفاه!!...وختم رسالته بقوله:

«إنكم تعملون بشكل ساذج..لقد مشَطُّتم الحديقة المجاورة لمسْرَح الحادث اعتقادا منكم بوجودي فيها.. كان يجب عليكم أن تَمشِطوا الطرق حول مسرح الحادث..لأن من البديهي أن أستدرج الضحية لمكان قد أعددْتُه مُسْبَقًا وتركت سيارتي على مقربة منه للفرار بها قبل وصولكم.. ولست أدري هل أنا الأذْكَى أم أنكم مجموعة من الخنازير الغبِيَّة؟..».

وهكذا طبَّقَتْ شهرة مستر (زودياك) الآفاق..وأصبح مادة لكل الصحف القومية في أمريكا بعد أن توالت الرسائل والمعلومات منه وفي ختام كلٍّ منها توقيعه الشهير -الذي أصبح أشهر من المَزارات السياحية - وأصبح الكل يخاف أن يخرج من منزله بعد غروب الشمس إلا للضرورة القصوى، وكل واحد يشك في كل من حوله.. حتى تحوَّلتْ مدينة (سان فرانسيسكو) إلى بيت للأشباح..وانتشر الرعب بين الأهالي.. وتم تحويل الكثير من ضباط الشرطة للتحقيق بدعوى التقصير، تمهيدًا لإحالتهم للتقاعد أو للأعمال الإدارية..

وتم إسناد القضية لطاقم من أكفأ رجال المباحث الفيدرالية لمعاونة الضابط المسؤول عن القضية (Tomas Melvin)..مع تجنيد كافة الإمكانيات لهم..

بل وفكرت السلطات في تغيير حاكم الولاية ذاته نتيجة القصور الأمْني في ولايته.. باختصار..لقد جَنَّدَت الولايات المتحدة كل إمكانياتها لملاحقة مستر (زودياك) وتقديمه للعدالة.. فماذا حدث؟؟

مع اقتراب العام الجديد ووسط احتفالات صغيرة محدودة في الولاية وصل إلى منزل المفتش (مالفين) في 27 ديسمبر 1969م. خطاب جديد مكتوب عليه من الخارج «عاجل وخطير إلى المفتش المسؤول عن قضية (زودياك) القاتل».. وفي الداخل كان الخطاب بسيطا ودون أيَّة إضافات:

«عزيزى مالفين.. (زودياك) يتحدث.. أرجو أن تكون مُسْتمتعًا باحتفالات العام الجديد..والتي أظن أنها ليست في روعة كل عام.. إلا أنها لا بأس بها..!! هناك شيء أريد أن أطلبه منك بمناسبة العام الجديد، ولْنَقُلْ إنه هدية منك!!.

أرجوكم ساعدوني..!! إنني لا أستطيع التوقف لأن ذلك الشيء بداخلي لا يتركني أبدا أتوقف، بل إني أجد صعوبة شديدة في التحكُّم بنفسي والتوقف عن قتْل الضحية التاسعة.. وربما العاشرة أيضا.. إني أغْرق.. بل إني أفكر في تفجير حافلة مدرسة كاملة هذه المرة ولا أعرف كيف أُوقِف هذه الأفكار اللعينة!!.. أرجوكم ساعدوني لأني لا أستطيع التحكُّم في نفسي أكثر من ذلك».

وفي نهاية الخطاب تألَّق توقيعه..الذي صار أسوأ كوابيسهم على الإطلاق..ومع الخطاب كانت هناك بطاقة مُعَايدة بمناسبة الكريسماس!!..

ومعه كان رسْمًا كُرُوكِيًّا لآلة تفجير مكتوب تحتها: أنه سيستخدمها عند تفجير الحافلة المدرسية..وقال: إنه يُخزِّنها في قَبْوِ منزله..بل إنه شرح لهم كيف حصل على أجزائها من الأسواق..وكيفية استخدامها أيضا!!..

وبجوارها وضع رسمًا كروكيا آخر لسكين صغير ذي نَصْلَيْن مكتوب تحته: أنه تُحْفَتُه الفنيَّة التي صنعها بنفسه لاستخدامها في قتْل الضحايا..!!

وأُصِيب الجميع بالإحباط.. وساد الذُّعْر بينهم مع كل التوقعات العشوائية التي كانوا يحاولون من خلالها معرفة مكان الضربة القادمة، وانتشر الخوف كالنار في الهشيم..

وتمَّ تدريب سائقي الحافلات المدرسية على كيفية التصرف حال تعرُّض الحافلات

للخطْف أو إطلاق الرصاص.. ووزِّعَتْ عليهم صورة تقريبية لمستر (زودياك) بناء على الأوصاف التي أدْلَى بها الأشقاء الثلاثة وأفراد سيارة الدورية الذين كانوا آخر مَنْ شاهدوه..

ومرت عدة أشهر دون أن يضرب مستر (زودياك) ضربته..لكنهم كانوا يعرفون أنه بينهم في كل مكان وأنه فقط يستعد.. وبالفعل لم يستطع مستر (زودياك) التوقف طويلا..

ففي ليلة 22 مارس عام 1970م..وقفت السيدة (Kathleen Johns) البالغة من العمر 23 عامًا في الطريق السريع بجوار سيارتها المعطلة تُشير إلى السيارات المُسْرِعة لعل إحداها تعْطِف على حالها..

بالطبع كان يجب مستر (زودياك) أن يكون هناك.. وبالطبع كان يجب أن يتوقف لها ويعرض عليها المساعدة بتهذيب.. وبالطبع أيضا كان يجب أن تستقل سيارته..

وحملتْ (كاثلين) طفلتها الرضيعة التي كانت تصطحبها معها في السيارة معها وركبت سيارته.. وأخبرتْه برغبتها في عدم إرهاقه معها..إذ يكفي أن يُوصِّلها لمحطة (Richfield) القريبة لتصليح السيارات..وهناك تصطحب أحد الفنِّيين من هناك وتعود به لإصلاح سيارتها.. كانت تقول ذلك كمجاملة منْعًا لشعورها بالإحراج..

ولكن أصابتْها الدهشة عندما وافق هو بلا تردد.. اختلط عليها الأمر بين مودَّته في عَرْضه بتوصيلها في البداية..وبين موافقته الآن..وقالت في نفسها: «ربما لم أرْقَ له خاصة في وجود صغيرتي..ولكن ليس هكذا يفعل الرجال المهذَّبون..». ولكنها في النهاية لم تجد بُدًّا من قبول عَرْضه وركوب سيارته.. وفي السيارة جلس مستر (زودياك) صامتا وكان يَحْدِق في الطفلة بين الحين والآخر.. ثم بدأ الشك يدُبُّ في قلب (كاثلين) حين مرَّت أكثر من محطة دون أن يتوقف عند إحداها.. تفكرت أنه يريد أن يغتصبها..وبدا لها هذا الاحتمال معقولا خاصة مع لهْفته على ركوبها سيارته بأي طريقة..

وحين تمالكت نفسها وسألته لماذا لم يتوقف أجابها بأن «الوقت لم يحِن بعد»!!..

حينئذ أصابها الانهيار وهي تتذكر كل الحكايات المُرِيعة التي كان الجميع يُحذِّر بعضه البعض منها، لكنها كالعادة كانت تقول لنفسها «هذا يحدث للآخرين فقط»!!.. لكنها الآن أدركت وأعصابها تتفتَّتْ أنه «يحدث لها الآن».. وغاصت (كاثلين) في مقعدها أكثر وهي تحتضن طفلتها ولا تعلم ما الذي سيحدث لها..

بعد ساعة ونصف من التجوال بلا هدف وقفت السيارة إلى جانب الطريق بالقرب من مدينة (Tracy).. ولعدة دقائق لم يتحدث أحدهما بكلمة، في حين ارتفع بكاء الطفلة وكأنها أحسَّتْ بما تُعانيه والدتُها..

ولم تحتمل أعصاب (كاثلين) كل هذا الضغط العصبي فانفجرت تصرخ بهستيرية شديدة، ثم فجأة فتحت الباب المجاور وانطلقت في سرعة البرْق إلى الغابة المجاورة للطريق.. وللحظة وسط صراخها نظرت خلفها وهي تتوقع رؤية ذلك الوحش على بُعْد خطوات منها.. إلا أنه كان لا يزال بداخل السيارة دون حتى أن يلتفت إليها، وبعد خمس دقائق أضاء أنوار السيارة وانطلق بها لا ينظر خلفه.. في حين وصلت (كاثلين) إلى أقرب مكان به ناس.. وهناك أُغْمَى عليها..

وعندما أفاقت بعد دقائق حكَتْ ما حدث لمن حولها ما حدث لها، فقاموا بالاتصال بالشرطة.. وفي الوقت الذي كانت فيه قوة من الشرطة تتجه إلى مكانها كان مستر (زودياك) يبعث برسالة إلى المفتش (مالفين) المسؤول عن قضيته يقول له فيها:

«عزيزي مالفين.. (زودياك) يتحدث.. منذ قليل كانت معي سيدة وطفلتها الرضيعة.. لا تخف.. لم أقتلها!!.. لقد منعني بكاء الطفلة.. لكن يجب أن تكونوا أكثر حذرا ولا تدعوا الأمور تسير بهذه البساطة في المرة القادمة إن ذلك لا يجعل الأحداث مُمْتعة على الإطلاق!!.

آه..كِدْتُ أنسى..لقد عَدَّلْتُ خُطَطي المستقبلِية.. الأطفال لا يستحقون القتل..

سأستخدم آلة التفجير في نسْف أحد مقارّ الشرطة..ربما يكون مقركم هذا..وربما يكون غيره..لا أستطيع الجزْم الآن..».

ثم أعقب رسالته كالعادة بتوقيعه الكئيب..

وبالطبع..تمت إحاطة (كاثلين) بجيش خاص من الحُرَّاس ورجال المباحث لحمايتها من أي محاولة قتْل.. وأيضا لحمايتها من تَطفُّل الصحافة.. واعتبر الجميع أن شهر مارس من عام 1970م. سيشهد الفصل الأخير من مأساة (زودياك).. لكن ما حدث كان يكفي ليفقد الجميع عقولهم تمامًا!!..

فلم يقم مستر (زودياك) بأي محاولة لقتل أو اختطاف المرأة التي باتت الآن تعلم شكله وأوصافه ويُمكنها أن تُقدِّمه للعدالة.. وفي نفس الوقت لم تكن هناك أيَّة استفادة تُذْكَر من تلك الشاهدة.. حيث إن الأوصاف التي أفادت بها (كاثلين) كانت غير مستقرة وغير كافية!!.. بل إن أقوالها خلال التحقيقات تضاربت حول التوقيت وأوصاف السائق أكثر من مرة.. وخضعت (كاثلين) لبعض التحليلات الطِّبِّية بأمْر الشرطة..

وأثبتت تلك التحليلات أنها مدمنة كحوليات..وأن إدمانها للكحوليات أثَّر على ذاكِرتها وتركيزها، وبذلك أصبحت شهادتها بلا قيمة ولا يُعْتدُّ بها، ولا يُمْكن الاعتماد عليها.. كما كان من الواضح أنها تعرَّضتْ لانهيار عصبي رهيب..انتهى بإيداعها بالفعل إحدى المصحَّات العقلية لفترة طويلة بعد ذلك..

والآن أصبح لدى الشرطة – طِبْقًا للشهود- رسما توضيحيًّا لثلاثة أشخاص يختلفون عن بعضهم البعض تمام الاختلاف!!. مما جعل أيَّ أمل في العثور على المتهم يكاد يتبخَّر.. وبدا (زودياك) وكأنه شبح لا يمكن الإيقاع به أبدا!!.. وأصيب الجميع باليأس..

لقد كانت قوة الحرب النفْسية التي يَشُنُّها مستر (زودياك) على ضحاياه أقوى مما يمكن أن يتخيَّله أي أحد!!. وإذا كانت هذه هي الحالة النفسية والعقلية لـ(كاثلين) التي لم يمسَّها مستر (زودياك) على الإطلاق فلَنا أن نتخيل الحالة النفسية التي كان عليها باقي الضحايا.. لقد كان الخوف هو اللعبة التي يُجِيدها مستر (زودياك)..

لكن مستر (زودياك) لم يترك رجال الشرطة يَنْعَمون بالوقت الكافي لترتيب أوراقهم وأفكارهم.. فبعد شهر واحد ارتكب جريمته السادسة! حين أطلق الرصاص على ضابط المرور السيد (Richard Radetich) حين حاول الأخير أن يُحرِّر له مخالفة مرور!!..

هكذا أصبحت المُحصِّلة ثمانية قتلى وحالتين نفْسيتين مُعقَّدتَيْن.. وحالة من الرعب الأسود الذي غطى مدينة (سان فرانسيسكو) كغُيُوم ملعونة لم يَبْدُ أنها على استعداد للرحيل!!..

وسئم الجميع تلك اللعبة التي أصبحت بالنسبة لهم أشبه بكابوس رهيب لا يمكنهم إيقافه.. لكن الكابوس توقَّف!!..

هكذا فجأة.. كانت جريمة قتل مستر (زودياك) لضابط المرور آخر الحوادث المسجَّلة باسمه في سجلاتِ المباحث الفيدرالية..ولأشْهُر طويلة كان الجميع في انتظار الضحية التالية..ولكن تلك الضحية لم تأت أبدا..

لكن المثير أن رسائل مستر (زودياك) إلى الشرطة والصحف المحلية لم تتوقف حتى عام 1978!! حين كانت آخر مرة يسمع فيها أحد شيئًا عنه.. وكانت رسائله تُناقِش بعض قضايا المجتمع!!...

مثل تلك الرسالة التي أرسلها في 29 أبريل 1970م. والتي قال فيها: «إذا أردتم أن أتوقف فعليكم تشجيع الناس على شراء المنتجات الوطنية من الملابس وغيرها.. أريد أن يرتدي الجميع ملابس أمريكية الصُّنْع..حتى الأزْرار أريدها أمريكية!!...».

ثم أتبعها برسالة أخرى في 26 يونيو 1970م. قال فيها:

«لم تقوموا بما طلبْته منكم..لقد أثَرْتُم غضبي..يبدو أنني سأعود للقتل مُجدَّدًا.. وعليكم انتظار الضحية الجديدة...أكتب لكم خطابي هذا مُتكئًا على حافلة إحدى المدارس..ولولا أن الوقت صيفٌ والحافلة فارغة لقُمْت بتفجيرها الآن..».

ثم بعث رسالة أخرى في 24 يوليو 1970م. قال فيها:

«أنا مسرور لأن الناس بدءوا يرْتَدُون الملابس الوطنية..لذلك عندي لكم خبَر سار..

لقد حصَلْتُ على قائمة بأسماء المطلوبين للعدالة..كتُجَّار المخدرات والقتَلَة وغيرهم، وسأقوم بتعقُّبهم والقِصاص منهم بطريقتي.. أما الشباب المُدْمِن فعليكم تحذيرهم.. فهم ليسوا ببعيدين عن مرْمَى طعناتي..».

بل إنه كان يناقش الأحداث السياسية.. فقد علَّق في خطاباته تلك على معاهدة (باريس) التي وُقِّعَتْ بين (الولايات المتحدة) و(فيتنام) عام 1973م..

كما علَّق على الحروب التي كانت دائرة في جنوب (لبنان) في ذلك الوقت.. بل إنه أرسل رسالة في 8 يوليو 1974م. ينتقد فيها تصرُّفات عُمْدة (سان فرانسيسكو) السيد (Marco Spinelli) ويتهمه بأنه يُعاني من اضطرابات نفسية تُؤثِّر على قراراته، مطالبا السلطات بتنْحِيته لأنه لا يصلح لهذا المنصب!!...

أو حتى كان يناقش آخر الأفلام السينمائية!!..

حتى إنه في عام 1974م. بعث برسالة إلى الصحف يقول فيها إن فيلم «طارد الأرواح الشريرة» (Exorcist)– وهو أحد أروع أفلام الرعب في التاريخ – ما هو إلا «كوميديا هزْلية»!!..

ثم أرْفَق كلامه هذا بطلب رقيق بتحويل قصته إلى فيلم سينمائي، مؤكدا أنه سيكون أكثر رُعْبًا بالتأكيد..وسيُحقق النجاح والثراء للقائمين عليه!!..

وكذلك تعليقه على فيلم (الأراضي الوعرة) (Bad Lands) الذي لم يُعْجبه فيه قسوة رجال الشرطة في التعامل مع المشتبه فيهم، مطالبا إياهم بأن يكونوا أكثر عطْفًا على الناس وأكثر لُطْفًا في التعامل!!..

كما انتقد العادات اليابانية التي يدفعون فيها الخاسر للانتحار!!...

وطيلة تلك الفترة لم ينس مستر (زودياك) إرسال بطاقات مُعايدة لمقرِّ الشرطة والصحف المحلية مع كل احتفال بـ «الهالوين» أو بــ «الكريسماس» وبداية العام الجديد..

السؤال الذي يراود أذهان كل من قرأ هذا المقال الآن بالطبع هو: هل تم القبض على مستر (زودياك)؟!..

الحقيقة أنه على الرغم من وجود العديد من الأوصاف له..بل ووجود عِدَّة بصمات يُشْتَبه في أنها تخصُّه..إلا أنه لم يتم القبض عليه حتى الآن!!..

وبالرغم من أن السلطات قامت بالعديد من الجهود المُضْنِية في البحث حتى وصل بهم الأمر لتحليل نوْع الورق..ونوع الحِبْر المكتوب به الخطاب لمعرفة مصدر إنتاجه وتوزيعه، لعل ذلك يفيدهم بشيء..

بل إنهم تعدُّوا ذلك لتفنيد كلمات الخطابات ذاتها بواسطة خبراء اللغة.. وتوصلوا إلى أن تلك الرسائل تُرْسَل من أماكن عديدة..ولكن كلها داخل (سان فرانسيسكو) ولكن ذلك لم يُوصِّلهم لشيء..

بل إن شرطة (ريفرسايد) تلقَّتْ رسالة من أحد المُحققين الهُواة في 31 أكتوبر 1970م. جاء فيها عرْض لأوجُه الشبَه بين جريمة قتْل الضحية الأولى (شيري بيتس) وفتاة أخرى قُتِلتْ بذات الطريقة مساء عيد «الهالوين» قبل ذلك بسنوات..

وبجِمْع التحريات زاد التخبُّط..

بالفعل بدت الجريمتان متشابهتين في كثير من التفاصيل مما يُوحِي بأن القاتل واحد.. وبالعودة إلى السجلات تبيَّن القبض على مرتكب الجريمة السابقة وإيداعه السجن.. وكان متواجدا بالسجن وقت ارتكاب مستر (زودياك) جريمته تلك..وتمَّ تفسير الأمر على أن مستر (زودياك) اقتبس فكرة جريمته من خلال قراءته لتفاصيل تلك الجريمة في الصحف..

إن من الواضح أن مستر (زودياك) قد أجاد الاختفاء والابتعاد عن عيون الشرطة.. خاصة أنه على عكس كل القتلة المُتَسلْسلِين الذين عرفهم التاريخ، لم يكن يَتْبَع أيَّة قاعدة في اختيار ضحاياه، مما جعل توقُّع خطواته التالية أمرًا أشبه بقراءة الفنجان أو التنجيم!!.. وإذا أضفنا لكل ذلك قِيامه بجرائمه بوجه مكشوف..ووجود شهود من ضحاياه ممن نجوا من الموت على يديه..وتحدِّيه السافر لرجال الشرطة..بل ولكافة سلطات الولايات المتحدة التي جُنِّدَتْ كلها ضده لأمكننا أن نقول بكل ثقة أن جرائم مستر (زودياك) تستحق أن يُطْلَق عليها ذلك اللقب المثير: «الجريمة الكاملة».

واليوم لم يعُدْ مستر (زودياك) أكثر من ذِكْرَى سيئة لكل من عاش في تلك الفترة بينما تحول إلى مادة عِلْمية وأدِبية كما أسلفت -خاصة لسكّان (سان فرانسيسكو)-.. لقد ظهرت مئات الكتب والتحليلات التي تتناول جرائم هذا القاتل وتُحلِّل نَفْسيته.. والتي لم يخْل البعض منها من الإعجاب بقدراته وتأثيره النفْسي الذي كان يُؤهِّله -كما قال أحد الكتاب- لأن يُصبح أحد أبرز القادة العالِمِيين تأثيرًا في البشَر لو كان يحكم دولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية، وهو الأمر الذي لم يتوافر له للأسف!!! بقِيَ أن نعلم شيئا واحدا؟ وهو لماذا فعل مستر (زودياك) كل ذلك؟؟

إن الأمر لم يكن بدافع العنف للعنف، أو لمجرد إرضاء شهوة عارمة أو حتى للسرقة.. لكن مستر (زودياك) شرح دوافعه لارتكاب كل تلك الجرائم في آخر خطاباته إلى الشرطة حيث قال:

«أنا أُحِب قتْل الناس لأن ذلك شيء ممتع!!.. بل إنه أكثر إمتاعًا من صيد الحيوانات البَرِّيَّة في الغابات.. فالإنسان هو أكثر الحيوانات على وجه الأرض خطورة وشراسة ويحتوي على العديد من الأمور التي تزيدني خبْرة في الحياة!!..أنا لم أغادر (سان فرانسيسكو).. ولن أغادرها أبدا..سأبقَى هنا معكم!

لكنْ أفضل ما في الأمر هو أنني حين أموت وتُولَد رُوحي من جديد في الجنة فإن

كل مَن قَتَلْتُ سيُصْبِحون عبيدًا لي.. لذلك فأنا لن أخبركم عن اسمي أو هُوِيَّتي.. سأخبركم فقط بأني قد اكتفيت بمَنْ قتلتُ..ونجحْت في تكوين تلك المجموعة من العبيد.. عبيد مستر «زودياك»...[1]

1- نقلًا -مع التصرُّف- عن الموقع الشهير (Nightmare) بتاريخ (٣ / ٢ / ٢٠١٢ م). والموقع العالمي: «Wikipedia، the free encyclopedia». تحت عنوان (Zodiac Killer) وعدة مواقع أجنبية أخرى مثل: (The Zodiac Killer) و(zodiackiller.com) و(Zodiac ٢٠٠٧ (IMDb)).

27

لُغز باقر البطون!

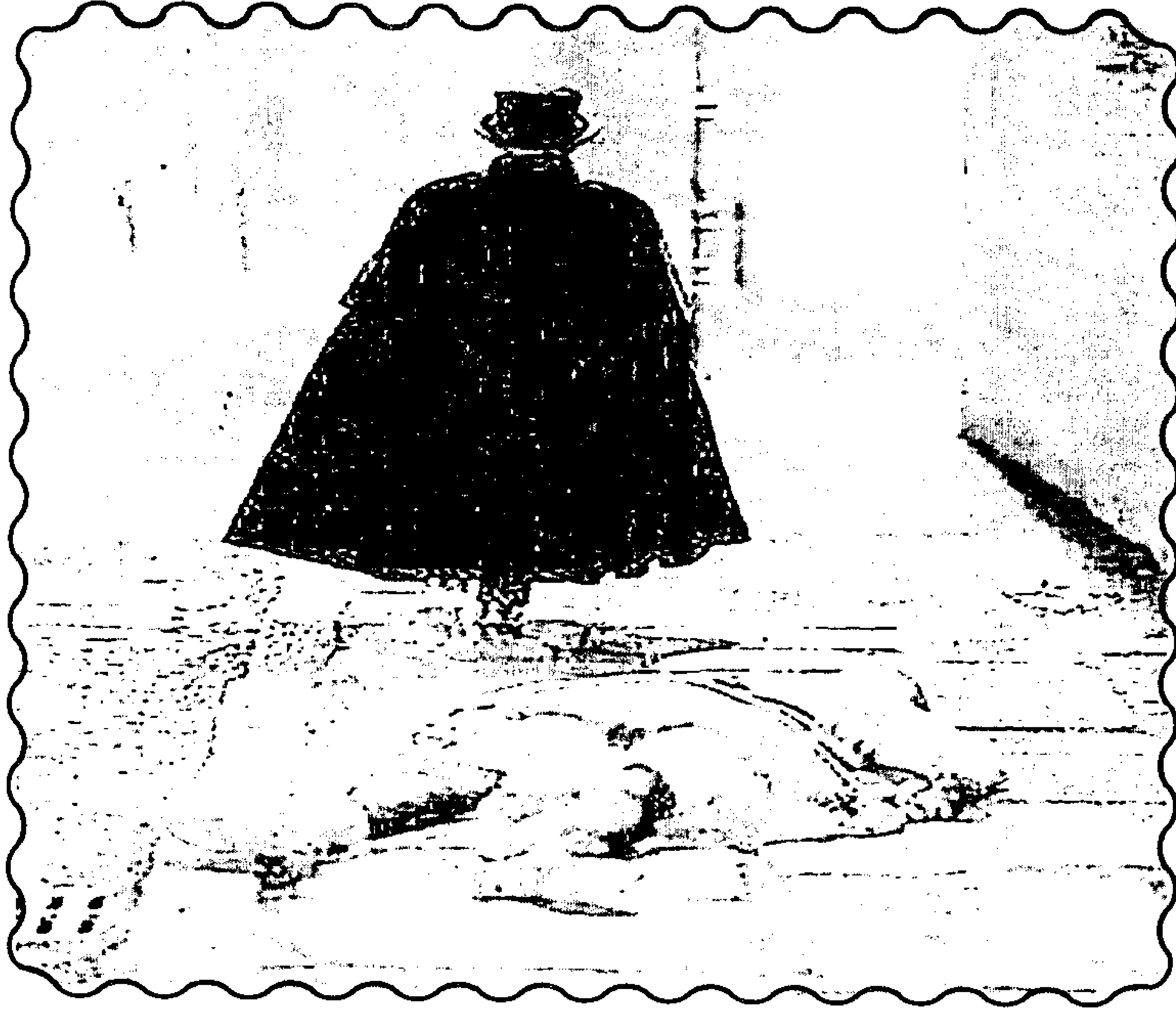


في ظلمات الليل السوداء، شبح لا تعرف هُويَّته، ولا اسمه، ولا أي شيء عنه ... بخطوات مخيفة ومفزعة في الشارع تراه يمشي هنا وهناك .

في أجواء لَنْدَنِيَّة ضبابية .. تُثير لوحدها الفزع والرعب، فكيف لو كانت الشوارع مسْرحًا لمجرم ملأ المدينة رُعبًا وفزعًا..

صرخات هلَع، دماء تُراق على الرصيف، الأجساد تُمزَّق إلى أشلاء وإلى قِطَع من اللحم متعفِّنة..

إنها مجموعة من الجرائم البشعة حدثت في أواخر القرن التاسع عشر في لندن، وبقيت حتى اليوم لُغْزًا حيَّر الباحثين وأعْيَا المحققين. فبرغم من وجود عدد كبير من المُشْتَبه بهم، إلا أن التهمة لم تثبت على أحد، وظل المجرم مجهولا حتى هذه الساعة.



في أوائل شهر نوفمبر عام 1888م. شهدت الضاحية الشرقية من لندن مسلسلًا من الجرائم الغامضة والمرعبة، حدثت خمس جرائم راح ضحيتها خمس نساء جميعهن من البغايا والساقطات، وكلهن قد قُتِلْنَ بنفس الطريقة تقريبًا، فقد قُطِعَتْ حناجرهن، واسْتُأْصِلَتْ أعضاؤهن التناسلية، وتمَّ التمثيل بجثث أربع منهن بوحشية وقسوة منقطعة النظير.

الضحية الأولى

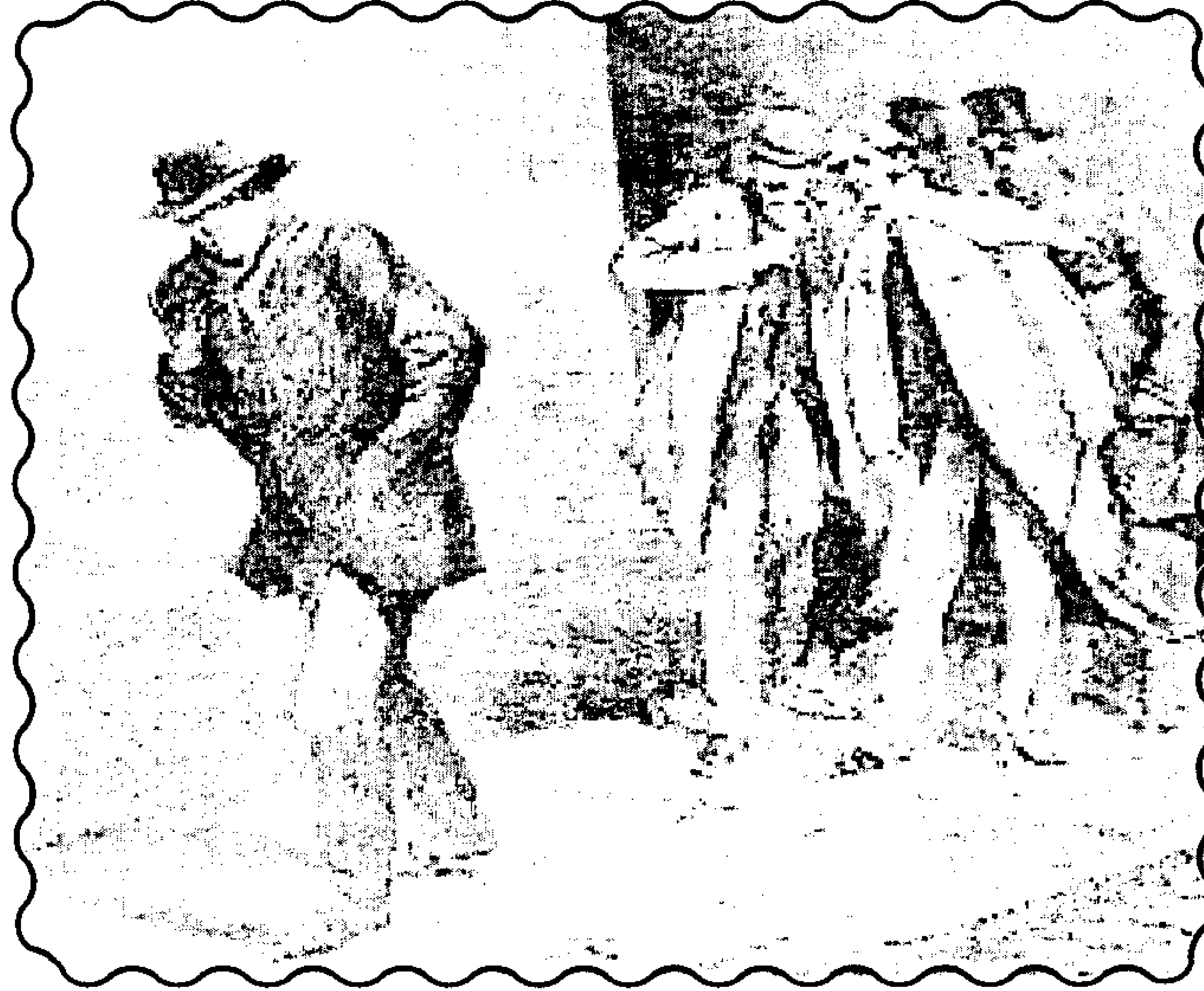
كانت تُدْعَى «ماري آن نيكولاس» وتُلقَّب بـ: «بولي»، وقد وجِدَتْ مذبوحة في 31 أغسطس 1888م، وقد وصفت الصحافة جريمة مقتلها بالبشعة والفظيعة.

الضحية الثانية

كانت تُدْعَى «آني جيهان»، عُثِرَ على جثتها في 8 سبتمبر 1888م. مذبوحة أيضا، وقد مثَّل القاتل بجثتها بوحشية، فشقَّ بطنها واستخرج أحشاءها.

الضحية الثالثة

في نفس اليوم في 30 سبتمبر 1888م. عثر بعضهم علي جسد امرأة بينما كان يقود عرَبَته متوجهًا إلى عمله، وتمَّ التعرُّف عليها، وهي فتاة اسمها «إليزابيث سترايد»، وقد ذُبِحَتْ من الوريد إلى الوريد مثل الأُخْرَيات.



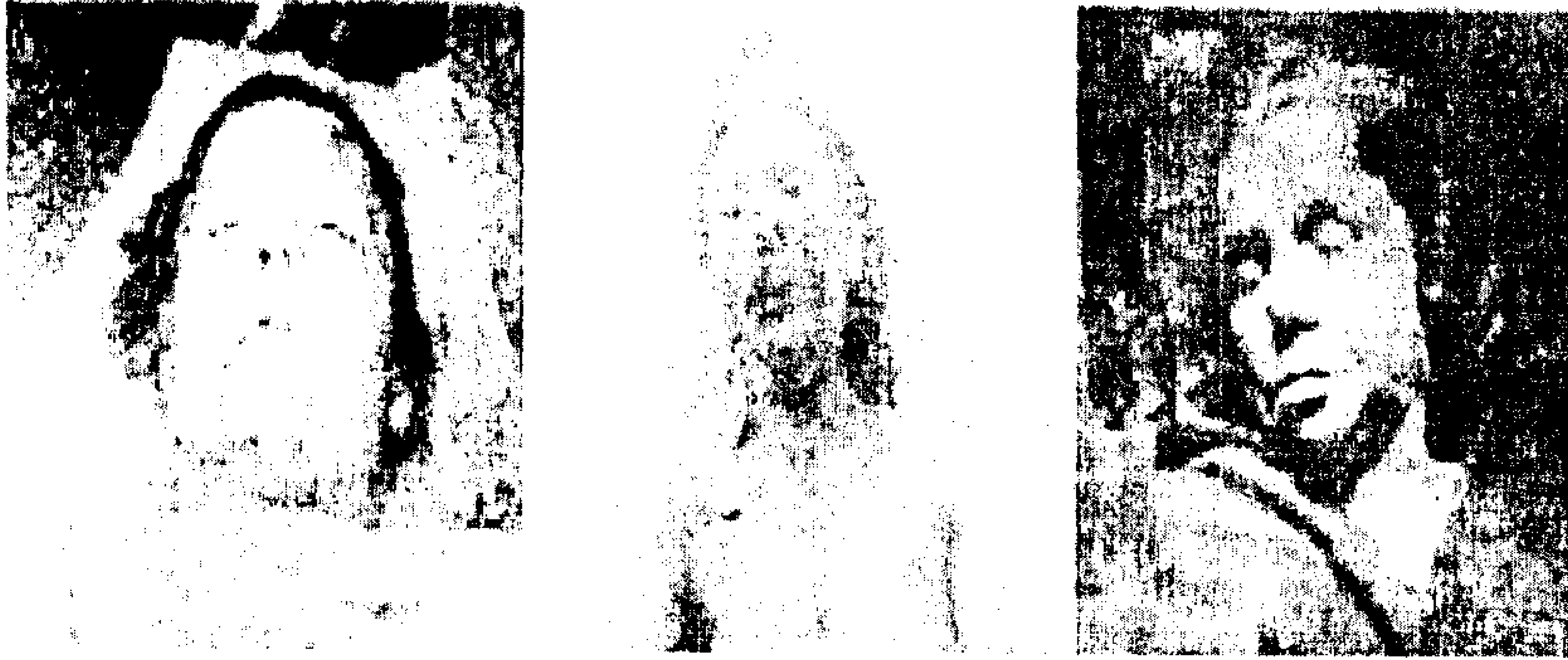
الضحية الرابعة

أما الضحية الرابعة فكانت «كاترين إدويس»، فقد تمَّ قَطْع حنجرتها وتشويه وجهها بفظاعة بحيث وجَدَت الشرطة صعوبة في التعرُّف عليها، كما قام القاتل باستخراج أحشائها ولَفَّ جزءًا من أمعائها حول رقبتها.

الضحية الخامسة

الجريمة الأخيرة كانت الأشد بشاعة والأكثر هَوْلًا، لأن القاتل حصل هذه المرة على فُسْحة كافية من الوقت ليعْبث بجثة ضحيته ويُمزِّقها كيفما شاء، فقد عُثِر على الضحية الخامسة والأخيرة، وتُدْعَى «ماري جين كيلي»، وهي مذبوحة في شقتها في التاسع من نوفمبر عام 1888م.



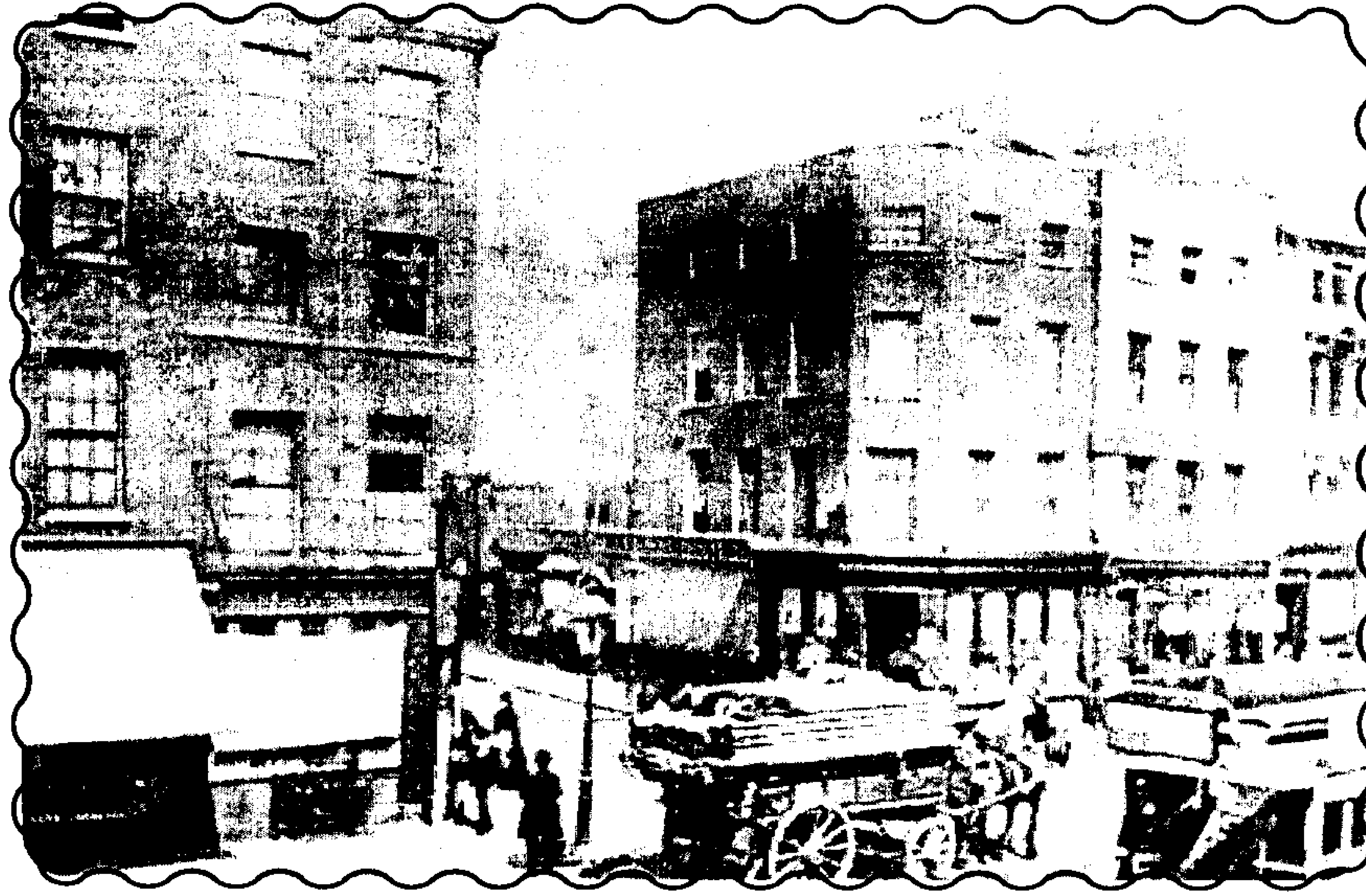


الصور التي نشرتها صحف ذلك الزمان لضحايا جاك السفاح

وهذه المرة لم يكتف القاتل بقطْع حنجرة ضحيته فقط بل قام بفصْل رأسها عن جسدها، ثم بَقَر بطنها واستخرج أحشاءها الداخلية، وقطَع ثَدْييْها وبتر ذراعيها، كما قام بنزْع اللحم عن رجلها ووجهها .. الأمعاء والكُلْيتان اخْتفَتتا تماما ولم يعثر رجال الشرطة عليها، في حين وضَع القاتل الكَبِد بين قدميْ الضحية، ووضع ثدييْها وأنفها على الطاولة.

اللغز الغامض

وبهذه الجريمة البشعة انتهى مسلسل القتل فجأة كما بدأ أول مرة، وبدأت بنهايته فترة طويلة من التحقيق والبحث المحموم والتحرِّي المكثَّف للكشف عن ملابسات القضية التي حيرت المحققين والباحثين لقرنٍ من الزمن.



صورة لبعض ضواحي لندن في أواخر القرن التاسع عشر.

لكن برغم كل الجهود الجبارة التي اضطلع بها رجال «اسكتلنديارد» فإن القاتل ظل مجهولا ولم توجَّه تهمة القتل إلى أحد.

لعقود طويلة تراكمت الكثير من الفرْضيات والنظريات حول هُويَّة جاك السفاح الحقيقية، لكنها بقيت مجرد احتمالات وتكهُّنات يصعب إثباتها، كان هناك الكثير من المُشْتبه بهم.

أشهرهم: «الدوق ألبرت» حفيد الملكة «فيكتوريا» الذي وُجِّهتْ له أصابع الاتهام من قِبَل بعض الذين كتبوا عن القضية، والذين افترضوا بأن الدوق أصيب بمرض «الزُّهْرِي» مما دفعه للجنون (الجنون هو من مضاعفات مرض الزهري) فارتكب تلك الجرائم البشعة.

ومنهم: «السير وليم غول» طبيب البلاط الملَكي كان أحد المشتبه بهم أيضا، وقد ظهر في العديد من الروايات والأفلام على أنه الشخص الذي يقف وراء جرائم جاك السفاح، ولعل السبب الرئيسي في الشكوك التي حامت حول الطبيب تعود إلى حِرْفية

جاك السفاح في تقطيع أوصال ضحاياه، فقد كان عمَلُه مُتْقَنًا وليس تمثيلا عشوائيا، مما دفع بالكثيرين إلى الاعتقاد بأن القاتل هو طبيب متمرِّس وخبير في عِلْم التشريح.

وهناك مُشْتَبه به آخر هو «مونتغيو جون دروت»، كان محاميا فاشلا ومضطربا عقليا انتحر بإلقاء نفسه في نهر «التايمز» في ديسمبر 1888م. وقد أدَّى تزامن موته مع انتهاء مسلسل القتل إلى جَعْل الشكوك تحُوم حوله.

وهناك أيضا مشتبه به يُدْعَى «روبرت ستيفنسن»، وهو كاتب مُولَع بالشعوذة والسحر الأسود، وقد جعله وَلَعُه هذا محلا للرِّيبة والشكوك، حيث ظن بعض المحققين بأنه اقترف الجرائم كضرْب من الطقوس السحرية، وتزايدت الشكوك حوله بانتظام بعد أن اختفى كليًّا في عام: 1904م.

أخيرا وليس آخرا، هناك قاتل يُدْعَى «توماس نيل» حُكِم عليه بالموت في أمريكا، وقد صرخ من فوق منصة الإعدام قائلا .. «أنا جاك الـ ..» قبل أن يقطع حبْلُ المشنقة بقية كلامه!



صور لبعض المشتبهين بانتحال شخصية جاك

في الحقيقة هناك الكثير من المُشْتَبه بهم في قضية «جاك السفاح» ممن يطُول ذكرهم وتِعْدَادهم، لكنْ وكما أسلفنا سابقا فإن التهمة لم تثبت على أحد بعينه، وظلت القضية لُغْزًا مُحَيِّرًا تحوَّل بمرور الأيام وانقضاء السنين إلى أسطورة مُخيفة ألْهبتْ حماس مُحِبِّي قصص الرعب حول العالم[1] .

1- نقلا -مع التصرُّف- عن الموقع الشهير (Nightmare) بتاريخ (١ / ٢ / ٢٠٠٣ م). والموقع العالمي: «Wikipedia، the free encyclopedia». تحت عنوان (Jack the Ripper). والموقع الأجنبي (Chronicles of Crime) تحت عنوان: (Jack the Ripper)

28

مصّاص دماء يتلذّذ بشرب دماء ضحاياه!



العديد من الناس يتساءلون عن حقيقة شخصية «مصاص الدماء» وفيما إذا كان لها وجود حقيقي؟

والجواب غالبًا ما يكون نفْيًا مصحوبا بالسخرية، فالبعض يردُّون على الفوْر قائلين: بأن «مصاص الدماء» هو شخصية أسطورية اخترعها الناس البسطاء والسُّذَّج في العصور الوسْطَى للتنفيس عن مخاوفهم وآلامهم.

لكن ما لا يعلمه أغلب الناس هو أنه هناك في عِلْم الطب مرض حقيقي اسمه (Renfield's syndrome). والمصاب بهذا المرض العقلي يشعر برغبة لا تُقاوَم لمصّ وشُرْب الدماء.

ورغم نُدْرَة الإصابات وكذلك الدراسات والأبحاث، إلا إن هناك حالات موثّقة لسفاحين وقتَلَة مُتسلْسِلين كانوا مصابين بهذا المرض، وكانوا يتلذّذون حقا بِشُرْب دماء ضحاياهم، وأحدهم هو بطل قصتنا في هذا الكتاب.

أصل الحكاية

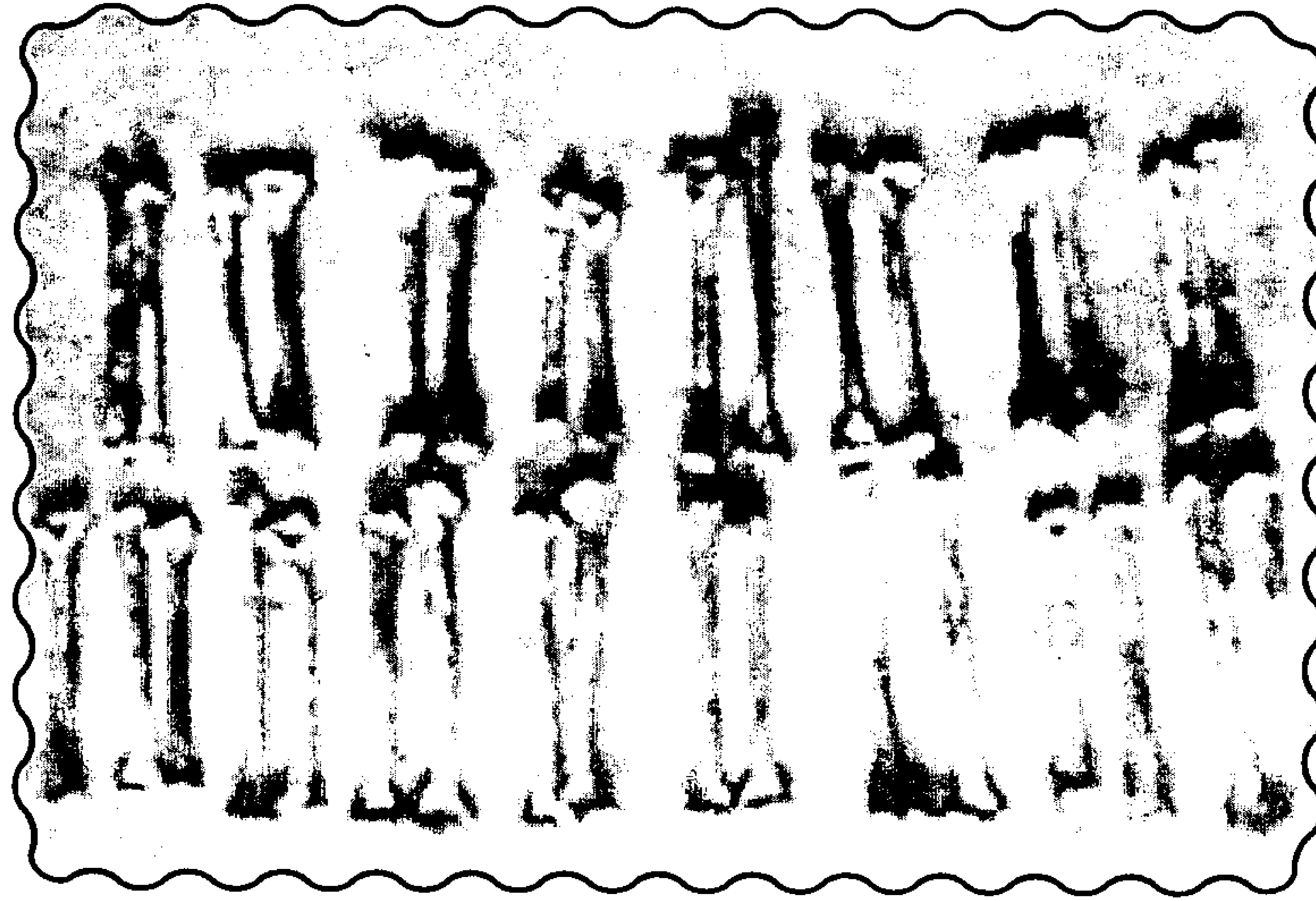
كان الصِّبْيَة يلعبون ويمرحون بالقُرْب من ضفاف نهر «لاينه» في مدينة «هانوفر» بألمانيا حين ظهرت فجأة عن أحد زملائهم صرخةُ رعب، كان الصبي يشير بيده المرتجفة إلى كَوْمة داكنة من الطَّمْي والأوساخ على ضفاف النهر تعلوها جمجمة بشرية.

وكعادة الصبيان حين يذعرون فقد أطلقوا للريح سيقانهم ولاذوا بالفرار لا ينظرون خلفهم، ليخبروا أهليهم بما شاهدوا. ولم يمضِ وقت طويل حتى ظهر رجال الشرطة في ذات المكان واكتشف المحققون عظامًا بشرية بدا جليًّا أنها مع الجمجمة تعود إلى شخص واحد.

وفي الأيام التالية قذف نهر «لاينه» بالمزيد من العظام على ضفافه. وقد أظهرت الفحوص الجنائية أن تلك العظام تعود إلى ذُكور تتراوح أعمارهم بين 17 - 20 عاما فُصِلَتْ جماجمهم عن أجسادهم، ونُزِعَ اللحم عن عظامهم بواسطة أداة حادَّة قبل إلقائهم في النهر.

في بادئ الأمر ظنت الشرطة أن البقايا البشرية مصدرها أحد المختبرات الطِّبِّية أو بعض نبَّاشِي القبور. لكن العثور على المزيد من العظام على ضفاف النهر وكذلك التقاط حقيبة جِلْدية تحتوي على أحشاء بَشَرية في أحد المستنقعات القريبة من النهر جعلتْ محققي الشرطة يرتابون في أن تكون للقضية خلْفية جنائية.

ومع ازدياد هياكل نهر «لاينه» أخذت الصحافة تكتب عن الموضوع، وأخذ الرعب يملأ المدينة التي صار سكانها يتحدثون بوحي من تراثهم عن ظهور «مُسْتئذِب» آكل للحوم البَشر في مدينتهم.



صور حقيقية لبعض العظام التي عثر عليها في النهر

وازداد خوف الناس بازدياد البلاغات التي تصل الشرطة من عائلات اختفى أبناؤها. كل هذا دفع شرطة مدينة «هانوفر» وبمساعدة مئات المتطوّعين إلى القيام بحمْلة تفتيش كبرى بحثًا عن دليل يمكن أن يفك لغز البقايا البشرية.

فتشوا كل مكان .. الغابات .. المستنقعات .. الضواحي .. المقابر والأماكن المهجورة. وأخيرا حجزوا مياه النهر وفتشوا مجْراه فعثروا هناك على كمية كبيرة من العظام البشرية. تبيَّن لاحقا أنها تعود إلى قرابة 22 شخصا جميعهم من الذكور التي تتراوح أعمارهم بين 15 - 20 عاما.

وبعض هذه العظام كانت ترقد في قاع النهر منذ مدة طويلة فيما بدت مجموعة أخرى حديثة العهد، وأغلبها تمَّ نزْعُ اللحم عنها قبل أن تُرْمَى في النهر.

شنَّتْ شرطة هانوفر حملة واسعة من الاعتقالات تم خلالها استجواب أرباب السوابِق، كما بثَّتْ عشرات المُخْبِرين في أرجاء المدينة لمراقبة كل من يُشْتَبَه بصلته بشبكات الإجرام.

لكن جميع الجهود باءت بالفشل ولم يتم التوصل إلى أي شيء يمكن أن يساهم في حل القضية.

محطة القطار:

في يوم 22 حزيران / يونيو عام 1924م. انتبه المسافرون في محطة قطار «هانوفر» إلى صراخ ونقاش حادٍّ ارتفع من أحد الأركان بين فتى مراهق ورجل في الأربعين من عمره، أحد رجال الشرطة تقدم إليهما وتساءل عن سبب جدالهما؟

فأشار الرجل الأربعيني إلى الفتى وقال مخاطبا الشرطي: «اقبض على هذا الفتى أيها الشرطي لأنه يسافر بأوراق مزورة».

ما قاله الرجل أغضب الفتى بشدة فصرخ قائلا: «ياله من كاذب! .. لا تُصدِّقه أيها الشرطي .. لقد احتجزني هذا الرجل في منزله عدة أيام وحاول قتلي».

بدا الارتباك جليا على وجه الرجل الأربعيني فأجاب متلعثما: «هل تُصدِّق هذا الفتى المخادع! .. إنه هارب من عائلته ويسافر بأوراق مزوَّرَة .. أااا .. أنا رجل شريف .. و.. وو.. أنا أعمل مع الشرطة أيضا!».

نظر الشرطي إلى الرجل والفتى أمامه بعين الرِّيبة وتذكر جيدا الأوامر التي كرَّرها عليه رئيسه عدة مرات في الانتباه لكل أمر يحدث أمامه حتى لو بدا تافها وغير مهمٍّ، لذلك أمر الشرطي كُلًّا من الرجل والفتى أن يأتيا معه إلى القِسْم وبدون مناقشة.

وفي القِسْم تعرَّف المأمور على الرجل الأربعيني على الفور، إنه فريتز هارمن (Fritz Haarmann) من أرباب السوابق يعمل مع الشرطة أحيانا كمُخْبِر، وله سِجِلٌّ حافل بجرائم التحرُّش بالفِتيان المراهقين.

أما الفتى المراهق فكان يُدْعَى «كارل فروم»، في الخامسة عشرة من العمر. قال بأنه قابل «هارمن» في محطة القطار قبل عدة أيام، فعرض عليه هذا الأخير مساعدته في إيجاد عمل ومأوى، واصطحبه معه إلى شقَّته، وهناك تحرش به جنسيا واعتدى عليه. وفي

اليوم الأخير من إقامته القصيرة استيقظ الفتى صباحا ليجد «هارمن» ممسكا بسكين كبيرة ويتفحص جسده كأنه جزّارٌ يختبر خروفا قبل الذبْح!

ثم التفت نحو الفتى وسأله: «هل تخاف الموت ؟» فتملَّك الفتى رعبٌ شديد حتى عجز عن الرد، فانفجر «هارمن» ضاحكا وابتعد قائلا بأنه يمزح.

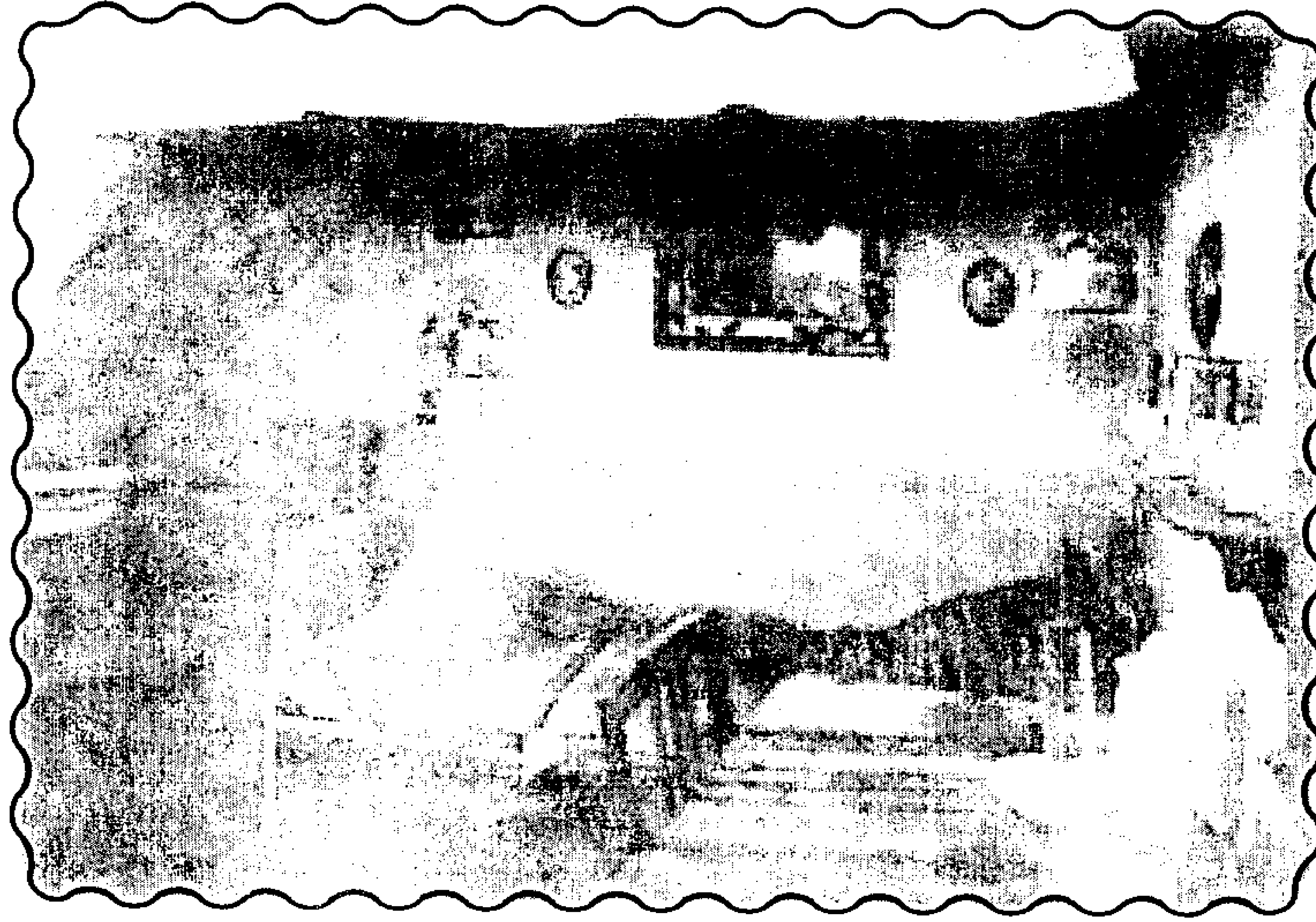
لكن الفتى قرر الهرب إثْر هذه المِزْحة السمجة، فلحقه «هارمن» إلى محطة القطار وانتهى بهما المطاف إلى قسم الشرطة.

الصدفة أوقعت الوحش

ومن غرائب الصُّدَف أنه بينما كان هارمن في قسم الشرطة، كانت والدة أحد الفتيان المفقودين ويُدْعَى «روبرت فيتزل» تنتظر من أجل لقاء المأمور أمَلًا في معرفة أي شيء حول مصير ابنها.

وحين جلبوا هارمن للتحقيق أخذت السيدة «فيتزل» ترمقه بنظرات حادة، كانت تنظر إلى شيء محدد في جسده، إنها سُتْرَة كان «فيتزل» يرتديها، ثم فجأة ارتمتْ عليه وأخذت تصرخ: «إنها سترة روبرت! .. إنها سترة روبرت!.





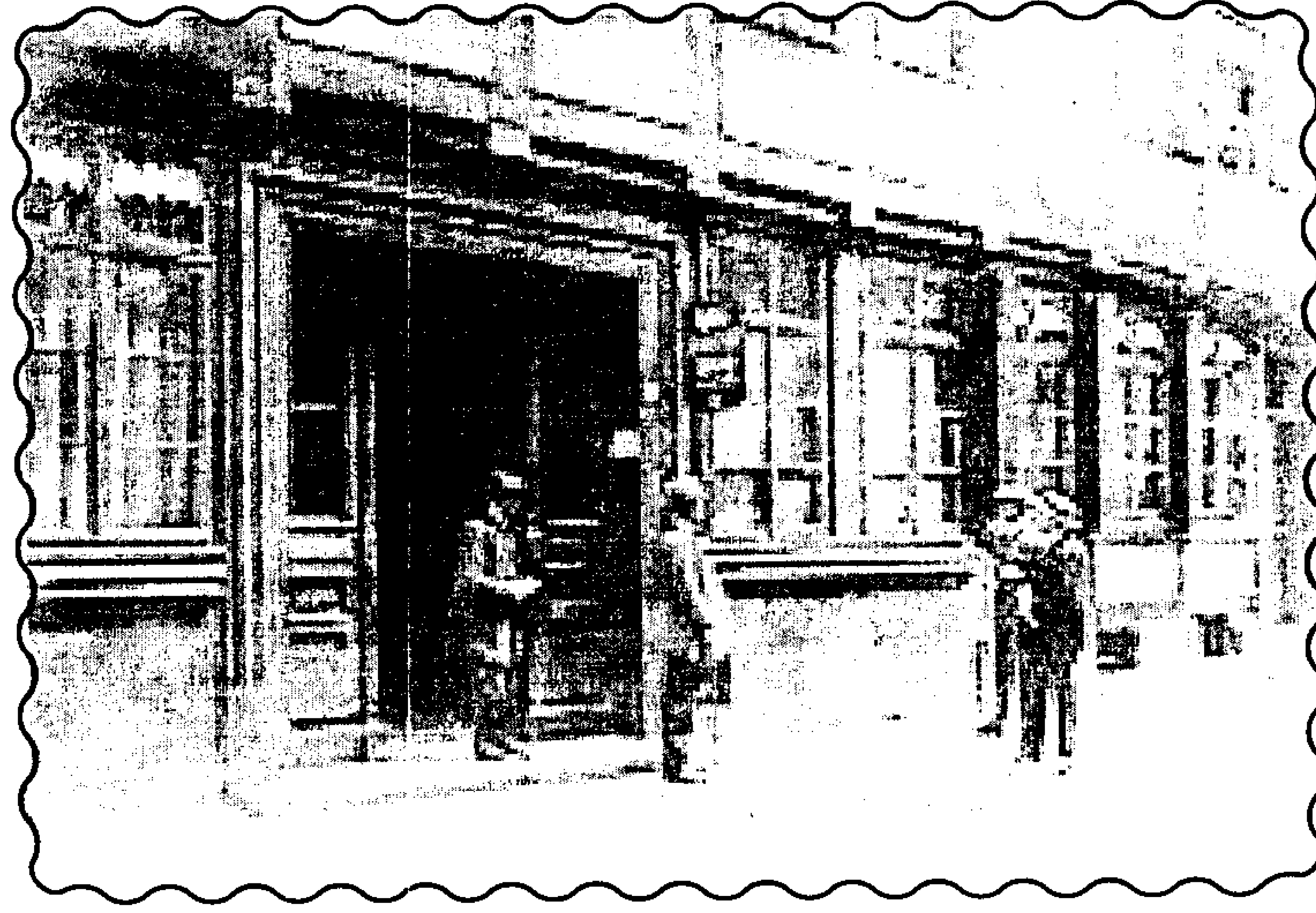
شقة فريتز هارمن من الداخل.

حال رجال الشرطة بين السيدة «فيتزل» وبين «فريتز هارمن» وسألوها عن سبب صراخها؟ فأخبرتهم بأنها واثقة بأن السُّتْرة التي يرتديها «هارمن» هي نفسها سُتْرة ابنها «روبرت» التي كان يلبسها في ليلة اختفائه، وللتأكد من ذلك طلبتْ منهم أن يقوموا بفحص بِطانَتِها؛ لأن اسم «فيتزل» مكتوب عليها.

وبالفعل عثروا على الاسم مكتوبا داخل البِطانة. لكن «هارمن» أنكر معرفته بـ «روبرت» وزعم بأنه اشترى السترة من أحد باعة الملابس المستعْمَلَة.

كان روبرت فيتزل في الثامنة عشرة حينما اختفى فجأة في إحدى الليالي أثناء عودته من أحد عُرُوض السيرك، وقد شُوهِد للمرة الأخيرة وهو يمشي برفقة رجل زعم بأنه شُرطي.

أخذَتِ الشكوك تحوم حول «هارمن» فقامت الشرطة بتفتيش شقته وعثرت داخلها على كمية كبيرة من الملابس المستعملة التي تبين بأن قِسْمًا كبيرا منها يعود لبعض الفِتْيَة المفقودين، كما لاحظ المحققين أن جدران الشقة كانت مغطاة بِبُقَع دماء يابسة كأنها جدران «مَجْزر» أو محل «جزار».



صورة لَمْدَخَل شقة فيتزل» من الخارج.

زعم هارمن أنه اشترى الملابس المستعملة في منزله من الباعة المتجولين، وأنه لا يعلم مصدرها الحقيقي، أما بُقَع الدم على جدران شقته فزعم أنها دماء حيوانية؛ لأنه كان يتاجر باللحوم أحيانا.

لكن حُجَج هارمن لم تقنع بها الشرطة، فقد كانت تعرف أن هارمن كان شاذًّا جنسيًّا، ولديه سوابق عديدة في التحرش والاعتداء على الأطفال والمراهقين، كما أن العثور على ملابس العديد من الفِتْيان المفقودين في شقته يدل على علاقته المباشرة باختفائهم.

لأيام عديدة حاصر المحققون بالمباحث الألمانية هارمن بالأسئلة، وواجهوه بالأدلة الدامغة، وأنهكوه بالتعنيف والضرب حتى حصلوا منه في النهاية على اعترافات ستَهزُّ ألمانيا لبشاعتها ووحشيتها.

من هو فريتز هارمن؟

ولد فريتز هارمن في هانوفر عام 1879م، وكان الطفل السادس لأبوين فقيرين. كان والده قاسيا وعنيفا، أما أمه فقد أوْلَتْه محبة وعطفا كبيريْن.



اقتياد هارمن إلى المحاكمة

لكنَّ الشيء المميز في طفولة هارمن هو عدم ممارسته لألعاب ونشاطات الأطفال الذكور، وعِوَضًا عن ذلك كان يقضي جُلَّ وقته يلعب بالدُّمَى والعرائس مع شقيقته.

وفي المدرسة لم يكن هارمن طفلا متفوقا أو مميَّزا، لكنه كان يعشق إفزاع وتخويف الآخرين منه إلى حَدِّ الهَوَس.

وفي سن السادسة عشرة وبسبب علاقته السيئة بوالده قرر الفتى الالتحاق بالجيش، أحب هارمن الحياة العسكرية فأبْلَى بلاءً حسنا في معسكرات التدريب، وربما لو استمرت حياته في الجيش لَتَغيَّر مستقبله كليا.

لكن بعد عام على التحاقه بدأ هارمن يُعاني من نَوْبات صرَع سقط في إحداها من مكان مرتفع فأُصيبَ رأسُه وأُغْشِيَ عليه.

وقد أجمع زملاؤه على أن شخصيته وسلوكه قد تغيَّرا بشكل كبير بمجرد إفاقته من الغيبوبة، لقد تحول إلى شخص آخر لا يَمُتُّ بصلة إلى هارمن الطموح والمُثابِر. وهناك

من يعتقد بأن هذه السقْطة كان لها الدور الرئيس في تكوين شخصية هارمن المجرم، ففي عالم الطب تُوجد نظرية قديمة تعتقد أن القتلة المُتسلْسِلين تعرَّضوا في مرحلة ما من حياتهم إلى حادث عنيف غيَّر سلوكهم كُلِّيًا وأثَّر في سلامة عقولهم.

خرج هارمن من الجيش بسبب مرضه، وعاد إلى منزل عائلته في «هانوفر» ليعمل في مصنع للسجائر.

وفي عام 1898م. أُلقِيَ القبض على هارمن للمرة الأولى بتهمة التحرش الجنسي بطفل، فتمَّتْ محاكمته، إلا أنه لم يُسْجَن؛ لأن الأطباء الذين فحصوه قالوا بأنه يُعاني من مشاكل عقلية، وتمَّ تحويله إلى مصحَّة عقلية. وقد أمضى هارمن 6 أشهر في المصحة قبل أن يفر منها إلى سويسرا.

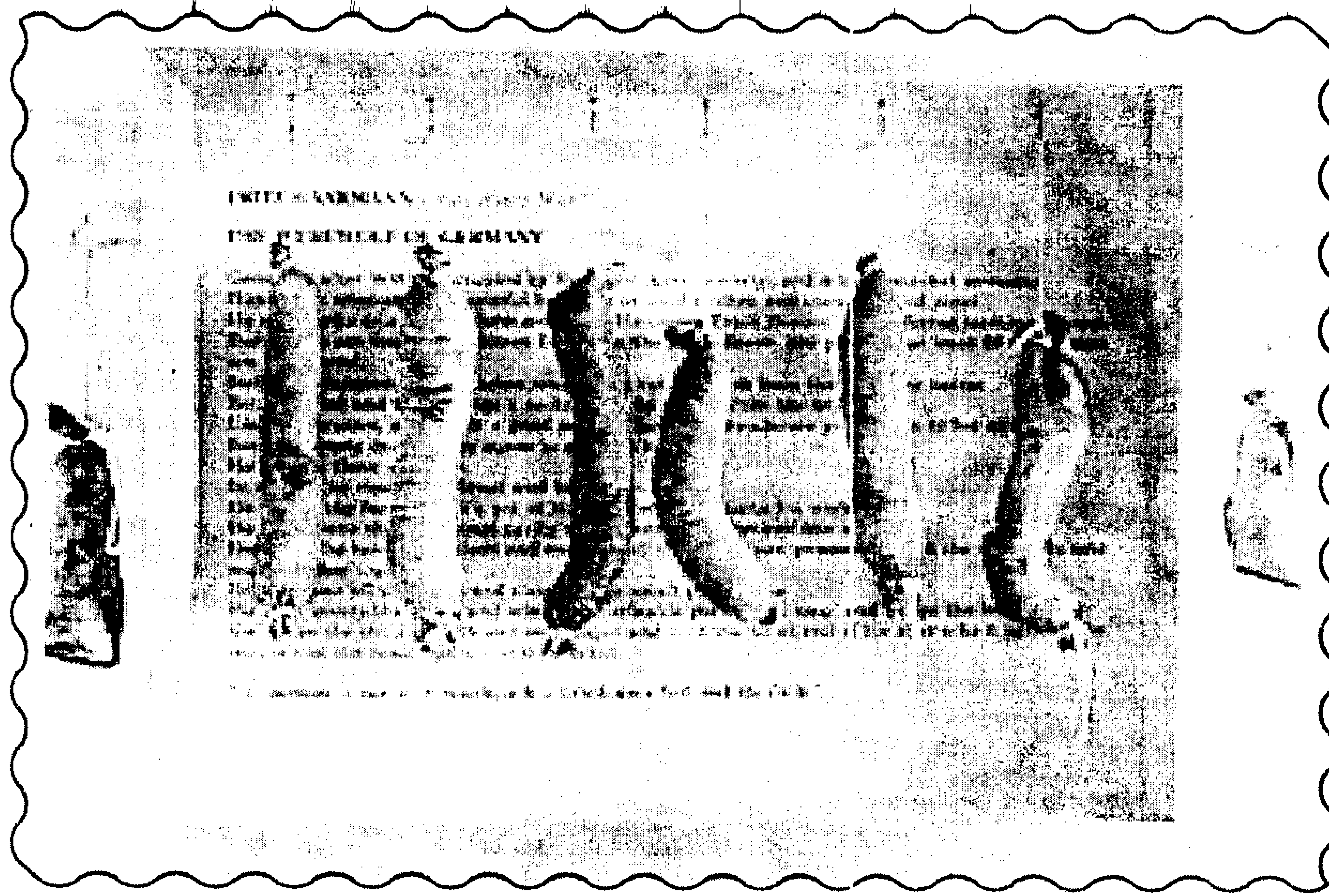
وفي عام 1902 عاد هارمن إلى ألمانيا والتحق بالجيش مرة ثانية تحت اسم مُستعار، وهذه المرة أيضا تمَّ خروجه لأسباب مرَضِيَّة لكن بِمَعاش تَقاعُدِي كامل.

مرة أخرى عاد هارمن إلى هانوفر وحاول أن يبدأ عملا خاصا فاستأجر دُكَّانًا صغيرا، لكنه سرعان ما أفلس وخسر كل أمواله، فقرر ترْكَ الأعمال الشريفة نهائيا وانغمس كُلِّيًا في عالم الجريمة والسرقة.

ولكثرة ممارسة هارمن لجرائم اللصوصية والاحتيال، فقد أُلْقِيَ القبض عليه عدة مرات حتى أصبح وجْهًا مألوفا في الأقسام والسجون إلى درجة أنه أخذ يعمل مع الشرطة أحيانا كمُخبر.

لكن في عام 1914م. أُلْقِيَ القبض عليه مُتلَبِّسًا بسرقة كبيرة، وحُكِمَ عليه بالسجن لأربع سنوات.

حين خرج هارمن من السجن عام 1918م صدمه وضْعُ ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى، فقد كان الاقتصاد مُدمَّرًا والبلاد تعاني من تقلُّبات سياسية واجتماعية كبيرة نتيجة الهزيمة. لذلك لم يجد هارمن بُدًّا من العودة لحياة الإجرام والتي بدا أنها انتعشت كثيرا بسبب ظروف البلاد.



كان يحول ضحاياه إلى لحم مُجفَّف ويتلذَّذ بتناول شرائح منها. (صورة حقيقية)

أعوام الرعب:

أول ضحايا هارمن كان فتى في السابعة عشرة من العمر اسمه «فريدل روث» اختفى في أيلول / سبتمبر عام 1918م، ولأنه كان قد شُوهِد للمرة الأخيرة برفقة هارمن لذلك قامت الشرطة بمداهمة مسكن هذا الأخير، لكنْ عوضا عن العثور على الفتى المفقود عثرت الشرطة على هارمن في الفراش مع فتى آخر نصف عاري، فأُلْقِيَ القبض عليه بتهمة التحرش الجنسي، وحُكِمَ عليه بالسجن لتسعة أشهر.

والطريف أن الشرطة لو كانت قد فتشت الشقة آنذاك لعثرت على رأس «فريدل روث» ملفوفًا في جريدة خلف الموقِد في غرفة هارمن.

وفي عام 1920 خرج هارمن من السجن، فأخذ يتودد إلى الشرطة ويمدهم بالأخبار، وخلال هذه الفترة أيضا تعرَّف على فتى مُشرَّد يُدْعَى «هانز غرانز» مارس التحرُّش معه مقابل المال، ثم توطَّدتْ علاقتهما وأصبح يعيش معه ولا يفارقه.

ورغم أن «هانز» لم يشارك في قتل أي من ضحايا هارمن إلا أنه كان على علمٍ بالجرائم، وكان يحتفظ لنفسه أحيانا بملابس الضحايا وأغراضهم الشخصية أو يقوم ببيعها في سوق الملابس المستعملة، كما كان له دور رئيسي في دفْع هارمن إلى اقتراف جريمتَيْ قتْل لمجرد أن ملابس الضحايا أعجبتْه فأراد الاستيلاء عليها.

جميع الضحايا كانوا من الذكور. وقد اعترف هارمن للمحققين بأنه شاذ جنسيا. فلذلك كان يلتقط ضحاياه من محطة القطار، وفي الغالب كانوا فتيانًا هاربين من أهلهم أو فقراء باحثين عن عمل أو بعض مَنْ كانوا يعرضون أجسادهم مقابل المال، كان هارمن يَعِدُهم بإيجاد عمل أو يُغْريهم بمأوَى دافِئ ووجْبة حارة، وأحيانا كان يوهمهم بأنه رجل شرطة يعمل مُتخفِّيًا فيعتقلهم بحجج مختلفة، ويصطحبهم إلى شقته حيث يعتدي عليهم جنسيا ويقتلهم.

في الحقيقة أن الجانب المرعب في جرائم هارمن لا يتمثل في عدد ضحاياه، ولكن في الطريقة التي كان يقتلهم بها، إنها طريقة شيطانية مرعبة لا تخطر على بال أي إنسان استحق هارمن بسببها لقب «مصاص الدماء».

الطريقة الوحشية في قَتْل ضحاياه:

في لحظة ما أثناء الاعتداء كان هارمن يُثَبِّت ضحيَّته جيدا بيديه وقدميه، ثم يُطْبِق بأسنانه على منطقة العنق، كان يُطْبق فَكَّيْه بكل قوة حتى تخترق أنيابُه الجلد وتنفذ إلى القصبة الهوائية للضحية، ثم يستمر بالضغط حتى يقضم ويقتلع «تفَّاحة آدم»(1) بأسنانه. عَمَليًّا كانت الطريقة تُشْبه طريقة قتل الحيوانات المفترسة لفرائسها، فقَطْعُ القَصَبة الهوائية يُؤدي إلى النزيف والاختناق والموت.

1- تُفّاحَةُ آدَم: هو اسم يُطْلَق على جزء بارز يظهر في الجزء الأمامي للرقبة، نتيجة لبروز الغضروف الدرَقي المحيط بالحنجرة، ويعتبر أكبر وأبرز غضروف فيها. نقلا عن مقالة «هل للمرأة تفاحة آدم»؟ للكاتبة ريما سليم البطل. وهي منشورة في جريدة «النور السورية» بتاريخ (١٤/ ٨/ ٢٠٠٧م).

كان هارمن يبلغ أقصى درجات النشوة أثناء تدفُّق دماء ضحاياه الحارَّة إلى فمِه أثناء تمزيقه لقصباتهم الهوائية، كان يتلذذ بشرب الدم ويَكْرَع منه حتى يفارق الضحية الحياة.

وبعد موت الضحية كان هارمن يبدأ بتقطيع الجثة، باستخدام عملية بشعة وصفها هارمن للمحققين كالآتي:

«كنتُ أُمَدِّد الجثة على الأرض ثم أضع قطعة قماش على الوجه لكي لا تنظر عيون الضحية إليَّ أثناء تقطيع الجسد. ثم أقوم بعد ذلك بفتْح البطنِ فأستخرج جميع الأحشاء وأضعها في الدلْو.

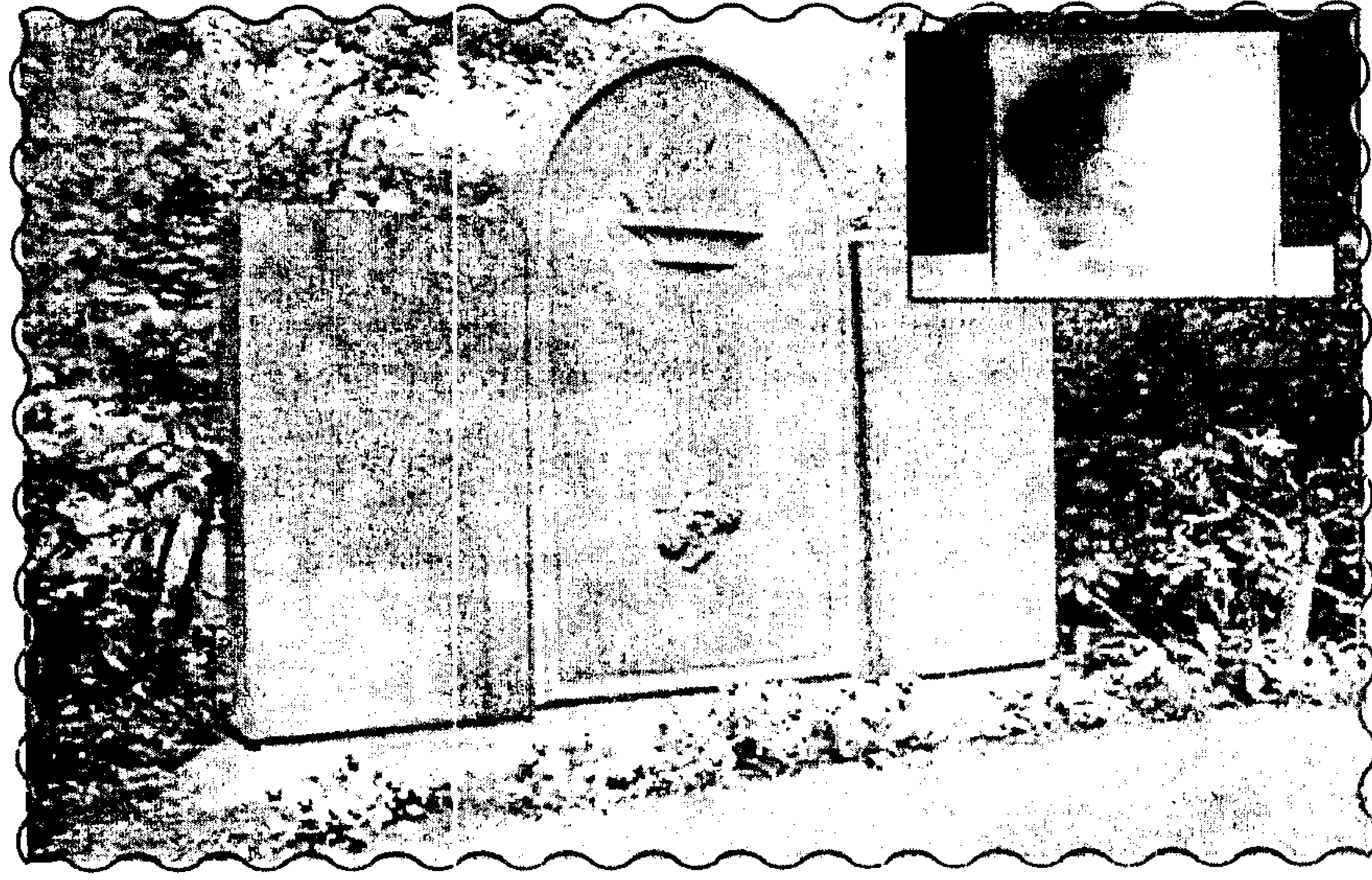
ثم أقوم بوضْع مَنْشَفة في تجويف البطن أجْمَع الدماء بواسطتها حتى آخر قطْرة. ثم أعمل ثلاثة جروح في صدر الجثة من جهة الأضلاع حتى الكتِف، وأشُدُّ الأضلاع بقوة حتى تنكسر العظام حول الكتف. ثم أقوم بمزيد من القطْع في هذه المنطقة حتى أستطيع الوصول إلى القلْب والرِّئة والكُلَى، فأقوم بإخراجها وأضعُها في الدلْو.

وبعدها أفْصِل الأرجل والأيدي وأقوم بِنَزْعِ اللحم عن العِظام وأضعه في الحقيبة على حِدَة. وفي العادة يستغرق التخلُّص من الأشلاء خمسة رحلات إلى النهر.

وبعد تنظيفي لتجويف البطن أقوم بِقصِّ العضو الذكري وأقطعه إلى أجزاء صغيرة جدا. وأنا أكره دائما القيام بهذه العملية لكني لا استطيع أن أقاوم الرغبة التي تدفعني للقتل، والتي هي أقوى بكثير من الاشمئزاز الذي أشعر به أثناء تقطيع الجثث.

وآخر جزء في الجثة أتخلَّص منه هو الرأس، أقوم بِمَسْكه والوجْه نحو الأسفل حتى لا تراني العيون، ثم أضع بعض خِرَق القُماش في الأُذُن حتى لا يسمع الضحية صوت الضربات التي أُوجِّهها إلى مؤخرة الجمجمة، فأكسرها وأستخرج الدماغ الذي ينتهي به المطاف مع بقية الأحشاء في الدلْو».

حقًّا كان هارمن مُخْتلًّا عقليا، فقد كان يُغَطِّي أَعْيُن الجثث حتى لا تراه؟! ويضع خِرَقًا في أُذُنها حتى لا تسمعه؟!.



قبر جماعي لضحايا هارمن، وإلى الأعلى صورة صغيرة لرأسه المقطوعة والمحفوظة في إحدى المدارس الطبِّيَّة.

بل كان أحيانا كان يذهب لمقابلة عائلات ضحاياه! زاعما بأن لديه معلومات عنهم طمَعًا بجائزة مالية، وعند عودته كان يروي لصديقه «هانز» كيف أنه كان يكتم ضحكاته وهو يستمع إلى تضرعات والِديْ الضحية وتوسُّلاتهما لمعرفة أي شيء عن ابنهما المفقود.

والمصيبة أن مجنونا كهذا كان يعمل مُخْبِرا لدى الشرطة! وكان يستدرج العديد من ضحاياه بِزعْم أنه شرطي، أحدهم كان صبيا في الثالثة عشرة من العمر خرج ليشتري خُبْزًا فانتهى به المطاف في شقة هارمن، ثم جثة مُمزَّقة في قعر نهر «لاينه».

كم هو عدد ضحايا فريتز هارمن ؟

لقد تمَّت محاكمة هارمن بسبع وعشرين جريمة قتل، وأُدِين بأربع وعشرين منها، لكن هناك من يعتقد بأن عدد ضحاياه يفوق العدد المعْلَن بكثير.

فالشرطة ضبطت كمية كبيرة من الملابس والأغراض الشخصية في شقة هارمن، لكنها لم تستطع تحديد هُويَّة أصحاب هذه الأغراض إلا بنسبة الرُّبْع فقط، أما الباقي

فلا يُعْلَم مَنْ هم أصحابها وما هو مصيرهم، لذلك هناك من يعتقد بأن عدد الضحايا الحقيقيين لا يقل عن 70 شخصًا.

كان كارمن يتمتع بإفزاع الآخرين، وهي صفة رافقتْه منذ طفولته، حتى في أثناء التحقيق معه كان يجد متعة كبيرة في وصْف طريقة قتْله لضحاياه وتمزيق أجسادهم.

وكان يتمتع بنظرات الفزع والخوف والصدمة البادية على وجوه محققي الشرطة الذين لم يسمعوا طوال حياتهم بإجرام وجنون كهذا الذي كان هارمن يصفه.

فأحيانا كان كارمن يقتل ضحيتين معا، كان يقتل أحدهما ويتلذذ بملامح الرعب والخوف التي تَطْغَى على وجه الضحية الثانية والذي بات يعلم نوعية المصير الأسود الذي ينتظره، كان كارمن يجد متعة كبرى في توسُّل وبكاء ضحاياه؛ لأنه يُشْعِره بأنه لا يُقْهَر، وبأنه أعلى مرتبة من البَشر العاديين.

وهكذا يومًا بعد آخر كانت شهوته للدماء تزداد للحصول على ضحايا جُدُد، حتى أنه في الأشهر الأخيرة التي سبقتْ اعتقاله صار يقتل بمعدَّل ضحية لكل أسبوع.

والوحيد الذي لم يقتله هارمن ولسبب مجهول هو «كارل فروم» الفتى الأخير والوحيد الذي خرج من شقته حيًّا.

كيف كان يفعل بلحم ضحاياه:

لكن ماذا كان «فريتز هارمن» يفعل بلحم ضحاياه ؟ فالرجل كان يتاجر باللحم. وكان يبيع لحما رخيصا أثناء الأزمة الاقتصادية التي ألَمَّتْ بألمانيا بعد الحرب، وكان له العديد من الزبائن.

وكان حينا يزعم بأن شرائحه الدَّسِمة هي لحم خنزير، وتارة يقول إنها لحْم خروف. والغريب أن بعض الزبائن كانوا راضين تماما عن بضاعة هارمن، وقالوا: بأن لحومه كانت لذيذة وسريعة الطبْخ!



السفاح هارمن في طريقه إلى المحكمة.

فيما كان رأي البعض الآخر مُغايرًا تماما، حيث قالوا بأنهم أُصِيبوا بِعُسْر هضْم بعد تناول اللحم الغريب الطعم الذي كان هارمن يبيعهم إياه.

وكان هارمن نفسه يتلذذ أحيانا بتناول شرائح من لحم ضحاياه، وقد عثرت الشرطة في منزله على لحْم بَشَري مُجفَّف.

نهاية هارمن السفاح.

وأخيرًا نال هارمن وشريكه «هانز» حُكمًا بالإعدام بالمقصلة (1) ولكنَّ الحُكم خُفِّفَ على هانز لاحقا إلى السجن 12 عاما؛ لأنه لم يثبت أنه شارك في أيٍّ من الجرائم رغم عِلْمه بها.

---

1 - المِقْصَلَة: اسم آلة حادَّة كانوا يقطعون بها رقاب المحكوم عليهم بالقتل، وقد حَلَّتِ المشنقة محلها الآن. وقد شاع استعمالها في الثورة الفرنسية من سنة ١٧٨٩م. وهي جمع: مقاصل. انظر: «المعجم الوسيط» [٢/ ٣٩٧].

وقال الأستاذ عبد الغني أبو العزم في كتابه «معجم الغني»: «المِقْصَلَة: آلَةُ إعْدَام، فِي أَعْلاَهَا شَفْرَةٌ عَرِيضَةٌ حَادَّةٌ تَنْزَلِقُ بَيْنَ دِعَامَتَيْنِ عَمُودِيَّتَيْنِ، وَتَسْقُطُ عَلَى رَأْسِ المَحْكُومِ عَلَيْهِ بِالإِعْدَامِ فَتَقْطَعُهُ. وقَدْ أُلْغِيَتِ المِقْصَلَةُ وَحُكْمُ الإِعْدَامِ فِي فَرَنْسَا مُنْذُ سَنَوَاتٍ».

والطريف هو أن هارمن طلب أن يتم إعدامه في أعياد الكريسماس، وذلك لكي تذهب روحه إلى الجنة فيحتفل بالعيد هناك مع أمه!!

وفي 25 نيسان / أبريل عام 1925م. قُطِعتْ رأس «فريتز هارمن» بالمِقْصَلَة، وقد احتفظ العلماء برأسه لكي يقوموا بدراسة دماغه، وهي محفوظة اليوم في مدرسة غوتنغن الطبية بألمانيا[1].



صورة مُلْصَق لأحد الأفلام السينمائية عام ١٩٣١م. والتي جُسِّدَتْ فيها قصة السفاح فريتز هارمن.

1- هذه القصة نُشرت لأول مرة بالعربية في موقع «مملكة الخوف» بتاريخ (٢٥ / ٥ / ٢٠١٠م). وقد نقلناها هنا ببعض التصرُّف والزيادات. وانظر أيضًا: الموقع الإنجليزي «Journal of incest». والموقع العالمي: «Wikipedia، the free encyclopedia». تحت عنوان (Fritz Haarmann) وصحيفة «ديلي تايمز/ Daily Times» في عددها الصادر بتاريخ: (١٥/ إبريل/ عام ١٩٢٥م). تحت عنوان: (فريتز المستدرج للشباب يموت على المقصلة / Fritz Inveigler for young people die on the guillotine). ومقال «فريتز جزار هانوفر/ Fritz Butcher of Hanover» للكاتب: الكسندر جيلبرت. المنشور على الموقع الأجنبي: (Crime Library).

29

أغرب جرائم جزّار بلينفيلد ..



هو أسوأ سفاح في تاريخ أمريكا - برأي البعض - وصاحب أشهر «سلخانة» للنساء في بلاد العم سام، القاتل الذي حوَّل أجساد ضحاياه إلى قِطَع أثاث في منزله، وخاط لنفسه ثوبًا من جلودهم!!

وها نحن نتناول القلم ونَشْحذ الهمم لنكتب عن ذلك المُزَارِع المغمور الذي غدا بين ليلة وضحاها حديث الإذاعات والجرائد في طول الولايات المتحدة وعرْضِها. ذلك الرجل الذي تَصوَّره الناس كوحش كاسِر لا يعرف الرحمة، بينما كان هو في الحقيقة ضحية لجنون وتطرُّف الآخرين.

كانت الشمس تتأهب للمغادرة وراء الأفق حين توقف المأمور «آرثر شلي» وبضعة من رجاله أمام منزل آل جين، خلع الرجل قُبَّعته ووقف يتأمَّل المنزل الخشبي

ذا الطابقين في عتمة الغروب، عادت به الذاكرة سنوات عديدة إلى الوراء فتذكر سيدة المنزل، «أوجستا جين»، تلك المرأة غريبة الأطوار التي اعتزلت الناس في هذه المزرعة الموحشة ومنعت أولادها من مخالطة الآخرين في البلدة، كان منزلها كئيبا على الدوام، لكن منذ موتها قبل عقد من الزمان، غدا المنزل أكثر كآبة من أي وقت مضى، وقد زاد من سوداوية الصورة وبؤس المنظر انقطاع التيار الكهربائي عن المنزل منذ سنين طويلة بسبب الامتناع عن دفع الفواتير. لذا حين استفاق المأمور «شيلي» من ذكرياته أخيرا كان كل شيء حوله قد غرق في عتمة حالكة، فتناول الرجل فانوسًا من يد أحد مساعديه ثم سار متمهّلا نحو المنزل وهو يريد الدخول إليه.

عرين الشيطان

داخل المنزل لم يكن أفضل حالًا من خارجه، كان الظلام دامسًا والهواء ثقيلًا تنبعث منه رائحة كريهة لا تُطاق، فتوقف المأمور عند الباب يغالب شعوره بالاشمئزاز، وراح يُلوِّح بفانوسه يمينًا ويسارًا محاولا استكشاف أرجاء المكان.



منزل أيد جين في بلينفيلد

كانت هناك أكوام من النفَايات في كل مكان، وفي طرف المنزل كان هناك شيء معلق إلى السقف، وقد ظهر كأنه جسد غزال أو حيوان ما، لكنَّ المأمور لم يستطع أن يعرف ماذا يكون هذا الشيء الغامض؟

اقترب المأمور منه حتى توقف على بُعْد خطوات قليلة منه، واندهش المأمور وارتجفت أعضاؤه وتغير لون وجه، فما ظنه جثة غزال، لم يكن في الحقيقة سوى جسَد بشَري مُعلَّق إلى السقف بواسطة الحبال وبعض الخطاطيف، كان الرأس مقطوعًا والبطن مبقورة والأعضاء التناسلية منزوعة بالكامل، وبدا واضحا أن ذلك الجسد إنما هو جثة امرأة، وقد ارتاب المأمور في كونها جثة السيدة التي جاءوا يبحثون عنها، فجعل هو ورجاله يفتشون بقية أرجاء المنزل أملا في العثور على رأس الجثة للتأكد من هُوِيَّة صاحبة الجثة، ولم يَدُم بحثهم طويلًا، فقد عثروا على الرأس في المطبخ داخل كيس من القماش.

وقد صدَق ظن المأمور، لأنه كان فعلًا رأس السيدة «بيرنيس واردن» التي اختفت من متجرها بصورة غامضة مساء اليوم السابق. لكن ذلك الرأس الدامي لم يكن الشيء الوحيد الذي عثرت عليه الشرطة داخل منزل الرعب في تلك الليلة، فقائمة الموجودات الطويلة اشتملت أيضا على ثلاجة مليئة بالأحشاء واللحوم البشرية مع عشرة رؤوس مبعثرة في أرجاء المنزل كلها لنساء تمَّ نزْعُ القِسْم العُلْوي من جَماجِمهن لتحويله إلى أوعية للطعام!

وهناك أيضا تسعة أقنعة صُنِعَتْ من وجوه بشرية مسلوخة، كما هناك ثوب طويل مصنوع من الجلد البَشَري، كما احتوى المنزل على قِطَع أثاث ومصابيح ووِسادات تمَّ صُنْعُها أو تطعيمها بالعِظام والأوصال البَشرية، إضافة إلى جملة من الكراسي تمَّ حشْو بِطانتها بالجلد البشري.

أما أغرب الموجودات وأكثرها إثارة للاشمئزاز فقد تمثَّلتْ في صندوق أحْذية يحتوي على تسعة أعضاء جنسية أنثوية منزوعة بالكامل ومدبوغة بعناية كبيرة! مع أربعة أنوف مقطوعة وجملة من الشِّفاه مبتورة قد عُلِّقتْ جميعها بالخيوط كزِينة للنوافذ! وكان هناك أيضا حِزام جلدي مصنوع من حَلمات أثْداء النساء!!

أخيرا حين انتهى المأمور «شلي» ورجاله من التفتيش، كان الجميع في حالة من الصدمة والذهول، فلم يتخيلوا أبدا حتى في أسوأ كوابيسهم رؤية مناظر بشعة كتلك التي شاهدوها داخل منزل «أيد جين». كان أمرًا لا يُصدَّق، خصوصا في بلدة صغيرة وهادئة مثل «بلينفيلد»، لا عَهْد لها بالجرائم الدموية.

ويقال بأن تلك المناظر المُرْعبة، إضافة للاعترافات المُروِّعة التي صرَّح بها «أيد جين» بعد ذلك، كانت سببا رئيسيًّا في تدهور صحة المأمور «شلي» خلال السنوات القليلة التالية، فقد ظلت كوابيس الرؤوس المقطوعة والجثث المسلوخة تطارد الرجل وتُنغِّص عليه مضجعه حتى قضتْ عليه في النهاية.

أما سُكَّان بلدة بلينفيلد فقد شعروا بمزيج من المرارة والحيرة والخوف، فلم يستطع معظمهم استيعاب حقيقة أن «أيد جين»، ذلك الشخص الخجول الذي عرفوه لسنوات طويلة، هو في الحقيقة سفاح مجنون يتلذذ بتقطيع أوصال النساء وتشويههن، لا بل أن البعض منهم كاد أن يُغْشَى عليه من هَوْل الصدمة، خصوصا أولئك الذين اعتادوا تركه كجليس لأطفالهم خلال تواجدهم خارج المنزل.

أخبار منزل الرعب في بلينفيلد سرعان ما انتشرت بسرعة البرق في طول البلاد وعرضها، فتدفَّق الصحفيون من أنحاء الولايات المتحدة إلى شوارع البلدة الهادئة وجميعهم يسألون سؤالا واحدا لا غير .. مَنْ هو أيد جين ؟

طفولة مضطربة:

اسمه الحقيقي هو «ادوارد ثيودور جين» (Edward Theodore Gein)، ولِد في مدينة «لاكروسي» في ولاية «وسيكنسن» الأمريكية في 27 آب / أغسطس عام 1906م.

كان والِدُه «جورج» مُدْمِنًا على الكحول وزوجًا ضعيفا مهزوز الشخصية خاضعًا بالكامل لسيطرة زوجته «أوجستا» التي كانت هي المُدبِّرة لشؤون العائلة الصغيرة المكوَّنة من الزوجين وطفليهما «أيد جين» الصغير وأخوه الأكبر هنري.

كانت «أوجستا» امرأة قوية وحازمة، شديدة التديُّن، متطرِّفة في معتقداتها، كانت ترى الناس في نظرها عبارة مجموعة من المُذْنبين الذين يجب هجرهم والابتعاد عنهم، خصوصا النساء، فجميع نساء العالم لم يكُنَّ بنظرها سوى أدوات شيطانية لإغواء البشر .. مجرد عاهرات وساقطات .. باستثنائها هي طبعا!

وقد تحوَّل توجُّسها من الناس وخوفها من الوقوع في الخطيئة إلى نوع من الهوَس والوسواس القهْري، فباعت منزل العائلة ومَتْجَر البقالة الصغير الذي كانت تُدِيره في «لاكروسي» واشترت بثمنهما مزرعة كبيرة في ضواحي بلدة «بلينفيلد»، وحوَّلتْ تلك المزرعة إلى ما يُشْبه السجن أو المعتقل، منعت الغرباء من الاقتراب منه وحرَمتْ أطفالها من مخالطة الآخرين، وهكذا أصبحت آراؤها الدينية المتشددة ونظْرتها المقيتة للحياة هي الطاغية والمهيمنة على تفكير وسلوك ابْنَيْها، فنجحت في تشويه وتدمير تلك الروحيْن الطاهرتيْن البريئتيْن.

حتى عندما دخل الطفلان المدرسة، حرصتْ «أوجستا» أشد الحِرص على منْعهما من اللعب والتواصل مع زملائهما وعاقبتهما بقسوة كلما حاولا التعرَّف على أصدقاء لهما، وقد تجلَّى تأثير «أوجستا» السيئ والمُدمِّر بصورة أوضح على «أيد جين»، الابن الأصغر والأشد تعلُّقًا بأمه، فنشأ المسكين طفلا خجولا مضطربا مذعورًا، وقد وجد فيه زملاءه فريسة سهلة للسخرية والضحك، وهكذا تحوَّلت المدرسة للأسف من فرصة ذهبية لتحسين وتطوير سلوكه الاجتماعي إلى عامل إضافي ساهم في تعزيز اضطرابه، لكن قد تكون الحسنة الوحيدة للمدرسة في حياة «أيد جين» هي التعليم بحد ذاته، فمع أنه لم يكن طالبا لامعا أو بارزا في دراسته، إلا أنه كان متفوقا بالقراءة ومهتمًّا بشكل خاص بمطالعة المجلات والجرائد.

أيدي وهنري قضَيَا معظم فترة الطفولة والصبا والشباب معا، لم يكن لديهما أي أصدقاء، قاما بجميع أعمال المزرعة واجتهدا لإرضاء أمهما، لكنها نادرا ما أسمعتْهما كلاما جميلا أو شكرتْهما، بالعكس .. غالبا ما تعرَّضا للإهانة والتعنيف منها لسبب ومن دون سبب.

موت هنري الغامض

في عام 1940م. مات الأب السِّكِّير أخيرًا، رحل «جورج جين» إثْر إصابتْه بنوبة قلبية، وبموته تغيرتْ حياة الأخويْن بشكل جذَري، فمع أن والدهما لم يكن له دور في حياتهما، وكان عاطلا عن العمل لأغلب فترات حياته، إلا أن الأعمال المؤقَّتة والمتفرقة التي كان يشتغل بها من حين لآخر في البلدة كانت نُسْهِم في توفير بعض النقود للعائلة.

وبموته اضطرت «أوجستا» للسماح لولديْها بالعمل في البلدة من أجل المعاش، ومثل أبيهما اشتغل الولدان في وظائف مؤقتة تعتمد على الجهد البَدني ولا تتطلب أيَّة مهارة أو خِبْرة، كأعمال الحَمْل والنقْل والبناء والزراعة، كما اشتغل «أيدجين» أيضا كجليس للأطفال في منازل الجيران والمعارف، وقد عشق هذا العمل بصورة خاصة لأنه كان يشعر براحة وعفَوَيَّة كبيرة عند تعامله مع الأطفال.

بمرور الزمن، ومع اندماج الأخوين أكثر فأكثر في حياة البلدة، بدأ هنري يتمرَّد تدريجيا على قيود وقوانين أمه، راح ينتقد طريقتها في الحياة حتى بلغتْ به الجراءة إلى حدِّ مجادلتها صراحة بشأن تأثيرها السيئ والمُدمِّر على حياة وشخصية شقيقه الأصغر. وقد تسببتْ هذه الانتقادات بمرارة كبيرة لـ «أيد جين» الذي كان خاضعًا بالكامل لسيطرة أمه.

الوضع المتأزِّم بين هنري وأمه لم يدُم طويلا، ففي يوم 16 أيار / مايو عام 1944م. وقعت حادثة مروعة في مزرعة آل جين غيَّرتْ مجْرَى الأحداث بالكامل وأعادت الأمور إلى وضْعِها المعتاد.

في ذلك اليوم قرَّر هنري حرق بعض الحشائش والأحراش في أطراف المزرعة، لكن النيران خرجت عن سيْطرة الأخويْن فطلبا مساعدة دائرة المطافئ في البلدة، وبحلول المساء تمكَّن رجال الإطفاء من إخماد الحريق، لكن هنري كان مفقودا، اختفى أثناء الحريق، مما حَدا بالشرطة إلى القيام بحمْلة تمشيط واسعة خلال الليل بحثًا عنه، وقد عثروا عليه بعد عدة ساعات مُمدَّدًا على الأرض وقد فارق الحياة في بُقْعة بعيدة نِسْبِيًّا عن مكان الحريق، ولم يجدوا بجسده أيَّة آثار لحروق أو جروح.



صورة مطبخ أيد جين

كان موت هنري مُريبًا وغامضًا بحق، لكن الشرطة اعتبرتْه أمرًا طبيعيًّا، ورجَّحتْ إصابتْه بنوبة قلبية مبسبب الذُّعْر من الحريق، إلا أن الشكوك المحيطة بظروف موته قد طفتْ على السطح مرة أخرى بعد اكتشاف جرائم «أيد جين» عام 1957م. حيث بدأ المُحققون يرتابون في تورُّطه بمقتل شقيقه هنري بسبب انتقادات هنري لأمه وتمرُّده عليها، لكن تلك الشكوك لم تَرْق إلى مستوى الاتهام، وظلت ظروف مقتل هنري لُغْزا يُحيط به الكثير من الغموض.

وحْدَة وأوهام

في عام 1945م. ماتت «أوجستا» إثر نوبة قلبية، وقد شكَّل موتها صدمة كبيرة وخسارة فادحة لـ «أيد جين»، فأمه هي كانت تعْنِي كل شيء بالنسبة له، وبموتها انهارت حياته تماما.

وقد ظل «أيد جين» وحيدا في المزرعة، أقْفل أبواب معظم غُرَف المنزل وحرص على

بقائها على حالها، أيْ كما كانت في حياة أمه واكتفى هو بالعيش وحيدا في حُجْرة صغيرة مجاورة للمطبخ، كما استمر في العمل من حين لآخر في البلدة في أشغال مؤقتة كالعادة، أما أوقات فراغه الطويلة فقد أمضاها في قراءة المجلات ومطالعة الكتب، خصوصا تلك التي تتحدَّث عن الموت والقتل والسادية والتعذيب.



وقد أُعْجِب «أيد جين» إعجابًا شديدًا بقصص معسكرات الأسْر النازية، فاستهوتْه بشكل خاص تجارب النازيِّين الوحشية على البَشر، ومن شدة إعجابه بتلك القصص راح يقتني كتب التشريح ليتعلم منها أصول تقطيع وتمزيق الأجساد البشرية!.

ومن ناحية أخرى فإن موت «أوجستا» قد أطلق العَنَان لغرائزه المكبوتة، فشعر برغبة عارمة لممارسة الجنس، تلك الممارسة التي كانت أمه تعدُّها خطيئة وقذارة، لكن خجله الشديد من النساء حال دون تحقيق رغبته، فطفق يبحث عن وسيلة أخرى للتنفيس عن مكنونات نفسه.

وفي يوم ما، بينما كان جالسا في منزله يطالع الجرائد المحلية، وقعت عيناه فجأة على خبر فيه نَعْي إحدى السيدات التي توفيت حديثا في البلدة، وأثناء قراءته لتفاصيل الخبر، لَمحتْ في عقله فكرة غريبة وشاذة إلى درجة أنها قد لا تخطر إلا على عقول المجانين!

حفّار القبور:

السيدة التي نقلت الجريدة خبر موتها كانت في الخمسينيات من عمرها، امرأة في خريف العمر، إنها صِنْف من النساء عشقه «أيد جين» بشدة لأنه رأى فيها صورة أمه، فراح يراقب جنازتها من بعيد، حتى إذا ما دُفِنتْ وانصرف ذووها والمعزُّون، تسلَّل تحت جُنْح الظلام إلى المقبرة وجعل يحفر في تربة القبر الذي لم تمضِ سوى ساعات قليلة على إغلاقه، أزاح التراب وأخرج الجثة من التابوت ساحبًا إياها إلى سيارة الشحْن القديمة التي ورثها عن أخيه، ثم عاد إلى القبر ثانية فسوَّاه بعناية كبيرة لئلا يشك أحد بتعرُّضه للنبْش.

في تلك الليلة عاد «أيد جين» إلى المنزل يحمل أُولَى غنائمه البشرية، إنها امرأة حقيقية من لحم ودم .. صحيح أنها ميتة، لكنها أفضل بالطبع من خيالاته وأوهامه الفارغة، امرأة يستطيع أن يفعل بها ما يشاء من دون أن تطارده عيناها بنظرات لاسعة تستفزُّ طبْعه الخجول.

تذكر عزيزي القارئ بأننا لا نتحدث هنا عن إنسان سَوِيٍّ عاقل، بل عن رجل مُخْتَلٍّ مضطرب، فحتى الجنس عنده لم يكن كما هو عند الناس الطبيعيين، ولاحقا حين سأله المحققون عما إذا كان قد مارس الجنس مع الجثث أنكر«أيد جين» قيامه بذلك لأنها حسب قوله: «كانت رائحتها فظيعة»، لكنه مع هذا احتفظ بجميع الأعضاء الجنسية لجثث النساء التي حملها إلى منزله، انتزعها من أجسادهن العفنة وخبأها في صندوق خشبي للأحذية، ربما لكي يُضيفها لاحقًا إلى ذلك الثوب المُخيف الذي صنعه من الجلود المنزوعة من بطونهن وسيقانهن وأفخاذهن، ذلك الثوب الذي ارتداه ورقص به

على أنغام خيالاته المجنونة في ظُلمة ذلك المنزل المَوْبُوء برائحة الموت والعفَن، وهو ثوب أراده تجسيدا لصورة أمه التي سيطرت على جسده وروحه وأفكاره، تلك المرأة التي أخضعتْه لسلطانها حتى تحولت في نظره إلى رمز القوة المُطْلقة في هذا العالم.



صنع لنفسه ثوبا من جلود البشر .. صورة غير حقيقية مأخوذة عن فيلم رعب.

وهكذا فإن خوف «أيد جين» وكُرْهه الباطني لتلك السلطة الغاشمة والدكتاتورية القاسية التي مارستْها عليه تحول بالتدريج إلى رغبة لا تُقاوم في أن يتحول هو نفسه إلى امرأة .. إلى مخلوق قوي ومسيطر.

هناك بعض المصادر الأمريكية تُشير إلى إن أيدي نبش قبر أمه أيضا وعبَث بجثتها، وأُخرى تحدثت عن أكله للحوم البشر؛ طبعا لا يوجد ما يثبت قيامه بتلك الأمور، وفي نفس الوقت لا يستبعد قيامه بذلك، فثلاَّجته الخاصة بمنزله كانت مليئة بالأحشاء واللحوم البشرية، وكان هناك قلْب بشري داخل مَقلاة على المُوقِد. وبغض النظر عن الأقاويل والقصص الكثيرة التي تداولها الناس عن «أيد جين»، فالشيء المؤكد هو أنه كان عبقريا في تعامله مع الجثث، كان يعلِّقها إلى السقف ثم يقف

يتأملها وهو يحمل سكينًا، تماما يفعل كفنَّان موهوب يستعد لرسم لوحة جميلة، بعدها كان يباشر عمله مُحوِّلا تلك الأجساد إلى تُحَف غريبة، كأنْ يصنع وِعاءً من الجمجمة، أو مَزْهرية من ثَدْي، أو يُبْدِع أثاثا من الأيدي والأقدام، ويخلق أقنعة من الجلود المسلوخة.. كان فنانا موهوبا بحق!!

جرائم القتل:

لسنوات طويلة استمر «أيد جين» في زيارة مقابر بلدة «بلينفيلد» تحت جُنْح الظلام، نبَش خلالها العديد من القبور، أحيانا كان يتكاسل عن حَمْل الجثة بأكملها إلى منزله فيكتفي بتقطيع الأجزاء التي يحتاجها منها!

لكن رغم نجاحه الباهر في جميع غزواته وغاراته الليليَّة، ورغم أن أحدا لم ينتبه إلى كل تلك القبور المنبوشة والجثث المنهوبة، إلا أن الملل بدأ يتسلل إلى قلب «أيد جين» بالتدريج، أصابه الملل مثل جميع الناس، تماما كما يَخْفِتْ لهيب الحب والغرام في قلوب العاشقين بعد سنين من الزواج، وكما يملّ الشخص من سيارته الجديدة بمرور الوقت وتكرار استعمالها .. الخ ..

وهكذا فإن «أيد جين» أيضا مَلَّ من الجثث المتآكِلة التي كانت مقابر «بلينفيلد» تمتليء بها، لقد صار يتطلَّع إلى شيء جديد .. بالتأكيد هو لم يَرِد تجربة العلاقة مع امرأة حية، امرأة يمكنها أن تسخر من خجَله وضعْف شخصيته، لكنه تطلَّع إلى جثة طريَّة وطازجة، أراد احتضان امرأة ميتة لا تفوح منها رائحة العفن ولم يبدأ جسدها بالتحلل بعد، وللحصول على جثث به تلك المواصفات لم يكن أمامه سوى خيار واحد .. هو القتل.

لا أحد يعلم على وجه الدقة متى ارتكب «أيد جين» أُولى جرائمه، ولا العدد الحقيقي لضحاياه، فبلدة «بلينفيلد» شهدت اختفاء العديد من النساء والرجال والأطفال خلال الفترة التي قضاها «أيد جين» وحيدا في المزرعة، أي منذ موت أمه عام 1945م. وحتى

إلقاء القبض عليه عام 1957م. لكن جميع تلك القضايا قُيِّدَتْ ضد مجهـول، ولـم تُنْسَب لـ «أيد جين» سوى جريمتين فقط، الأولى هي جريمة قتْل ماري هوغان عام 1954م. التي كانت تُدير نزلا وحانة في «بلينفيلد»، والثانية جريمة قتل «بيرنيس واردن» عام 1957 م. التي كانت تُدير متجرا للعدد والأدوات في بلينفيلد أيضا، وهي الجريمة الوحيدة التي أدين بها أيدي لاحقا. وفي كِلْتا الجريمتين اعتمد «أيد جين» أُسلوبا واحدا، دخل إلى موقع الجريمة عند خُلُوِّ المكان، واستغل معرفة الضحية به واطمئنانها إليه، وحين أدارت له ظهرها فاجأها بإطلاقه النار عليها من مسدسه في رأسها فأسقطها قتيلة في الحال، أخيرا سحَبَها إلى سيارة الشحْن التي يمتلكها، ونقلها إلى منزله حيث قام بتقطيعها والعبث بجسدها.



صور من البقايا البشرية التي تم العثور عليها في منزل «أيد جين»

والأمر الذي سهَّل على «أيد جين» ارتكاب جريمته هو ثقة سُكان البلدة به، فقد عرفوه شخصا خجولا مسالِمًا كثيرا ما أضحكتْهم جُمَلُه وعباراته الطريفة، والعديد منهم فتحوا له أبواب منازلهم فكان صديقا لهم ولأطفالهم. الطريف أنه كان يحدثهم أحيانا بصراحة عن الجثث والرؤوس البشرية التي تَملأ منزله، لكن أحدًا لم يُصدقه.

وفي إحدى المرات اصطحب معه إلى المنزل أحد أصدقائه من شباب البلدة وأراه رأسًا بشريًّا كان قد قام بقطْعه وتحنيطه، وحين عاد الفتى إلى منزله أخبر والديْه عما رآه، فضحكا منه ولم يأخذا كلامه على محْمَل الجَدّ. لا بل والأدْهى من ذلك أنه خلال البحث عن «ماري هوغان» التي قتلها «أيد جين» كما ذكرنا سابقًا، سأله أحد الرجال عما إذا كان قد رآها، فأجابه «أيد جين» بأنها موجودة في منزله، لكن الرجل ظنه يمزح!

وفي اليوم الذي تم إلقاء القبض على «أيد جين» حدثت الصدفة، فابن السيدة «واردن» كان يعمل في مكتب المأمور، وقد تذكَّر بأن «أيد جين» كان كثير التردد على مَتْجَر والدته في الأسابيع الأخيرة، وتذكر أيضا أنه أخبره في الليلة السابقة لاختفاء أمه بأنه سيعود في الصباح ليشتري من المتجر عُبُوَّة من سائل مانع التجمُّد.

وقد شهد أحد جيران السيدة «واردن» بأنه رأى «أيد جين» وهو يقف بشاحنته أمام المتجر صباح اليوم التالي، كما أن السيدة «واردن» نفسها كانت قد سجَّلَتْ بَيْع لِتْر من سائل مانع التجمد كآخر فقرة في دفتر مبيعاتها في ذلك اليوم. وهكذا فقد قرَّر المأمور «شلي» زيارة «أيد جين» في منزله لسؤاله عن سبب تواجده في متْجَر السيدة «واردن» صباح يوم الجريمة فأفضتْ تلك الزيارة إلى اكتشاف الجثث في منزل «أيد جين» كما أسلفنا.

الوحش يعترف:

في اليوم الأول لاعتقاله بقِيَ «أيد جين» صامتا ورفض تماما التحدث إلى الشرطة، لكنه بدأ يتكلم في اليوم التالي، أخذ يروي تفاصيل جرائمه بإسهاب وحماس منقطع

النظير، بدا وكأنه يستمتع بإخبار الشرطة عن التفاصيل، حتى المحققين ذوي الباع الطويل في التعامل مع عُتاة المجرمين شعروا بالاشمئزاز والغَثيان من اعترافاته، لم يُصدِّقوا بأن إنسانا يمكنه اقتراف كل هذه الشرور لسنوات طويلة من دون أن يكتشف الناس أمره، وأيقنوا في النهاية بأنهم أمام إنسان مجنون بالكامل.



إلقاء القبض على «أيد جين».

«أيد جين» أخبر المحققين بأن معظم الجثث التي عثروا عليها في منزله هي لنساء مَيِّتات أصلا، وحين رفضوا تصديقه قادهم بنفسه إلى القبور التي قام بنبْشها، وللتأكد قاموا بفتْح اثنين من تلك القبور، وبالفعل كان التابوت فارغا.

وقد تم العثور على جثث وبقايا خمسة عشر شخصا في منزل أيد جين، كلها لنساء، لكن لم يتم اتهام «أيد جين» سوى بجريمة واحدة، وهي قتْل السيدة «بيريس واردن».

منزل المزرعة تعرض للحرق بعد إلقاء القبض على «أيد جين»، تحوَّل إلى كومة رُكام،

وحين أخبروه عن شعوره باحتراق منزله أجاب «أيد جين» بهدوء: «كأحسن ما يكون». والأرجح أن سكان بلدة بلينفيلد هم من قاموا بحرق المنزل خِلْسة لكي لا يتحوَّل إلى مَعْلَم من معالِمِ بلدتهم.

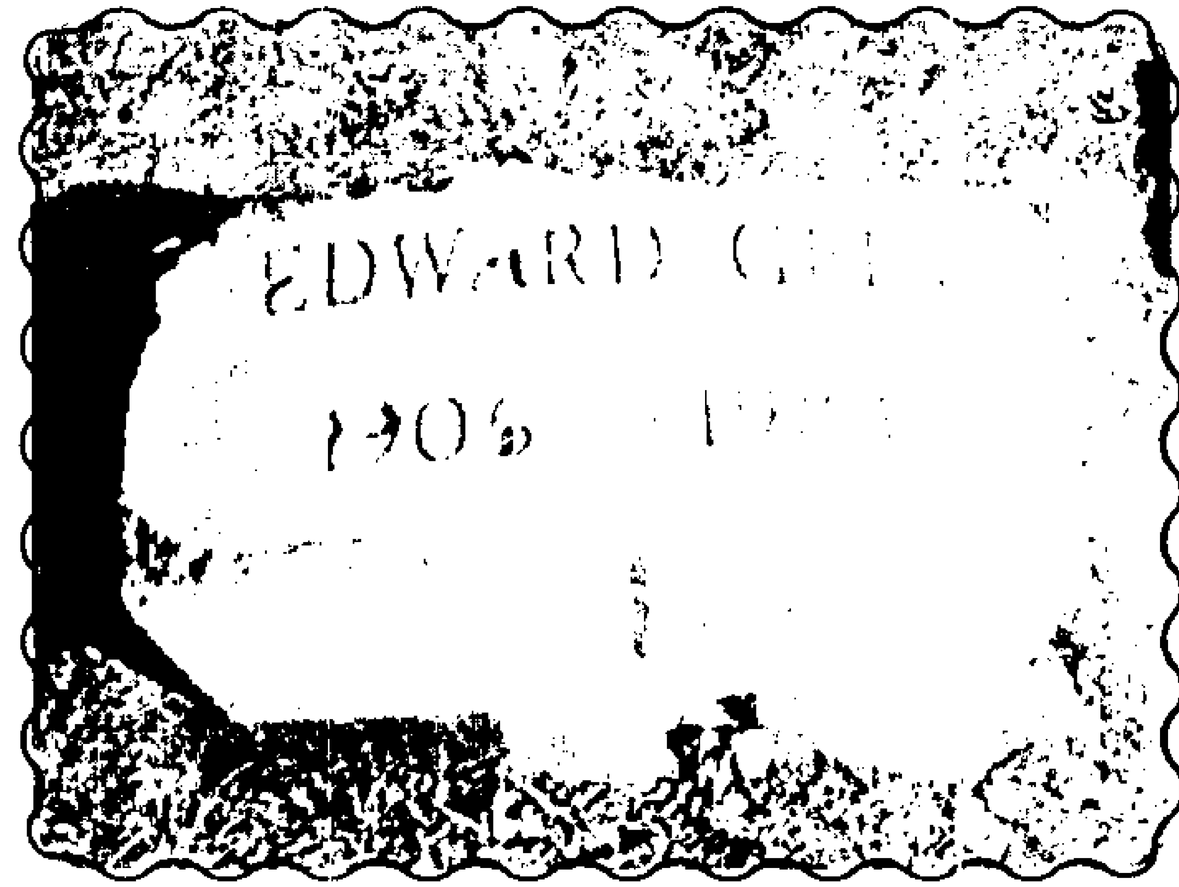
خلال محاكمته الأولى عام 1957م. قرر القاضي بأن «أيد جين» غير مؤهل من الناحية العقلية للمثول إمام المحكمة، لذا تم تحويله إلى إحدى المصحّات العقلية حيث مكث هناك 11 عاما حتى اطمأن الأطباء لقدرته على المثول أمام المحكمة مرة أخرى، وهكذا حُوكِم ثانية عام 1968م. وتمَّتْ إدانته بجريمة قتْل واحدة، لكن بسبب مشاكله النفْسية تم تحويله إلى المصحة العقلية مرة أخرى ليقضي بقية حياته هناك. الأطباء في المصحة قالوا بأن «أيد جين» كان أفضل مرضاهم. و«أيد جين» نفسه كان في غاية السعادة وقضى أروع سنوات حياته هناك، فالرجل في النهاية كان مُخْتلًّا عقْليًّا بحاجة إلى الرعاية والتفهُّم والحنان.

وفي 26 تموز / يوليو 1984م. فارق أيد جين الحياة في أحد المستشفيات بسبب مضاعفات أصابتْه بالسرطان، والغريب أنهم قاموا بدفْنه في المقبرة التي طالما اعتاد نبْش قبورها خلال حياته .. إنها «مقبرة بلينفيلد»!!

رحل «أيد جين» أخيرا .. ولم يتبقَّ من ذِكراه سوى قبرٍ مُحطَّم وحكاية تُرْوَى وعِبْرة لكل أب وأم حريصيْن على مستقبل أطفالهم، فهو لم يكن وحشًا كاسرًا كما صوَّره الإعلام، بل كان هو الضحية.

نعم: إنه طفل مسكين جنَتْ عليه تربية خاطئة مُعْوَجَّة حطَّمتْ روحه المُتوثِّبة للحياة وأصابتْها بالشلل، فالروح عزيزي القارئ مثل الجسد، تمرض أحيانا، وقد تبقَى عليلة وكسِيحة لِمَا تبقَّى من حياتها.

وكم في هذه الدنيا من أمثال «أيد جين»، رجال ونساء قد تُبْهِرُك هيئتهم، ويُسْحِرك كلامهم، لكن لو أُتِيحتْ لك فرصة النظر إلى دواخلهم .. «لولَّيْتَ منهم فِرارًا ولمُلِئْتَ منهم رُعْبًا».. لأنك لن ترى سوى روح مريضة مُشوَّهة تعُجُّ بالآلام والأوهام ..



قبر أيد جين

أيد جين في السينما:

هناك العديد من الأفلام التي تناولت قصة «أيد جين» أو اقتبست بعضًا من جوانبها وشخوصها، كـ«القاتل المختل» و«الأم المستبدة» و«القناع المصنوع من الجلد» و«المنزل النائي المنعزل» وغيرها من الأسور التي لم تخلُ من مبالغة وتضخيم لغرض إسباغ المزيد من الإثارة والرعب على تلك الأحداث الدموية.



أهم المصادر والمراجع

المصادر العربية:

1- القرآن الكريم.

2- المعجم الوسيط. مجموعة علماء.

3- معجم الغني. عبد الغني أبو العزم

4- معجم اللغة العربية المعاصرة. أحمد مختار عمر.

5- الموسوعة العربية العالمية. مجموعة علماء.

6- الحيوان. للجاحظ.

7- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. لابن الجوزي.

8- أسوأ النساء في التاريخ. سلمى مجدي. دار الكتاب العربي-دمشق- القاهرة.

9- صور غريبة من العالم. للكاتب صالح هويدي

10- مشاهير النساء العزاب. أبو المظفر السّناري. / دار الكتاب العربي-دمشق- القاهرة.

11- أشهر وأغرب وأطرف المحاكمات في التاريخ. لأحمد المنياوي.

12- عجائب المقدور في أخبار تيمور. لابن عربشاه.

13- كتاب: «جرائم عالمية غامضة». لجنة الإعداد والترجمة والتأليف/ دار الكتاب العربي-دمشق- القاهرة.

14- أشهر السفاحين في التاريخ. أبو المظفر السناري. / دار الكتاب العربي-دمشق- القاهرة.

المواقع والصحف العربية:

1- الموقع العربي: (Nightmare/ كابوس).

2- الموقع العربي «Kingdom of Fear / مملكة الخوف».

3- الموقع العربي (أسطورة العرب).

4- المدوَّنة الإلكترونية: (سيدة القصر).
5- الموقع العربي: (ما وراء الطبيعة).
6- الموقع العربي: (عراق السلام).
7- الموقع (الاستعلامات المصري).
8- جريدة (المصري اليوم).
9- المدونة العربية (أدب الرعب).
10- جريدة (الجدار الإلكترونية).
11- الموقع العربي: «صدفة».
12- مجلة (الحطة الإمارتية).
13-الموقع العربي: (مكتبة التاريخ) .

المصادر والمواقع الأجنبية

1- الموقع العالمي: (From Wikipedia، the free encyclopedia)
2- الموقع الأجنبي: (Familypedia)
3- الموقع الأجنبي: (Law Library - American Law and Legal Information)
4- الموقع الأجنبي: (Aftermath News)
5- الموقع الأجنبي: (Wikipedia)
6- الموقع الأجنبي: (ListVerse)
7- المدونة الأجنبية: (World of evil).
8- الموقع الأجنبي: (- The baby butcher)

الفهرس